الكبائر

تأليف

الإمام الحافظ شمس الدين الذهبي



الكبائر

تأليف

الامام الحافظ شمس الدين الذهبي



دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت

فهرست

تعريف

بالمؤلف وبكتابه « الكبائر »

هو : شمس الدين محمد بن عثمان بن قايماز التركماني ، الفارقي ، الدمشقي ، الشافعي ، الشهير بالذهبي :

أصل اسرته من « ميافارقين » . ولد في دمشق سنة ٦٧٣ هـ – ١٢٧٤ م ، وتلقى العلم عن شيوخ الشام ومصر والحجاز ، وزار اكثر المدن لهذه الغاية ، ونبغ في كثير من العلوم ، وبخاصة في قراءات القرآن ، والحديث ، وضرب بحفظه المثل ، ونعت « بامام الوجود حفظاً » وبشيخ الجرح والتعديل ، ورجل الرجال في كل سبيل » ، وذاع صيته في الآفاق ، وقصده طلاب العلم من كل صوب .

ذكر « الذهبي » في معجمه ثلاثمائة شيخ وألف شيخ ممن تلقى العلم عنهم وعلمهم واقرانهم ، منهم مجموعة من كبار العلماء والمؤلفين المشهورين .

تولى « الذهبي » عدة وظائف علمية في دمشق ، ولما كف بصره في سنة ٧٤١ هـ انقطع عن التأليف ، وأكتفى بالتدريس إلى ان وافاه الأجل في اليوم الثالث من شهر ذي العقدة سنة ٧٤٨ هـ – ١٣٤٨ م . ودفن في مقبرة الباب الصغير بدمشق .

ترك « الذهبي » ثروة علمية ضخمة أودعها في مؤلفاته المفيدة التي نيفت على تسعين مؤلفاً في الحديث والتاريخ والتراجم وغيرها ، اعظمها تاريخه الكبير (تاريخ الاسلام) ، وكتاب (سير النبلاء) ، و (ميزان الاعتدال) و (المشتبه

في اسماء الرجال) و (تجريد الاصول في احاديث الرسول) وغيرها ، وكثير منها مطبوع متداول .

وقد تحدث عن مؤلفات « الذهبي » كثير من المؤلفين القدامى والمحدثين ، وكتبت عدة دراسات عنه في رسائل ومجلات عربية وأجنبية ، وكلها أشادت بعلمه وفضله ، ونوهت بما خلف من آثار علمية انتفع بها أبناء عصره ، ومن خلفهم من أبناء العصور التالية حتى اليوم .

وكتابه « الكبائر » في مقدمة مؤلفاته التي وضعها خاصة لطبقة من القراء ، وقد عالج فيه موضوعات تروق لهم ، وتفيدهم في دينهم ودنياهم ، وتقرب إلى أذهانهم أشياء قد يستصعبون فهمها في الكتب العلمية الموضوعة للخاصة من العلماء وطلاب العلم .

فهو في كتاب « الكبائر » قد يسلك طريق الواعظ المرشد الذي ينشد صلاح الناس وتقويم عقائدهم وسيرتهم ، وساق ما أورده بلغة سهلة مفهومة وأسلوب واضح جذاب ، وابتعد عن التعقيد والغموض والتصنع ، فجاء كتابه نافعاً للخطباء والواعظين ، ومنبها للغافلين والحائرين ، وزاجراً للعصاة والمنحرفين وقائداً للراغبين في سلوك طريق الله والحق والصواب .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد المرسلين وإمام المتقين وعلى آله وصحبه أجمعين .

(أما بعد) فهـذا كتاب مشتمل على ذكر جمل في الكبائر والمحرمات والمنهيات .

الكبائر :

ما نهى الله ورسوله عنه في الكتاب والسنة والأثر عن السلف الصالحين ،وقد ضمن الله تعالى في كتابه العزيز لمن اجتنب الكبائر والمحرمات أن يكفر عنه الصغائر من السيئات لقوله تعالى :

(إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيماً) .

فقد تكفل الله تعالى بهذا النص لمن اجتنب الكبائر أن يدخله الجنة .

وقال تعالى :(وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ والفَوَاحِشَ وإذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ) . وقال تعالى : (وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ والفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ) .

وقال رسول الله ﷺ : « الصلوات الخمس[١] والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان مكفرات[٢] لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر ، فتعين علينا الفحص عن الكبائر ، ماهي لكي يجتنبها المسلمون[٣] . فوجدنا العلماء رحمهم الله تعالى قد اختلفوا فيها ، فقيل : هي سبع . واحتجوا بقول النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم « اجتنبوا السبع الموبقات » فذكر منها: الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل مال اليتيم ، واكل الربا ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات . متفق عليه[٤] . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : هي إلى السبعين أقرب منها إلى السبع ، وصدق والله ابن عباس[٥] . وأما الحديث فما فيه حصر الكبائر ، والذي يتجه ويقوم عليه الدليل أن من ارتكب شيئاً من هذه العظائم مما فيه حد في الدنيا كالقتل والزنا والسرقة ، أو جاء فيه وعيد في الآخرة من عذاب أو غضب أو تهديد ، أو لعن فاعله على لسان نبينا محمد ﷺ فانه كبيرة[٦] .ولا بد من تسليم ان بعض الكبائر

---

(١) أورده مسلم والترمذي وقال حسن صحيح عن أبي هريرة رفعه واللفظ لمسلم . قال الترمذي : وفي الباب عن جابر وأنس وحنظلة الأسيدي . قال شارحه : ما حديث جابر فأخرجه مسلم ، وأما حديث أنس فأخرجه الشيخان ، وأما حديث حنظلة الأسيدي ، ويقال له – حنظلة الكاتب – فأخرجه أحمد باسناد جيد مرفوعاً انتهى .

(٢) في نسخة « كفارة لما بينهن ما لم تغش الكبائر » .

(٣) في نسخة : المسلم .

(٤) رواه البخاري ومسلم عن ابي هريرة ، ورواه ابو داود والنسائي .

(٥) رواه عبد الرزاق والطبري في تفسيره عند قوله : « أن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه » سورة النساء .

(٦) والكبيرة كل معصية فيها حد في الدنيا أو وعيد في الآخرة وزاد شيخ الاسلام : أو ورد فيها وعيد بنفي ايمان أو لعن ونحوهما . والصواب تقسيم الذنوب إلى كبيرة وصغيرة وان الكبائر في الذنوب بعضها اكبر من بعض وقال ابن عبد السلام الشافعي لم أقف للكبيرة على ضابط سالم من الاعتراض والضابط الذي قاله شيخ الاسلام وغيره من أنها ما فيها حد أو وعيد أو لعن أو تبرؤ أو ليس منا أو نفي إيمان من أسلم الضوابط ، وعن سعيد بن جبير قال رجل لابن عباس: الكبائر سبع . فقال ابن عباس : هي إلى السبعمائة أقرب منها إلى السبع ، غير انه لا كبيرة مع استغفار ، ولا صغيرة مع اصرار . وفي رواية عنه : هي إلى السبعين أقرب ، وعدها العلماء فبلغت سبعين أو زادت على السبعين ا هـ .

اكبر من بعض . ألا ترى انه ﷺ عد الشرك بالله من الكبائر ، مع ان مرتكبه مخلد في النار ولا يغفر له أبدا . قال الله تعالى : « ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء » .

الكبيرة الأولى : الشرك بالله :

فأكبر الكبائر الشرك بالله تعالي وهو نوعان : أحدهما — أن يجعل لله نداً ويعبد غيره من حجر أو شجر أو شمس أو قمر أو نبي أو شيخ أو نجم أو ملك أو غير ذلك ، وهذا هو الشرك الأكبر الذي ذكره الله عز وجل قال الله تعالى:

« إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ ما دُونَ ذلكَ لِمَنْ يَشَاءُ » وقال تعالى : « إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ » . وقال تعالى : « إِنَّه مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ » .

والآيات في ذلك كثيرة .

فمن أشرك بالله ثم مات مشركاً فهو من أصحاب النار قطعاً ، كما ان من آمن بالله ومات مؤمناً فهو من أصحاب الجنة وان عذب بالنار . وفي « الصحيح » ان رسول الله ﷺ قال : (ألا أنبئكم بأكبر الكبائر — ثلاثاً — قالوا : بلى يا رسول الله قال : الاشراك بالله وعقوق الوالدين ، وكان متكئاً فجلس فقال : ألا وقول الزور ، ألا وشهادة الزور) فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت[1] . وقال ﷺ (اجتنبوا السبع الموبقات) فذكر منها الشرك بالله ، وقال ﷺ : (من بدل دينه فاقتلوه) الحديث[2] .

---

(١) متفق عليه .
(٢) رواه أحمد والبخاري .

والنوع الثاني من الشرك : الرياء بالأعمال كما قال الله تعالى :

« فَمَنْ كانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً ولا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً » :

أي لا يرائي بعمله أحداً . وقال ﷺ : (إياكم والشرك الأصغر ، قالوا يا رسول الله وما الشرك الأصغر ؟ قال : الرياء . يقول الله تعالى يوم يجازي العباد بأعمالهم اذهبوا إلى الذين كنتم تراءونهم بأعمالكم في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء »[1] . وقال ﷺ « يقول الله : من عمل عملا أشرك معي فيه غيري فهو للذي أشرك وأنا منه بريء »[2] . وقال « من سمع سمع الله به ومن رايا رايا الله به »[3]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قال : « رب صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش ، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر » يعني انه إذا لم يكن الصلاة والصوم لوجه الله تعالى فلا ثواب له[4] ، كما روى[5] عنه ﷺ انه قال : « مثل الذي يعمل للرياء والسمعة كمثل الذي يملأ كيسه حصى ثم يدخل السوق ليشتري به ، فاذا فتحه قدام البائع فاذا هو حصى وضرب به وجهه ، ولا منفعة له في كيسه سوى مقالة الناس له ما أملا كيسه ولا يعطي به شيئاً . فكذلك الذي يعمل للرياء والسمعة فليس له

---

(١) قال العراقي : رواه أحمد بإسناد جيد عن ابن عباس والبيهقي في « الشعب » ، وابن أبي الدنيا من حديث محمود بن لبيد وله رؤية ورجاله ثقات . قال المنذري جيد ورواه الطبراني عن محمود بن لبيد عن رافع بن خديج .

(٢) رواه مسلم دون كلمة « وأنا منه بريء » وهي عند ابن ماجه بسند صحيح (عراقي) .

(٣) متفق عليه من حديث جندب بن عبدالله بلفظ « من راءى راءى الله بة ومن سمع سمع الله به » وهو في الترغيب كما في الاصل هنا ، والترمذي عن أبي بكرة رفعه . (العراقي في تخريج احاديث الاحياء) .

(٤) رواه ابن ماجه وأخرجه احمد وابن أبي حاتم والطبراني والحاكم وصححه ، والبيهقي عن شداد بن أوس والبزار وابن مردويه ، والبيهقي عن الضحاك بن قيس رفعوه .

(٥) جعله ابن حجر في زواجره من كلام بعض الحكماء لا حديثا نبويا .

من عمله سوى مقالة الناس ولا ثواب له في الآخرة » قال الله تعالى : « وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا » يعني الأعمال التي عملوها لغير وجه الله تعالى أبطلنا ثوابها وجعلناها كالهباء المنثور وهو الغبار الذي يرى في شعاع الشمس . وروى[1] عدي ابن حاتم الطائي رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « يؤمر بفئام – أي جماعات – من الناس يوم القيامة إلى الجنة حتى إذا دنوا منها واستنشقوا رائحتها ، ونظروا إلى قصورها وإلى ما أعد الله لاهلها فيها ، نودوا أن اصرفوهم عنها فانهم لا نصيب لهم فيها فيرجعون بحسرة وندامة ما رجع الأولون والآخرون بمثلها ، فيقولون : ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن ترينا ما أريتنا من ثواب ما أعددت لأوليائك كان أهون علينا . فيقول الله تعالى : ذلك ما أردت بكم . كنتم إذا خلوتم بارزتموني بالعظائم ، وإذا لقيتم الناس لقيتموهم مخبتين تراءون الناس باعمالكم خلاف ما تعطوني من قلوبكم . هبتم الناس ولم تهابوني وأجللتم الناس ولم تجلوني ، وتركتم للناس ولم تتركوا لي – يعني لأجل الناس – فاليوم أذيقكم أليم عقابي مع ما حرمتكم من جزيل ثوابي[2] وسأل رجل رسول الله ما النجاة ؟ فقال صلى الله عليه وسلم : « أن لا تخادع الله » . قال : وكيف يخادع الله ؟ قال: « ان تعمل عملا أمرك الله ورسوله به وتريد به غير وجه الله . واتق الرياء فانه الشرك الأصغر ، وان المرائي ينادي عليه يوم القيامة على رؤوس الخلائق بأربعة اسماء : يا مرائي ، يا غادر ، يا فاجر ، يا خاسر ضل عملك وبطل أجرك ، فلا اجر لك عندنا ، اذهب فخذ اجرك ممن كنت تعمل له يا مخادع » . وسئل بعض الحكماء رحمهم الله من المخلص :فقال : المخلص الذي يكتم حسناته كما يكتم سيئاته وقيل لبعضهم : ما غاية الاخلاص ؟ قال : أن لا تحب محمدة الناس . وقال الفضيل بن عياض رضي الله عنه : ترك العمل لأجل الناس رياء ، والعمل لأجل الناس شرك ، والاخلاص ان يعافيك الله منهما . اللهم عافنا منهما وأعف عنا .

---

(١) أخرجه الطبراني وأبو نعيم والبيهقي ، وابنا عساكر والنجار والحسن ابن سفيان ، وذكره في « الترغيب » بصيغة التمريض وهي : وروى عن عدى الخ ، وذكره ابن الجوزي في الموضوعات ، ونازعه السيوطي .

(٢) ابن ابي الدنيا من رواية جبلة اليحصبي عن صحابي لم يسم ، واسناده ضعيف (عراقي).

الكبيرة الثانية : قتل النفس

قال تعالى : (وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمَ خَالِداً فِيها وَغَضِبَ الله عَليه وَلَعَنَهُ وأعَدَّ لهُ عَذاباً عَظِيماً) . وقال تعالى : (وَالَّذينَ لا يَدْعونَ مَعَ الله إلهاً آخرَ ولا يَقْتُلونَ النَّفْسَ الَّتي حَرَّمَ اللهُ إلَّا بالْحَقِّ ولا يَزْنُونَ . ومَنْ يَفْعَلْ ذلكَ يَلْقَ أثاماً يُضاعَفْ لَهُ العَذابُ يَوْمَ القِيامَة ويَخْلُدْ فيهِ مُهاناً . إلَّا مَنْ تابَ وآمَنَ وعَمِل عَمَلاً صالحاً) . وقال تعالى: (مِنْ أجلِ ذلكَ كَتَبْنا على بَني إسْرائِيلَ أنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أوْ فَسادٍ في الأرْضِ فَكَأنَّما قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً ، وَمَنْ أحياها فكأنَّما أحيا النَّاس جَميعاً)وقال تعالى:(وإذا المَوْءودَةُ سُئِلَتْ بِأيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ).

وقال النبي ﷺ : « اجتنبوا السبع الموبقات[١] » . فذكر قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق[٢] . وقال رجل للنبي ﷺ : أي الذنب اعظم عند الله تعالى؟ قال : « أن تجعل لله نداً وهو خلقك » قال : ثم أي ؟ قال « أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك » . قال : ثم أي ؟ قال « أن تزاني حليلة جارك » فأنزل الله تعالى تصديقها : « والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي

---

(١) تمام الحديث : قيل : وما هن يا رسول الله ؟ قال : « الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق ، وأكل مال اليتيم ، وأكل الربا والتولي يوم الزحف ،وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات » رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي (المنذري) .

(٢) رواه البخاري ومسلم بدون الآية ، ورواه الترمذي والنسائي في رواية بها مع ذكر الآية ، كلهم عن أبي مسعود الانصاري قاله المنذري في « الترغيب والترهيب » .

حرم الله إلا بالحق ولا يزنون » الآية . وقال ﷺ « إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار » قيل : يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال « لأنه كان حريصاً على قتل صاحبه »[١] .

قال الامام أبو سليمان رحمه الله : هذا انما يكون كذلك إذا لم يكونا يقتتلان على تأويل ، انما يقتتلان على عداوة بينهما وعصبية أو طلب دنيا أو رئاسة أو علو ، فأما من قاتل أهل البغي على الصفة التي يجب قتالهم بها ، أو دفع عن نفسه أو حريمه فانه لا يدخل في هذه ، لأنه مأمور بالقتال للذب عن نفسه غير ناصد به قتل صاحبه إلا ان كان حريصاً على قتل صاحبه . ومن قاتل باغياً أو قاطع طريق من المسلمين فانه لا يحرص على قتله ، انما يدفعه عن نفسه ، فان انتهى صاحبه كف عنه ولم يتبعه . فان الحديث لم يرد في أهل هذه الصفة . فأما من خالف هذا النعت فهو الذي دخل في هذا الحديث الذي ذكرنا ، والله أعلم .

وقال رسول الله ﷺ : « لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض »[٢] وقال رسول الله ﷺ « لا يزال العبد في فسحة من دينه ما لم يصب دماً حراماً »[٣] وقال صلى الله عليه وآله وسلم أول ما يقضي بين الناس يوم القيامة في الدماء ، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال : « لقتل مؤمن أعظم عند الله من زوال الدنيا[٤] » ، وقال ﷺ : « الكبائر الاشراك بالله وقتل النفس واليمين

---

(١) رواه أحمد والشيخان « الزواجر » .

(٢) متفق عليه من حديث أبي بكر وهو قطعة من (خطبة الوداع) (٣) تامه : وقال ابن عمر : من ورطات الأمور التي لا مخرج لمن أوقع نفسه فيها سفك الدم الحرام بغير حله . رواه البخاري والحاكم وقال صحيح على شرطها . والورطات جمع ورطة : وهي المشكلة وكل أمر تعسر النجاة منه (الترغيب) .

(٣) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث ابن مسعود .

(٤) رواه النسائي والبيهقي من حديث بريدة وشاهده عند مسلم والنسائي والترمذي من حديث عبد الله بن عمرو مرفوعاً وموقوفاً . قاله المنذري ورواه البيهقي والاصبهاني وابن ماجه باسناد حسن عن البراء بن عازب رفعه اه .

الغموس »[1] وسميت غموساً لأنها تغمس صاحبها في النـــار ، وقال ﷺ : « لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه أول من سنّ القتل» مخرج في الصحيحين ، وقال ﷺ « من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنـة ، وان رائحتها لتوجد من مسيرة أربعين عاماً » أخرجه البخاري[2] .

فاذا كان هذا في قتل المعاهد – وهو الذي اعطى عهداً من اليهود والنصارى في دار الاسلام – فكيف يقتل المسلم . وقال ﷺ « ألا ومن قتل نفساً معاهدة لها ذمة الله وذمة رسوله فقد أخفر ذمـــة الله ولا يرح رائحة الجنة وان ريحها ليوجد من مسيرة خمسين خريفاً » صححه الترمذي وقال ﷺ « من أعان على قتل مسلم بشطر كلمة لقي الله مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله تعالى »رواه الامام احمد[3] . وعن معاوية رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « كل ذنب عسى الله ان يغفره إلا الرجل يموت كافراً أو الرجل يقتل مؤمناً متعمداً»[4]. نسأل الله العافية .

الكبيرة الثالثة : في السحر :

لأن الساحر لا بد وأن يكفر . قال الله تعالى :

﴿ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ ﴾.

وما للشيطان الملعون غرض في تعليمه الانسان السحر إلا ليشرك به .
قال الله تعالى مخبراً عن هاروت وماروت :

---

(١) رواه البخاري ومسلم والنسائي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص (منذري) .
(٢) والنسائي عن ابن عمرو رفعه كما ذكره المصنف في رسالتـــه الصغرى في الكبائر ، والمنذري في الترغيب .
(٣) وابن ماجه وفي اسناده مقال قاله المصنف في رسالته الصغرى ، والاصبهاني كلهم عن أبي هريرة رفعه ورواه البيهقي من حديث ابن عمر ورفعه ذكره المنذري في الترغيب بصيغة التمريض.
(٤) أخرجه النسائي والحاكم ؟ وقال : صحيح الاسناد ، وروى أبو داود ، وابن حبان وصححه عن ابي الدرداء رفعه (ترغيب) .

(وَمَا يُعَلِّمانِ مِنْ أَحدٍ حتَّى يَقُولا إِنَّما نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ فَيَتَعلَّمُونَ مِنْهُما مَا يُفَرِّقُونَ به بين المَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ الله . وَيَتَعلَّمُونَ ما يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ . وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَراهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ من خَلاقٍ) أي من نصيب .

فترى خلقاً كثيراً من الضلال يدخلون في السحر ويظنونه حراماً فقط ، وما يشعرون أنه الكفر فيدخلون في تعليم السيمياء[1] وعملها وهي محض السحر وفي عقد الرجل عن زوجته وهو سحر ، وفي محبة الرجل للمرأة وبغضها له ، وأشباه ذلك بكلمات مجهولة أكثرها شرك وضلال .

وحد الساحر : القتل ، لأنه كفر بالله أو مضارع الكفر . قال النبي ﷺ : « اجتنبوا السبع الموبقات » فذكر منها السحر . والموبقات المهلكات . فليتق العبد ربه ولا يدخل فيما يخسر به الدنيا والآخرة . وجاء عن النبي ﷺ أنه قال : حد الساحر ضربه بالسيف[2] . والصحيح أنه من قول جندب . وعن بجالة ابن عبدة[3] انه قال : أتانا كتاب عمر رضي الله عنه قبل موته بسنة أن اقتلوا كل ساحر وساحرة . وعن وهب بن منبه قال : قرأت في بعض الكتب : يقول الله عز وجل لا إله إلا أنا ليس مني من سحر ولا من سحر له ، ولا من تكهن ولا من تكهن له ، ولا من تطير ولا من تطير له . وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة لا يدخلون الجنة : مدمن خمر ، وقاطع رحم ، ومصدق بالسحر » . رواه الامام أحمد في مسنده[4] . وعن ابن مسعود

---

(١) في بعض النسخ (الكيمياء) بالكاف .

(٢) رواه الترمذي ، وقال : الصحيح أنه من قول جندب (زواجر) .

(٣) رواه البخاري .

(٤) وابن حبان في صحيحه ، وأبو يعلى ، والحاكم وصححه ، قال المنذري في الترهيب : من شرب الخمر .

رضي الله عنه مرفوعاً قال : « الرقى والتمائم والتولة شرك »[١] . التمائم : جمع تميمة ، وهي خرزات وحروز يعلقها الجهال على أنفسهم وأولادهم ودوابهم يزعمون انها ترد العين ، وهذا من فعل الجاهلية ، ومن اعتقد ذلك فقد أشرك . والتولة بكسر التاء وفتح الواو : نوع السحر ، وهو تحبيب المرأة إلى زوجها ، وجعل ذلك من الشرك لاعتقاد الجهال ان ذلك يؤثر بخلاف ما قدر الله تعالى[٢] قال الخطابي[٣] رحمه الله : وأما إذا كانت الرقية بالقرآن ، أو بأسماء الله تعالى فهي مباحة ، لأن النبي ﷺ كان يرقى الحسن الحسين رضي الله عنهما ، فيقول : « أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة » ، وبالله المستعان وعليه التكلان .

---

(١) رواه احمد وأبو داود قاله المصنف في رسالته الصغرى ، وابن حبان والحاكم وصححاه (ترغيب) .

(٢) (فائدة) قال المصنف في رسالته الصغرى في آخر الكبيرة الثالثة : (واعلم أن كثيراً من هذه الكبائر بل عامتها ـ إلا الأقل ـ يجهل خلق من الامة تحريمه وما بلغه الزجر فيه ولا الوعيد. فهذا الضرب فيه تفصيل فينبغي للعالم أن لا يستعجل على الجاهل بل يرفق به ويعلمه مما علمه الله ، ولا سيما اذا كان قريب العهد بجاهليته ، قد نشأ في بلاد الكفر البعيدة وأسر وجلب لارض الاسلام وهو تركي أو كرجي مشرك لا يعرف بالعربي ، فاشتراه أمير تركي لا علم عنده ولا فهم ، فبالجهد انه يلفظ بالشهادتين . فان فهم بالعربي حتى فقه معنى الشهادتين بعد أيام وليالي فبها ونعمت . ثم قد يصلي وقد لا يصلي ، وقد يلقن الفاتحة مع الطول ان كان استاذه فيه دين فان كان استاذه نسخة منه فمن اين لهذا المسكين ان يعرف شرائع الاسلام ، والكبائر واجتنابها والواجبات واتيانها ، فان عرف هذا موبقات الكبائر وحذر منها وأركان الفرائض واعتقدها فهو سعيد وذلك نادر . فينبغي للعبد ان يحمد الله تعالى على العافية . فان قيل : هو فرط لكونه ما سأل عما يجب عليه قيل : ما دار في رأسه ولا استشعر ان سؤال من يعلمه يجب عليه . ومن لم يجعل الله له نوراً فماله من نور ، فلا يأثم أحد الا بعد العلم وبعد قيام الحجة عليه ، والله لطيف رؤوف بهم . قال تعالى (وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا) ، وقد كان سادة الصحابة بالحبشة وتنزل الوجبات والتحريم على النبي صلى الله عليه وسلم فلا يبلغهم إلا بعد أشهر ، فهم في تلك الاشهر معذورون بالجهل حتى يبلغهم النص ، وكذا يعذر بالجهل من لم يعلم حتى يسمع النص ان شاء الله تعالى » اهـ .

(٣) هو الامام أحمد بن محمد بن ابراهيم بن الخطاب ابو سليمان الخطابي صاحب التصانيف الممتعة كشرح سنن أبي داود وغيره توفي سنة ٣٨٨هـ ببلدة بست .

الكبيرة الرابعة : في ترك الصلاة

قال الله تعالى :

(فخَلفَ من بَعْدهمْ خَلْفٌ أضاعُوا الصَّلاةَ واتَّبَعُوا الشَّهَوات فسَوْفَ يلْقَوْنَ غَيًّا إلاَّ مَنْ تَابَ وآمنَ وعَملَ صالحاً) .

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ليس معنى أضاعوها تركوها بالكلية ، ولكن أخروها عن أوقاتها . وقال سعيد بن المسيب أمام التابعين رحمه الله : هو أن لا يصلي الظهر حتى يأتي العصر . ولا يصلي العصر إلى المغرب ، ولا يصلي المغرب إلى العشاء ، ولا يصلي العشاء إلى الفجر ، ولا يصلي الفجر إلى طلوع الشمس. فمن مات وهو مصر على هذه الحالة ولم يتب وعده الله بغي ، وهو واد في جهنم بعيد قعره خبيث طعمه . وقال الله تعالى في آية اخرى: « فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون » أي غافلون عنها ، متهاونون بها . وقال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : سألت رسول الله ﷺ عن الذين هم عن صلاتهم ساهون قال : « هو تأخير الوقت[1] » أي تأخير الصلاة عن وقتها ، سماهم مصلين لكنهم لما تهاونوا وأخروها عن وقتها وعدهم بويل وهو شدة العذاب . وقيل : هو واد في جهنم لو سيرت فيه جبال الدنيا لذابت من شدة حره ، وهو مسكن من يتهاون بالصلاة ويؤخرها عن وقتها الا ان يتوب إلى الله تعالى ويندم على ما فرط. وقال الله تعالى في آية أخرى:

---

(١) رواه البزار في مسنده من رواية عكرمة بن ابراهيم ، وقال : رواه الحافظ موقوفاً ولم يرفعه غيره . قال المنذري وعكرمة هذا هو الازدي مجمع على ضعفه والصواب وقفه ، يعني أنه من كلام سعد بن ابي وقاص (ترغيب) وقال به زيد بن علي في تفسير الغريب ، وابن عباس ومصعب بن سعد ومسروق والحسن .

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَموَالُكُمْ ولا أَوْلادُكم عَنْ ذِكْرِ الله ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذلكَ فأُولئك هُمُ الخَاسِرونَ ».

قال المفسرون : المراد بذكر الله في هذه الآية الصلوات الخمس . فمن اشتغل بماله في بيعه وشرائه ومعيشته وضيعته وأولاده عن الصلاة في وقتها كان من الخاسرين . وهكذا قال النبي ﷺ : « أول ما يحاسب به العبد يوم القيامة من عمله الصلاة فان صلحت فقد أفلح وأنجح ، وان نقصت فقد خاب وخسر[١] .

وقال الله تعالى مخبراً عن أصحاب الجحيم :

« ما سَلَكَكُمْ في سَقَرَ قالوا لَمْ نَكُ من المُصَلّينَ ولَمْ نَكُ نُطْعِمُ المسْكِينَ . وكنّا نَخُوضُ مَعَ الخائضينَ . وكُنّا نكَذِّبُ بيومِ الدِّين حتّى أتانَا اليَقِينُ . فما تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافعينَ » .

وقال النبي ﷺ : « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر[٢]

وقال النبي ﷺ : « بين العبد وبين الكفر ترك الصلاة[٣] » حديثان صحيحان .

---

(١) عزاه المنذري في الترغيب إلى الاوسط للطبراني وأشار إلى ضعفه ، وذكر له شاهداً من حديث عبدالله بن قرط عند الطبراني في أوسطه ايضاً ، وقال : لا بأس باسناده ان شاء الله اه . وقال المصنف في الصغرى حسنه الترمذي من حديث ابي هريرة ، وكذا قال المنذري في الترغيب رواه الترمذي وغيره عن ابي هريرة وقال حسن غريب . وأخرجه احمد وأبو داود وابن ماجه عن تميم الداري رفعه .

(٢) رواه من حديث بريدة احمد وأبو داود والنسائي والترمذي وقال حسن صحيح ، وابن ماجه وابن حبان في صحيحه ، والحاكم وقال صحيح ولا نعرف له علة (منذري) . وأخرج نحوه الطبراني في الكبير عن ثوبان رفعه .

(٣) رواه أحمدومسلم وابو داود والنسائي والترمذي وابن ماجه بألفاظ متقاربة (منذري) وأخرجه ابن ماجه ومحمد بن نصر والطبراني في الكبير عن انس رفعه .

وفي صحيح البخاري ان رسول الله ﷺ قال : « من فاتته صلاة العصر حبط عمله » . وفي السنن ان رسول ﷺ قال : « من ترك الصلاة متعمداً فقد برئت منه ذمة الله[١] » وقال ﷺ أمرت ان أقاتل الناس حتى يقولوا لا اله الا الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله » متفق عليه[٢] . وقال ﷺ : « من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة ، ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نوراً ولا برهاناً ولا نجاة يوم القيامة وكان يوم القيامة مع فرعون وقارون وهامان وأبي بن خلف[٣] » وقال عمر رضي الله عنه : اما انه لا حظ لأحد في الاسلام أضاع الصلاة .

قال بعض العلماء رحمهم الله : وانما يحشر تارك الصلاة مع هؤلاء الأربعة ، لأنه انما يشتغل عن الصلاة بماله أو بملكه أو بوزارته أو بتجارته فان اشتغل بماله حشر مع قارون ، وان اشتغل بملكه حشر مع فرعون ، وأن اشتغل بوزارته حشر مع هامان ، وان اشتغل بتجارته حشر مع ابي بن خلف تاجر الكفار بمكة . وروى الامام احمد عن معاذ بن جبل رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال : « من ترك صلاة مكتوبة متعمداً فقد برئت منه ذمة الله عز وجل[٤] » .

---

(١) رواه ابن ماجه والبيهقي عن شهر بن حوشب عن أم الدرداء عن ابي الدرداء ، وله شواهد من حديث معاذ عن الطبراني في الأرسط ، وعنده في الكبير ، وعند احمد واسناده صحيح ، ومن حديث أمية مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم عند الطبراني ، ومن حديث ام ايمن عند احمد والبيهقي ، وكلها لا يخلو من مقال ، ولكن يعتضد بها أفاده المنذري في الترغيب .

(٢) من حديث عمر .

(٣) رواه احمد باسناد جيد من حديث عبد الله بن عمرو ، ورواه الطبراني في الكبير والاوسط ، وابن حبان في صحيحه (منذري) . وقال المصنف في الرسالة الصغرى ليس اسناده بذاك .

(٤) رواه احمد والطبراني في الكبير ، واسناد احمد صحيح لو سلم من الانقطاع ، فان عبد الرحمن ابن جبير بن نفير لم يسمع من معاذ ، وفي الاوسط للطبراني باسناد لا بأس به في المتابعات (منذري) . وهو حديث طويل في النهي عن الشرك وعقوق الوالدين وترك الصلاة وشرب الخمر والفواحش .

وروى البيهقي باسناده[١] ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى رسـول الله ﷺ فقال : يا رسول الله أي الأعمال أحب إلى الله تعـالى في الاسلام ؟ قال الصلاة لوقتها ،ومن ترك الصلاة فلا دين له ، والصلاة عماد الدين » ولما طعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قيل له : الصلاة يا أمير المؤمنـين قال : نعم أما انه لا حظ لاحد في الاسلام أضاع الصلاة . وصلى رضي الله عنه وجرحه يثعب[٢] دماً وقال عبـد الله بن شقيق التابعي رضي الله عنه : كان أصحـاب رسول الله ﷺ لا يرون شيئاً من الأعمال تركه كفر غير الصلاة . وسئل علي رضي الله عنه عن امرأة لا تصلي ، فقال : من لم يصل فهو كافر[٣] . وقال ابن مسعود رضي الله عنه من لم يصل فـلا دين له[٤] . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : من ترك صلاة واحدة متعمداً لقي الله تعالى وهو عليه غضبان[٥] . وقال رسول الله ﷺ : « من لقي الله وهو مضيع للصلاة لم يعبأ الله بشيء من حسناته – أي ما يفعل ومـا يصنع بحسناته – إذا كان مضيعاً للصلاة[٦] » . وقـال ابن حزم : لا ذنب بعد الشرك أعظم من تأخير الصلاة عن وقتها ، وقتل مؤمن بغير حق . وقال ابراهيم النخعي : من ترك الصلاة فقد كفر ، وقال أيوب السختياني مثل ذلك . وقال عون بن عبد الله : ان العبد إذا أدخـل قبره سئل عن الصلاة أول شيء يسأل عنه ، فان جازت لهنظر فيما دون ذلك من عمله ، وان لم تجز له لم ينظر في شيء من عمله بعد . وقال ﷺ : « إذا صلى العبد الصلاة في أول الوقت صعدت إلى السماء ولهانور حتى تنتهي إلى العرش فتستغفر لصاحبها إلى يوم القيامة

---

(١) أي في الشعب بسند ضعفـه ، وقال الحاكم : عكرمـة لم يسمع من عمر . قال ورواه عمر (عراقي) .

(٢) أي يسيل .

(٣) أخرجه الترمذي والحاكم عنه عن ابي هريرة ذكره المصنف في الصغرى .

(٤) رواه محمد بن نصر موقوفاً عليه (منذري) .

(٥) رواه محمد بن نصر المروزي وابن عبد البر بلفظ فقد كفر (منذري) .

(٦) قال العراقي : في معناه حديث « أول ما يحاسب به العبد الصلاة – وفيه – فان فسدت فسد سائر عمله » رواه الطبراني في الاوسط من حديث أنس .

وتقول : حفظك الله كما حفظتني . وإذا صلى العبد الصلاة في غير وقتها صعدت إلى السماء وعليها ظلمة ، فاذا انتهت إلى السماء تلف كما يلف الثوب الخلق ويضرب بها وجه صاحبها ، وتقول : ضيعك الله كما ضيعتني[1] » وروى ابو داود في سننه[2] عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة لا يقبل الله منهم صلاتهم – من تقدم قوماً وهم له كارهون ، ومن استعبد[3] محرراً ، ورجل أتى الصلاة دباراً » والدبار ان يأتيها بعد ان تفوته . وجاء عنه ﷺ انه قال : « من جمع بين صلاتين من غير عذر فقد أتى باباً عظيماً من أبواب الكبائر[4] » فنسأل الله التوفيق والاعانة انه جواد كريم وأرحم الراحمين.

فصل : متى يؤمر الصبي بالصلاة

روى ابو داود في السنن ان رسول الله ﷺ قال : « مروا الصبي بالصلاة إذا بلغ سبع سنين ، فاذا بلغ عشر سنين فاضربوه عليها » . وفي رواية : « مروا أولادكم بالصلاة وهم ابناء سبع واضربوهم عليها وهم ابناء عشر وفرقوا بينهم في المضاجع » .

قال الامام ابو سليمان الخطابي رحمه الله : هذا الحديث يدل على اغلاظ العقوبة له إذا بلغ تاركاً لها .

---

(١) رواه الطبراني في الاوسط من حديث أنس بسند ضعيف ، والطيالسي والبيهقي في الشعب من حديث عبادة بن الصامت بسند ضعيف نحوه (العراقي في تخريج أحاديث الاحياء)

(٢) وكذا رواه ابن ماجه وفي سنده عبد الرحمن بن زياد الافريقي مختلف فيه (المنذرى).

(٣) هو ان يعتقه ثم يكتم عتقه أو ينكره أو يكرهه على الخدمة بعد العتق . قاله الخطابي في « شرح السنن » .

(٤) رواه الحاكم من حديث حنش عن ابن عباس ، وقال : حنش هو ابن قيس ، ثقة . قال المنذري : بل رواه برزة لا نعلم أحداً وثقة غير حصين (ترغيب) .

وكان بعض أصحاب الامام الشافعي رحمه الله تعالى يحتج به في وجوب قتله إذا تركها متعمداً بعد البلوغ ، ويقول : إذا استحق الضرب وهو غير بالغ ، فيدل على انه يستحق بعد البلوغ من العقوبة ما هو أبلغ من الضرب وليس بعد الضرب شيء أشد من القتل .

وقد اختلف العلماء رحمهم الله في حكم تارك الصلاة ، فقال مالك والشافعي وأحمد ، رحمهم الله : تارك الصلاة يقتل ضرباً بالسيف في رقبته . ثم اختلفوا في كفره إذا تركها من غير عذر حتى يخرج وقتها ، فقال ابراهيم[1] النخعي وأيوب[2] السختياني وعبد الله بن المبارك وأحمد[3] بن حنبل وإسحق[4] ابن راهويه : هو كافر . واستدلوا بقول النبي ﷺ : « العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة ، فمن تركها فقد كفر » ، وبقوله ﷺ : « بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة »

(١) ابن يزيد أبو عمران الكوفي النخعي من رجال الكتب الستة توفي سنة ٩٦ هـ.

(٢) أحد الأئمة الاعلام من رجال الكتب الستة توفي سنة ١٣١ هـ.

(٣) الامام العلم شيخ المحدثين وأحمد فقهاء الامصار شيخ البخاري ومسلم وابي داود مات سنة ٢٤١ هـ.

(٤) اسحق بن ابراهيم بن محمد الحنظلي أبو محمد المشهور بابن راهويه شيخ البخاري ، ومسلم وأبي داود والنسائي الامام الفقيه الحافظ مات سنة ٢٣٨ هـ.

فصـــل

وقد ورد في الحديث[1] : « ان من حافظ على الصلوات المكتوبة أكرمه الله تعالى بخمس كرامات ، يرفع عنه ضيق العيش وعذاب القبر ، ويعطيه كتابه بيمينه ، ويمر على الصراط كالبرق الخاطف ، ويدخل الجنة بغير حساب » ومن تهاون بها عاقبه الله بخمس عشرة عقوبة ، خمس في الدنيا وثلاث عند الموت ، وثلاث في القبر ، وثلاث عند خروجه من القبر فأما اللاتي في الدنيا : فالأولى: ينزع البركة من عمره ، والثانية : يمحي سيماء الصالحين من وجهه ، والثالثة : كل عمل يعمله لا يأجره الله عليه ، والرابعة : لا يرفع له دعاء إلى السماء ،والخامسة: ليس له حظ في دعاء الصالحين . وأما اللاتي تصيبه عند الموت فانه يموت ذليلاً ، والثانية : يموت جائعاً ، والثالثة : يموت عطشاناً ولو سقي بحار الدنيا ما روي من عطشه ، وأما اللاتي تصيبه في قبره ، فالأولى : يضيق عليه قبره حتى تختلف فيه اضلاعه ، والثانية : يوقد عليه القبر ناراً يتقلب على الجمر ليلاً ونهاراً ، والثالثة : يسلط عليه في قبره ثعبان اسمه الشجاع الاقرع عيناه من نار وأظفاره من حديد طول كل ظفر مسيرة يوم ، يكلم الميت فيقول أنا الشجاع الاقرع وصوته مثل الرعد القاصف يقول : أمرني ربي أن اضربك على تضييع صلاة الصبح إلى طلوع الشمس ، واضربك على تضييع صلاة الظهر إلى العصر ، واضربك على

---

(١) هذا الحديث لم يصح عن النبي صلى الله عليه وسلم ، عزاه السيوطي في ذيل الموضوعات إلى ابن النجار في ذيل تاريخ بغداد ، ثم نقل عن « الميزان » ، هذا حديث باطل ، ركبه محمد ابن علي بن العباس على ابي بكر بن زياد النيسابوري ، وعن « اللسان » هو ظاهر البطلان من احاديث الطرقية .

تضييع صلاة العصر إلى المغرب ، واضربك على تضييع صلاة المغرب إلى العشاء، واضربك على تضييع صلاة العشاء إلى الصبح . فكلما ضربه ضربة يغوص في الأرض سبعين ذراعاً ، فلا يزال في الأرض معذباً إلى يوم القيامة . واما اللاتي تصيبه عند خروجه من قبره في موقف القيامة فشدة الحساب ، وسخط الرب ، ودخول النار . وفي رواية : فانه يأتي يوم القيامة وعلى وجهه ثلاثة أسطر مكتوبات . السطر الاول : يا مضيع حق الله ، السطر الثاني : يا مخصوصاً بغضب الله ، السطر الثالث : كما ضيعت في الدنيا حق الله فآيس اليوم من رحمة الله . وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : اذا كان يوم القيامة يؤتى بالرجل فيوقف بين يدي الله عز وجل فيأمر به الى النار ، فيقول : يا رب لماذا ؟ فيقول الله تعالى : لتأخير الصلاة عن أوقاتها وحلفك بي كاذباً .

وعن رسول الله ﷺ أنه قال يوماً لاصحابه : اللهم لا تدع فينا شقياً ولا محروماً . ثم قال ﷺ: اتدرون من الشقي المحروم؟ قالوا : من هو يا رسول الله ؟ قال : « تارك الصلاة » .

وروي انه اول من يسود يوم القيامة وجوه تاركي الصلاة ، وان في جهنم واديا يقال له « الملحم » فيه حيات ، كل حية (١) ثخن رقبة البعير ، طولها مسيرة شهر تلسع تارك الصلاة فيغلى سمها في جسمه سبعين سنة ثم يتهرى لحمه .

حكاية روي ان امرأة من بني اسرائيل جاءت الى موسى عليه السلام فقالت: يا رسول الله اني اذنبت ذنباً عظيماً وقد تبت منه الى الله تعالى ، فادع الله ان يغفر لي ذنبي ويتوب علي : فقال لها موسى عليه السلام : وما ذنبك ؟ قالت : يا نبي الله اني زنيت وولدت ولداً فقتلته فقال لها موسى عليه السلام : اخرجي

---

(١) وصف حيات جهنم جاء في حديث عبد الله بن الحارث بن جزء الزبيدي عند احمد والطبراني من طريق ابن لهيعة عن دراج عنه، وكذا رواه ابن حبان في صحيحه من طريق عمرو ابن الحارث عن دراج عنه، وقال الحاكم صحيح الاسناد (منذري).

يا فاجرة لا تنزل نار من السماء فتحرقنا بشؤمك ، فخرجت من عنده منكسرة القلب ، فنزل جبريل عليه السلام وقال : يا موسى الرب تعـــالى يقول لك لم رددت التائبة يا موسى ، اما وجدت شراً منها ؟ قال موسى : يا جبريل ومن هو شر منها ؟ قال : تارك الصلاة عامداً متعمداً .

حكاية أخرى عن بعض السلف انه اتى اختاً له ماتت ، فسقط كيس منـه فيه مال في قبرها فلم يشعر به احد حتى انصرف عن قبرها ، ثم ذكره فرجع الى قبرها فنبشه بعدما انصرف النـاس ، فوجد القبر يشعل عليها ناراً فرد التراب عليها ورجع الى امه باكياً حزيناً فقال : يا أماه اخبريني عن أختي وما كانت تعمل ؟ قالت : وما سؤالك عنها ؟ قال : يا أمي رأيت قبرها يشتعل عليهـا ناراً . قال : فبكت وقالت يا ولدي كانت اختك تتهاون بالصلاة وتؤخرها عن وقتها . فهذا حال من يؤخر الصلاة عن وقتها ، فكيف حال من لا يصـــلي ؟ فنسأل الله تعالى ان يعيننا على المحافظة عليها في اوقاتها انه جواد كريم .

فصل : في عقوبة من ينقر الصلاة ولا يتم ركوعها ولا سجودها ، وقد روى في تفسير قول الله تعالى : (فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون) انه الذي ينقر الصلاة ولا يتم ركوعها ولا سجودها .

وثبت في الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله عنه : أن رجلا دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس فيه ، فصلى الرجل ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فرد عليه السلام ، ثم قال له : ارجع فصل فانك لم تصل . فرجع فصلى كما صلى ، ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فرد عليه السلام ثم قال : ارجع فصل فانك لم تصل ، فرجع فصلى كما صلى، ثم جاء فسلم على النبي ﷺ فرد عليه السلام ، وقال : ارجع فصل فانك لم تصل ثلاث مرات . فقال في الثالثة : والذي بعثك بالحق يا رسول الله ما أحسن غيره فعلمني . فقال ﷺ : اذا قمت الى الصلاة فكبر ، ثم اقرأ مـا تيسر معك من القرآن ، ثم اركع حتى تطمئن راكعاً ، ثم ارفـع حتى تعتدل قائمـاً ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجداً ، ثم اجلس حتى تطمئن جالساً ، ثم اسجد حتى تطمئن ساجدا ، وافعل ذلك في صلاتك كلهـا » . وروى

الامام احمد رضي الله عنه عن البدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تجزيء صلاة لا يقيم الرجل فيها صلبه في الركوع والسجود ورواه ابو داود ايضاً والترمذي ، وقال : حديث حسن صحيح . وفي رواية اخرى : « حتى يقيم ظهره في الركوع والسجود » .

وهذا نص عن النبي ﷺ في ان من صلى ولم يقم ظهره بعد الركوع والسجود كما كان ، فصلاته باطلة ، وهذا في صلاة الفرض وكذا الطمأنينة ان يستقر كل عضو في موضعه .

وثبت عنه ﷺ انه قال : « أشد الناس سرقة الذي يسرق من صلاته : قيل وكيف يسرق من صلاته ؟ قال : لا يتم ركوعها ولا سجودها ولا القراءة فيها[1] . وروى الامام احمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال « لا ينظر الله إلى رجل لا يقيم صلبه بين ركوعه وسجوده[2] » .

وقال ﷺ : « تلك صلاة المنافق يجلس يرقب الشمس حتى إذا كانت بين قرني شيطان قام فنقر أربعاً لا يذكر الله فيها إلا قليلاً[3] » .

وعن أبي موسى قال : صلى رسول الله ﷺ يوماً بأصحابه ثم جلس ، فدخل رجل فقام يصلي ، فجعل يركع وينقر سجوده ، فقال رسول الله ﷺ : ترون هذا لو مات مات على غير ملة محمد صلى الله عليه وآله وسلم ينقر صلاته كما ينقر الغراب الدم ! اخرجه أبو بكر بن خزيمة في صحيحة .

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال : « ما من مصل

---

(١) رواه أحمد والحاكم وصحح اسناده من حديث أبي قتادة قاله العراقي ، وكذا رواه احمد والطبراني وابن خزيمة في صحيحه بلفظ : اسوأ الناس الخ أفاده المنذري .

(٢) باسناد صحيح (العراقي) .

(٣) متفق عليه من حديث أنس .

إلا وملك عن يمينه وملك عن يساره ، فان أتمها عرجا بها الى الله تعالى ، وان لم يتمها ضربا بها وجهه[1] » .

وروى البيهقي بسنده[2] عن عبادة بن الصامت : ان رسول الله ﷺ قال : « من توضأ أحسن الوضوء ثم قام إلى الصلاة فأتم ركوعها وسجودها والقراءة فيها قالت الصلاة : حفظك الله كما حفظتني ، ثم صعد بها إلى السماء ولها ضوء ونور ، ففتحت لها أبواب السماء حتى ينتهي بها إلى الله تعالى فتشفع لصاحبها . وإذا لم يتم ركوعها ولا سجودها ولا القراءة فيها قالت الصلاة : ضيعك الله كما ضيعتني ، ثم صعد بها إلى السماء وعليها ظلمة ، فاغلقت دونها أبواب السماء ، ثم تلف كما يلف الثوب الخلق فيضرب بها وجه صاحبها .

وعن سلمان[3] الفارسي رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « الصلاة مكيال ، فمن وفى وفي له ، ومن طفف فقد علمتم ما قال الله في المطففين : قال الله تعالى (ويل للمطففين) والمطفف هو المنقص للكيل أو الوزن أو الذراع أو الصلاة ، وعدهم الله بويل وهو واد في جهنم تستغيث جهنم من حره ، نعوذ بالله منه .

وعن ابن عباس[4] رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال « إذا سجد احدكم فليضع وجهه وأنفه ويديه على الأرض فان الله تعالى أوحى إلي أن أسجد على سبعة أعضاء : الجبهة والأنف والكفين والركبتين ، وصدور القدمين ، وأن لا أكف شعراً ولا ثوباً ، فمن صلى ولم يعط كل عضو منها حقه لعنه ذلك العضو

---

(١) رواه الدارقطني في الافراد وهو ضعيف (الجامع الصغير للسيوطي) .

(٢) رواه الطيالسي والبيهقي في الشعب من حديث عبادة بسند ضعيف قاله العراقي جاء ضعفه من الاحوص بن حكيم .

(٣) في المسند عن سالم بن ابي الجعد عن سالم قاله ابن القيم في رسالته في الصلاة (قلت) فيه انقطاع بين سالم وسلمان .

(٤) حديث ابن عباس أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن يسجد على سبعة أعضاء الخ متفق عليه وروى اسماعيل بن عبد الله المعروف بسمويه في فوائده عن عكرمة عن ابن عباس : اذا سجد احدكم فليضع أنفه على الارض فانتم قد أمرتم بذلك « نيل الاوطار » .

حتى يفرغ من صلاته » .

وروى البخاري عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه انه رأى رجلاً يصلي ولا يتم ركوع الصلاة ولا سجودها فقال له حذيفة صليت ولو مت وانت تصلي هذه الصلاة ، مت على غير فطرة محمد ﷺ .

وفي رواية ابي داود انه قال : منذ كم تصلي هذه الصلاة ؟ قال : منذ أربعين سنة . قال : ما صليت منذ اربعين سنة شيئاً ، ولو مت مت على غير فطرة محمد صلى الله عليه وآله وسلم !

وكان الحسن البصري يقول : يا ابن آدم اي شيء يعز عليك من دينك اذا هانت عليك صلاتك وأنت أول ما تسأل عنها يوم القيامة كما تقدم من قول النبي ﷺ : « اول ما يحاسب العبد يوم القيامة من عمله صلاته ، فان صلحت فقد افلح وانجح ، وان فسدت فقد خاب وخسر ، فان انتقص من الفريضة شيء يقول الله تعالى: انظروا هل لعبدي من تطوع فيكمل به ما انتقص من الفريضة ، ثم يكون سائر عمله كذلك[1] .

فينبغي للعبد ان يستكثر من النوافل حتى يكمل به مما انتقص من فرائضه وبالله التوفيق .

(فصل) في عقوبة تارك الصلاة (في جماعة) مع القدرة قال الله تعالى .

« يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ خَاشِعَةً أَبْصَارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ » .

---

(١) رواه الترمذي وغيره وقال : حسن غريب (منذري).

وذلك يوم القيامة يغشاهم ذل الندامة وقد كانوا في الدنيا يدعون إلى السجود. قال ابراهيم التيمي : يعني إلى الصلاة المكتوبة بالاذان والاقامة ، وقال سعيد بن المسيب : كانوا يسمعون « حي على الصلاة حي على الفلاح » فلا يجيبون وهم أصحاء سالمون .

وقال كعب الاحبار : والله ما نزلت هذه الآية إلا في الذين تخلفوا عن الجماعة . فأي وعيد أشد وابلغ من هذا لمن ترك الصلاة في الجماعة مع القدرة على اتيانها ؟ وأما من السنة فما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : لقد هممت ان آمر بالصلاة فتقام ، ثم آمرُ رجلاً فيؤم الناس ، ثم انطلق معي برجال معهم حزم من حطب إلى قوم لا يشهدون الصلاة في الجماعة ، فاحرق بيوتهم عليهم بالنار » ولا يتوعد بحرق بيوتهم عليهم الا على ترك واجب مع ما في البيوت من الذرية والمتاع .

وفي صحيح مسلم أن رجلاً أعمى أتى النبي ﷺ فقال : يا رسول الله ليس لي قائد يقودني إلى المسجد وسأل النبي ﷺ ان يرخص له أن يصلي في بيته فرخص له فلما ولى دعاه فقال « هل تسمع النداء بالصلاة ؟ قال : نعم ، قال : فأجب » ورواه أبو داود عن عمرو بن أم مكتوم أنه أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ان المدينة كثيرة الهوام والسباع وأنا ضرير البصر شاسع الدار – أي بعيد الدار – ولي قائد لا يلائمني فهل لي رخصة أن أصلي في بيتي ؟ فقال « هل تسمع النداء ؟» قال ، نعم ، قال « فأجب فاني لا أجد لك رخصة » .

فهذا رَجل ضرير البصر شكى ما يجد من المشقة في مجيئه إلى المسجد وليس له قائد يقوده إلى المسجد ، ومع هذا لم يرخص له النبي ﷺ في الصلاة في بيته فكيف بمن يكون صحيح البصر سليما لا عذر له ؟ ولهذا لما سئل ابن عباس رضي الله عنهما : عن رجل يصوم النهار ويقوم الليل ولا يصلي في جماعة ولا يجمع ؟ فقال : ان مات على هذا فهو في النار[1] .

(١) رواه الترمذي موقوفاً (المنذري) .

وقال ابو هريرة رضي الله عنه لأن تمتلىء اذن ابن آدم رصاصاً مذاباً خير له من ان يسمع النداء ولا يجيب[1] .

وروي[2] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : من سمع المنادي بالصلاة فلم يمنعه من اتباعه عذر ، قيل وما العذر يا رسول الله ؟ قال خوف أو مرض لم تقبل منه الصلاة التي صلى يعني في بيته .

واخرج الحاكم في مستدركه عن ابن عباس أيضاً قال : قال رسول الله ﷺ : وثلاثة لعنهم الله : من تقدم قوماً وهم له كارهون ، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط ، ورجل سمع حي على الصلاة حي على الفلاح ثم لم يجب » .

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد قيل : ومن جار المسجد ؟ قال : من سمع الاذان[3] .

وروى[4] البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : من سره أن يلقى الله غداً مسلماً — يعني يوم القيامة — فليحافظ على هؤلاء الصلوات الخمس حيث ينادي بهن ، فان الله شرع لنبيكم سنن الهدى ، وانهن من سنن الهدى ، ولو إنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم . ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق أو مريض ، ولقد كان الرجل يؤتى به يهادى بين رجلين حتى يقام في الصف أو حتى يجيء إلى المسجد لأجل صلاة الجماعة .

---

(١) عزاه الشيخ ابن القيم في كتاب الصلاة له إلى وكيع عن عبدالرحمن بن حصين عن ابي نجيح المكي عنه .

(٢) رواه ابو داود وابن حبان في صحيحه وابن ماجه (المنذري) .

(٣) رواه احمد في مسنده عن وكيع عن سفيان عن ابي حيان التيمي عن أبيه عنه ، كما في كتاب الصلاة للشيخ ابن القيم .

(٤) عزاه في « الترغيب والترهيب » إلى صحيح مسلم وابي داود ، وكذلك عزاه المصنف في الصغرى والطيبي نقله عنه الفتح ، فما هنا من عزوه للبخاري سبق قلم أو تحريف من النساخ .

وكان الربيع[١] بن خيثم قد سقط شقه في الفالج ، فكان يخرج إلى الصلاة يتوكأ على رجلين ، فيقال له : يا أبا محمد قد رخص لك أن تصلي في بيتك أنت معذور . فيقول : هو كما تقولون ، ولكن اسمع المؤذن يقول :حي على الصلاة حي على الفلاح ، فمن استطاع أن يجيبه ولو زحفا أو حبوا فليفعل .

وقال حاتم الاصم : فاتتني مرة صلاة الجماعة فعزاني ابو اسحاق البخاري وحده ، ولو مات لي ولد لعزاني أكثر من عشرة آلاف انسان ، لأن مصيبة الدين عند الناس أهون من مصيبة الدنيا !.

وكان بعض السلف يقول : ما فاتت أحداً صلاة الجماعة الا بذنب أصابه وقال ابن عمر خرج عمر يوماً إلى حائط له فرجع وقد صلى الناس العصر فقال عمر : إنا لله وإنا اليه راجعون فاتتني صلاة العصر في الجماعة . أشهدكم ان حائطي على المساكين صدقة ليكون كفارة لما صنع عمر رضي الله عنه ، والحائط : البستان فيه النخل .

(**فصل**) : ويكون إعتناؤه بحضور صلاة العشاء والفجر أشد ، فان النبي ﷺ قال : ان هاتين الصلاتين أثقل الصلوات على المنافقين ، يعني العشاء والفجر ، ولو يعلمون ما فيهما من الاجر لا توهما ولو حبوا[٢] .

وقال ابن عمر : كنا اذا تخلف منا انسان في صلاة العشاء والصبح في الجماعة اسأنا به الظن أن يكون قد نافق[٣] .

(**حكاية**) عن عبيد الله[٤] بن عمر القواريري رضي الله عنه قال : لم تكن تفوتني صلاة العشاء في الجماعة قط ، فنزل بي ليلة ضيف فشغلت بسببه وفاتتني صلاة

---

(١) مخضرم قال له ابن مسعود لو رآك النبي صلى الله عليه وسلم توفى سنة ٦٤ هـ (خلاصة)
(٢) رواه البخاري ومسلم من حديث ابى هريرة (المنذري) .
(٣) رواه البزار والطبراني وابن خزيمة فى صحيحه (المنذري) .
(٤) شيخ البخاري ومسلم وابى داود مات سنة ٢٣٥ هـ (خلاصة) .

العشاء في الجماعة ، فخرجت أطلب الصلاة في مساجد البصرة ، فوجدت الناس كلهم قد صلوا وغلقت المساجد ، فرجعت إلى بيتي وقلت : قد ورد في الحديث: ان صلاة الجماعة تزيد على صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة ، فصليت العشاء سبعاً وعشرين مرة ثم نمت ، فرأيت في المنام كأني مع قوم على خيل وأنا ايضاً على فرس ونحن نستبق ، وأنا أركض فرسي فلا الحقهم ، فالتفت إلى أحدهم فقال لي: لا تتعب فرسك فلست تلحقنا : قلت : ولم ؟ قال : لانا صلينا العشاء في جماعة وأنت صليت وحدك . فانتبهت وأنا مغموم حزين لذلك ، فنسأل الله المعونة والتوفيق انه جواد كريم .

الكبيرة الخامسة : منع الزكاة

قال الله تعالى : (لاَ يَحْسَبَنَّ الَّذينَ يَبْخَلُونَ بما آتَاهُمُ الله منْ فَضْلِه هُو خَيْراً لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقونَ مَا بَخِلوا به يَوْمَ القِيَامةَ) .

وقال الله تعالى : (وَوَيْلٌ لِلْمشركينَ الَّذينَ لاَ يُؤْتونَ الزَّكاةَ) فسماهم المشركين . وقال الله تعالى : (والَّذين يكْنزُونَ الذَّهبَ وَالْفضَّة ولاَ يُنْفِقُونَهَا في سَبيل الله فَبشِّرْهُم بِعَذَاب أليم ، يَوْمَ يُحْمى عَلَيْها في نَار جَهَنَّمَ فتُكْوَى بِهَا جبَاهُهُمْ وَجنُوبهُمْ وظُهورُهُمْ هذَا مَا كَنَزْتُمْ لأنفُسكُمْ فذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنزُونَ) .

وثبت[1] عن رسول الله ﷺ انه قال : (ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار ، فأحمي عليها في نار جهنم فيكوى بها جبينه وجنبيه وظهره . كلما بردت أعيدت له في يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضي الله بين الناس ، فيرى سبيله أما إلى الجنة وأما إلى النار . قيل : يا رسول الله فالابل ؟ قال : « ولا صاحب ابل لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع[2] قرقر أوفر ما كانت لا يفقد منها فصيلا واحداً تطؤه باخفافها وتعضه بأفواهها ، كلما مر عليه أولها ردّ عليه آخرها في يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضي الله بين الناس فيرى سبيله أما إلى الجنة وأما إلى النار قيل : يا رسول الله فالبقر والغنم ؟ قال : (ولا صاحب بقر ولا غنم لا يؤدي منها حقها إلا اذا كان يوم القيامة بطح لها بقاع قرقر ليس فيها عقصاء[3] ولا جلحاء ولا عضباء تنطحه بقرونها وتطؤه باظلافها[4] كلما مر علية أولاها رد عليه أخراها في يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى يقضي الله بين الناس ، فيرى سبيله أما إلى الجنة وأما إلى النار .

وقال[5] ﷺ : أول ثلاثة يدخلون النار — أمير مسلط ، وذو ثروة من مال لا يؤدي حق الله تعالى من ماله ، وفقير فخور .

وعن ابن عباس[6] رضي الله عنهما قال: من كان له مال يبلغه حج بيت الله تعالى ولم يحج ، أو تجب فيه الزكاة ولم يزك سأل الرجعة عند الموت ، فقال له رجل: اتق

---

(١) رواه البخاري ومسلم بهذا اللفظ والنسائي مختصراً (منذري) .
(٢) هو المستوى من الارض الاملس .
(٣) العقصاء : الملتوية القرن ، والجلحاء : التي لها قرن ، والعضباء : المكسورة القرن .
(٤) الأظلاف للبقر والغنم : كالحافر للفرس .
(٥) رواه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما وفي حديث ابي هريرة (منذري) .
(٦) عزاه ابن كثير في تفسيره إلى الترمذي بسنده إلى الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس رواه مرفوعاً ، ثم قال : وهو عن ابن عباس من قوله أصح . قال ابن كثير : ورواية الضحاك عن ابن عباس فيها انقطاع .

الله يا ابن عباس فانما يسأل الرجعة الكفار . فقال ابن عباس : سأتلو عليك بذلك قرآنا ، قال الله تعالى :

(وأنفِقُوا مِمَّا رَزَقْناكُمْ مِنْ قَبْلِ أن يأتِيَ أحَدَكُمُ الموْتُ فيَقُولَ رَبِّ لوْلا أخَّرْتَني إلى أجَلٍ قَريبٍ فأصَّدَّق) .

أي أؤدي الزكاة (وأكن من الصالحين) أي أحج . قيل له : فما يوجب الزكاة ؟ قال : إذا بلغ المال مائتي درهم وجبت فيه الزكاة ،قيل فما يوجب الحج؟ قال : الزاد والراحلة .

ولا تجب الزكاة في الحلي المباح إذا كان معداً للاستعمال ، فان كان معداً للقنية أو الكراء وجبت فيه الزكاة .

وتجب في قيمة عروض التجارة ، وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من آتاه الله مالاً فلم يؤد زكاته مثل له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيامة فيأخذ بلهزميته (أي بشدقيه) فيقول : أنا مالك ، أنا كنزك . ثم تلا هذه الآية :

(ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم ، سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) اخرجه البخاري .

وعن ابن مسعود[١] رضي الله عنه في قول الله تعالى في ما نعي الزكاة : (يوم يحمي عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم) قال : لا يوضع دينار على دينار ولا درهم على درهم ولكن يوسع جلده حتى يوضع كل دينار ودرهم على حدته .

فان قيل : لم خص الجباه والجنوب والظهور بالكي ؟ قيل: لان الغني البخيل

(١) رواه الطبراني في الكبير باسناد صحيح (منذري) .

اذا رأى الفقير عبس وجهه وزوى ما بين عينيه وأعرض بجنبه ، فاذا قرب منه ولي بظهره فعوقب بكي هذه الاعضاء ليكون الجزاء من جنس العمل .

وقال [١] ﷺ : « خمس بخمس » قالوا : يا رسول الله وما خمس بخمس ؟ قال : « ما نقض قوم العهد الا سلط الله عليهم عدوهم ، وما حكموا بغير ما أنزل الله الا فشا فيهم الفقر ، وما ظهرت فيهم الفاحشة الا فشا فيهم الموت [٢] ، ولا طففوا المكيال والميزان الا منعوا النبات واخذوا بالسنين ، ولا منعوا الزكاة الا حبس عنهم القطر » .

(**موعظة**) قل للذين شغلهم في الدنيا غزورهم انما في غد ثبورهم ما نفعهم ما جمعوا . اذا جاء محذورهم . يوم يحمي عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم . فكيف غابت عن قلوبهم وعقولهم . يوم يحمي عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم . أخذ المال الى دار ضرب العقاب فجعل في بودقة [٣] ليحمي ليقوى العذاب . فصفح صفائح كي يعم الكي الاهاب ، ثم جيء بمن عن الهدى قد غاب . يسعى الى مكان لا مع قوم يسعى نورهم . ثم يحمي عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم . اذا لقيهم الفقير لقي الاذى . فان طلب منهم شيئاً طار [٤] منهم لهب الغضب كالجذا [٥] . فان لطفوا به قالوا أعنتكم ذا . وسؤال هذا لذا [٦] . ولو شاء ربك لاغنى المحتاج وأعوز ذا . ونسوا حكمة الخالق في غنى ذا وفقر ذا . واعجبا كم يلقاهم من غم

---

(١) ذكره بنحو هذا اللفظ المنذري وقال : رواه الطبراني من حديث ابن عباس وسنده قريب من الحسن وله شواهد .

(٢) في نسخة : الجنون .

(٣) البودقة أو البوتقة : ما يصهر فيه الفلذات كالحديد والذهب والفضة .

(٤) وفي نسخة : ثار .

(٥) الجذوة : الجمرة الملتهبة بضم الجيم وتفتح ، جمعها جذى مثل مدى وقرى وتكسر أيضاً فتكسر في الجمع مثل جذية وجذى (المصباح) .

(٦) وفي نسخة : لهذا .

اذا ضمتهم قبورهم. يوم يحمي عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم . سيأخذها الوارث منهم من غير تعب . ويسأل عنها الجامع من أين اكتسب ما اكتسب . الا أن الشوك له وللوارث الرطب. اين حرص الجامعين، اين عقولهم يوم يحمي عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم. لو رأيتهم في طبقات النار . يتقلبون على جمرات الدرهم والدينار . وقد غلت اليمين مع اليسار لما [1] بخلوا مع الايسار لو رأيتهم في الجحيم يسقون من الحميم . وقد ضج صبورهم ، يوم يحمي عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم . كم كانوا يوعظون في الدنيا وما فيهم من يسمع . كم خوفوا من عقاب الله وما فيهم من يفزع كم أنبئوا بمنع الزكاة وما فيهم من يدفع . فكأنهم بالاموال وقد انقلبت شجاعاً أقرع . فما هي عصى موسى ولا طورهم . يوم يحمي عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم .

(حكاية) : روي عن محمد بن يوسف [2] القريابي قال : خرجت انا وجماعة من أصحابي [3] في زيارة ابي سنان رحمه الله ، فلما دخلنا عليه وجلسنا عنده قال : قوموا بنا نزور جاراً لنا مات أخوه ونعزيه فيه ، فقمنا معه ودخلنا على ذلك الرجل ، فوجدناه كثير البكاء والجزع على أخيه ، فجلسنا نسليه ونعزيه وهو لا يقبل تسلية ولا تعزية ، فقلنا : أما تعلم ان الموت سبيل لا بد منه ! قال : بلى ولكن ابكي على ما أصبح وأمسى فيه أخي من العذاب ، فقلنا له : هل أطلعك الله على الغيب ؟ قال : لا ، ولكن لما دفنته وسويت عليه التراب وانصرف الناس جلست عند قبره ، إذ صوت من قبره يقول : آه أقعدوني وحيداً اقاسي العذاب ، قد كنت أصلي ، قد كنت أصوم . قال : فأبكاني كلامه فنبشت عنه التراب لأنظر حاله ، وإذا القبر يشتعل عليه

(١) وفي نسخة : مما .

(٢) هو صاحب الثوري وأحمد واسحاق والبخاري ولد سنة ١٢٠ هـ وتوفي سنة ٢١٢ هـ .

(٣) توفي أبو ذر قبل ولادة القريابي باكثر من ثمانين سنة ، وهذا وحده يكفي لاظهار كذب هذه الرواية .

ناراً وفي عنقه طوق من نار ، فحملتني شفقة الأخوة ومددت يدي لأرفع الطوق عن رقبته فاحترقت اصابعي ويدي ، ثم أخرج الينا يده فاذا هي سوداء محترقة. قال فرددت عليه التراب وانصرفت ، فكيف لا أبكي على حاله وأحزن عليه ؟ فقلنا : فما كان أخوك يعمل في الدنيا ؟ قال : كان لا يؤدي الزكاة من ماله ، قال فقلنا هذا تصديق قول الله تعالى :

(ولا تحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة) .

وأخوك عجل له العذاب في قبره إلى يوم القيامة . قال : ثم خرجنا من عنده وأتينا أبا ذر صاحب رسول الله ﷺ وذكرنا له قصة الرجل ، وقلنا له : يموت اليهودي والنصراني ولا نرى فيهم ذلك ! فقال : أولئك لا شك انهم في النار ، وانما يريكم الله في أهل الايمان لتعتبروا . قال الله تعالى :

(فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِه . وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْها . وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيد) .

فنسأل الله العفو والعافية انه جواد كريم .

الكبيرة السادسة : افطار يوم من رمضان بلا عذر :

قال الله تعالى :

(يَا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ كما كُتِب عَلى الَّذينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ، أَيَّاماً مَعْدُودات فَمَنْ كانَ مِنْكُمْ مَريضاً أَوْ عَلى سَفَر فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخر).

وثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ انه قال : « بني الاسلام على خمس:

شهادة أن لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان » .

وقال ﷺ[١] : « من أفطر يوماً من رمضان بلا عذر لم يقضه صيام الدهر وأن صامه » ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما « عرى الاسلام وقواعد الدين ثلاث : شهادة أن لا إله إلا الله والصلاة وصوم رمضان » فمن ترك واحدة منهن فهو كافر . نعوذ بالله من ذلك .

الكبيرة السابعة : في ترك الحج مع القدرة عليه :

قال الله تعالى (ولله على النَّاس حِجُّ البَيْتِ من اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلا) .

وقال[٢] النبي ﷺ : « من ملك زاداً وراحلة تبلغه حج بيت الله الحرام ولم يحج ، فلا عليه ان يموت يهودياً أو نصرانياً » . وذلك لأن[٣] الله تعالى يقول : (ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) .

وقال عمر بن الخطاب[٤] رضي الله عنه : لقد هممت ان أبعث رجالاً إلى هذه الأمصار فينظروا كل من له جدة ولم يحج فليضربوا عليهم الجزية وما هم بمسلمين .

---

(١) رواه الترمذي والنسائي وابن ماجة وابن خزيمة في صحيحه كلهم من رواية ابن المطوس وقيل ابي المطوس عن أبيه عن أبي هريرة، وذكره البخاري تعليقاً غير مجزوم . ويذكر عن ابي هريرة رفعه الخ. قال البخاري : لا أدري سمع ابوه من ابي هريرة أم لا ، وقال ابن حبان : لا يحتج بما انفرد به والله اعلم (منذري)، وقال المصنف في الصغرى : هذا لم يثبت.

(٢) رواه الترمذي والبيهقي من رواية الحارث – أي الاعور – عن علي قال الترمذي : غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وله شاهد عند البيهقي من حديث ابي أمامه (منذري) .

(٣) وفي نسخة : بأن ، وفي نسخة : أن .

(٤) رواه سعيد بن منصور في سننه عن الحسن البصري قال : قال عمر فذكره . قاله ابن كثير في تفسيره .

وعن ابن عباس[1] رضي الله عنهما قال : مـا من أحد لم يحج ولم يؤد زكاة ماله إلا سأل الرجعة عند الموت فقيل : له انما يسأل الرجعةالكفار . قال : وان ذلك في كتاب الله تعالى : (وانفقوا ممـا رزقناكم من قبل ان يأتي احدكم الموت فيقول رب لولا أخرتني إلى أجل قريب فأصدق) أي أؤدي الزكاة (وأكن من الصالحين) أي أحج ، (ولن يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون) قيل : فيم تجب الزكاة ؟ قال : بمائتي درهم وقيمتها من الذهب ، قيل فما يوجب الحج ؟ قال : الزاد والراحلة . وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه قال : مات لي جارموسر لم يحج فلم أصل عليه .

الكبيرة الثامنة : عقوق الوالدين

قال الله تعـالى : (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا) أي براً بهما وشفقة وعطفاً عليهما . (إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الكبر أحدُهما أَوْ كلاهُما فَلا تَقُلْ لَهُما أُفٍّ ولا تَنْهَرْهُما) : أي لا تقل لهما بتبرم إذا كبرا وأسنا . وينبغي أن تتولى خدمتهما مـا توليا من خدمتك على أن الفضل المتقدم وكيف يقع التساوي ، وقد كانا يحملان أذاك راجـين حياتك ، وأنت إن حملت أذاهما رجوت موتهما . ثم قال الله تعالى : (وقُلْ لَهُما قَوْلًا كَرِيمًا) أي ليناً لطيفاً . (واخْفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ من الرَّحْمَة وقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُما كما رَبَّياني صَغيراً) .

وقال الله تعالى (أنِ اشكرْ لي ولوالدَيْكَ إليَّ المصيرُ) .

---

(١) تقدم في منع الزكاة .

فانظر رحمك الله كيف قرن شكرهما بشكره . قال ابن عباس رضي الله عنهما : ثلاث آيات نزلت مقرونة بثلاث ، لا تقبل منها واحدة بغير قرينتها (احداهما) قول الله تعالى : (اطيعوا الله واطيعوا الرسول). فمن أطاع الله ولم يطع الرسول لم يقبل منه . (الثانية) قول الله تعالى : (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) فمن صلى ولم يزك لم يقبل منه . (الثالثة) قول الله تعالى (أن اشكر لي ولوالديك) فمن شكر الله ولم يشكر لوالديه لم يقبل منه . ولذا قال[1] النبي ﷺ : « رضى الله في رضى الوالدين وسخط الله في سخط الوالدين » .

وعن ابن عمرو رضي الله عنهما قال : جاء رجل يستأذن النبي ﷺ في الجهاد معه ، فقال النبي ﷺ : « أحي والداك ؟ قال : نعم . قال : ففيهما فجاهد » خرج[2] في الصحيحين ، فانظر كيف فضل بر الوالدين وخدمتهما على الجهاد !

وفي الصحيحين[3] ان رسول الله ﷺ قال : « الا أنبئكم بأكبر الكبائر : الاشراك بالله وعقوق الوالدين[4] » . فانظر كيف قرن الاساءة اليهما وعدم البر والاحسان بالإشراك وفي الصحيحين أيضاً ان رسول الله ﷺ قال : « لا يدخل الجنة عاق ولا منان ولا مدمن خمر » . وعنه ﷺ قال :[5] « لو علم الله شيئاً أدنى من الأف لنهى عنه ، فليعمل العاق ما شاء أن يعمل فلن يدخل الجنة . وليعمل البار ما شاء أن يعمل فلن يدخل النار » . وقال ﷺ : « لعن الله العاق

---

(١) رواه الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو ورجح وقفه عليه ، وابن حبان والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم ، وله شاهد عن أبي هريرة عند الطبراني بلفظ طاعة الله الخ (منذري).

(٢) وكذا رواه أبو داود والترمذي والنسائي كلهم من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص (منذري) .

(٣) وكذا رواه الترمذي ، ثلاثتهم من حديث ابي بكرة اهـ منه .

(٤) تمامه . وكان متكئاً فجلس فقال : « ألا وقول الزور وشهادة الزور » فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت .

(٥) رواه الديلمي من حديث احرم بن حوشب بسنده إلى الحسين بن علي ، وأحرم كذاب قاله في ذيل اللآلىء للسيوطي .

لوالديه » . وقال[1] ﷺ : « لعن الله من سب أباه ، لعن الله من سب أُمه » . وقال[2] ﷺ : « كل الذنوب يؤخر الله منها ما شاء إلى يوم القيامة إلا عقوق الوالدين فانه يعجل لصاحبه » يعني العقوبة في الدنيا قبل يوم القيامة .

وقال كعب الأحبار رحمه الله : ان الله ليعجل هلاك العبد إذا كان عاقا لوالديه ليعجل له العذاب ، وان الله ليزيد في عمر العبد إذا كان باراً بوالديه ليزيده براً وخيراً . ومن برهما ان ينفق عليهما إذا احتاجا[3] . فقد جاء رجل إلى النبي ﷺ ، فقال : يا رسول الله ان أبي يريد أن يجتاح مالي . فقال ﷺ : « أنت ومالك لأبيك » وسئل كعب الأحبار عن عقوق الوالدين ما هو ؟ قال : هو إذا أقسم عليه أبوه أو أمه لم يبر قسمهما ، وإذا أمره بأمر لم يطع أمرهما ، وإذا سألاه شيئاً لم يعطهما ، وإذا ائتمناه خانهما .

وسئل ابن عباس[4] رضي الله عنهما عن أصحاب الاعراف من هم وما الاعراف ؟ فقال : أما الاعراف فهو جبل بين الجنة والنار ، وانما سمي الاعراف لأنه مشرف على الجنة والنار وعليه أشجار وثمار وأنهار وعيون ، وأما الرجال الذين يكونون عليه فهم رجال خرجوا إلى الجهاد بغير رضا آبائهم وأمهاتهم فقتلوا في الجهاد ، فمنعهم القتل في سبيل الله عن دخول النار ، ومنعهم عقوق الوالدين عن دخول الجنة ، فهم على الاعراف حتى يقضي الله فيهم أمره .

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه من حديث ابن عباس (منذري) .

(٢) رواه الحاكم من حديث ابي بكر وقال صحيح الاسناد (منذري) .

(٣) رواه ابن ماجه من حديث يوسف بن اسحاق عن محمد بن المنكدر عن جابر : ان رجلا جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذكره ، وكذا أخرجه من هذا الوجه الطحاوي وبقي بن مخلد والطبراني في الاوسط، وله طرق أخرى عدها السخاوى في المقاصد الحسنة .

(٤) رواه سعيد بن منصور عن أبي معشر عن يحيى بن شبل عن يحيى ابن عبد الرحمن المدني عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وكذا رواه ابن مردويه وابن جرير وابن ابي حاتم من من طرق عن ابي معشربه،وروى مرفوعاً عند ابن ماجه في حديث ابن عباس وجابر ،وتوقف ابن كثير في صحة المرفوع وقال : وقصارهـا ان تكون موقوفة ا هـ .

وفي الصحيحين[1] « أن رجلاً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله من أحق الناس مني بحسن الصحبة ؟ قال أمك. قال ثم من ؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال : أمك. قال : ثم من؟ قال: أبوك ، ثم الأقرب فالأقرب ». فحض على بر الأم ثلاث مرات، وعلى بر الأب مرة واحدة. وما ذاك الا لأن عناءها أكثر وشفقتها أعظم ، مع ما تقاسيه من حمل وطلق وولادة ورضاعة وسهر ليل .

رأى ابن عمر رضي الله عنهما رجلاً قد حمل أمه على رقبته وهو يطوف بها حول الكعبة . فقال: يا ابن عمر أتراني جازيتها ؟ قال : ولا بطلقة واحدة من طلقاتها ولكن قد أحسنت ، والله يثيبك على القليل كثيراً .

وعن ابي هريرة رضي الله عنه [2] قال : قال رسول الله ﷺ : « اربعة نفر حق على الله ان لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها : مدمن خمر ، وآكل الربا ، وآكل مال اليتيم ظلماً ، والعاق لوالديه الا أن يتوبوا» . وقال [3] ﷺ : « الجنة تحت اقدام الامهات » ، وجاء رجل [4] الى ابي الدرداء رضي الله عنه فقال : يا ابا الدرداء اني تزوجت امرأة وان أمي تأمرني بطلاقها . فقال ابو الدرداء : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الوالد أوسط أبواب الجنة فان شئت فأضع ذلك الباب او احفظه » . وقال [5] ﷺ « ثلاث دعوات مستجابات لا شك فيهن : دعوة المظلوم ، ودعوة المسافر ، ودعوة الوالد على ولده » . وقال [6]

---

(١) وفي نسخة : وفي الصحيح .

(٢) رواه الحاكم وقال صحيح الاسناد (قال الحافظ – المنذري – فيه ابراهيم بن خثيم ابن عراك وهو متروك (ترهيب) .

(٣) روي نحوه ابن ماجه والنسائي والحاكم من حديث جاهمة بلفظ « هل لك أم قال نعم قال فالزمها فان الجنة تحت رجلها » (منذري) .

(٤) رواه ابن ماجه والترمذي وقال صحيح ، وابن حبان نحوه ، وله شاهد عن ابن عمر رواه ابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان . وقال حسن صحيح (منذري) .

(٥) قال المنذري : وفي رواية حسنة للترمذي فذكره كما هنا عن ابي هريرة ثم قال : وروي ابو داود هذه بتقديم وتأخير وله شاهد من حديث عقبة بن عامر عند الطبراني باسناد صحيح (ترغيب) ملخصاً .

(٦) صححه الترمذي قاله المصنف في رسالته الصغرى ،

ﷺ : « الخالة بمنزلة الام اي في البر والاكرام والصلة والاحسان » . وعن وهب بن منبه قال : ان الله تعالى أوحى الى موسى صلوات الله وسلامه عليه يا موسى وقر والديك ، فان من وقر والديه مددت في عمره ووهبت له ولداً يوقره ، ومن عق والديه قصرت في عمره ووهبت له ولداً يعقه .

وقال ابو بكر بن ابي مريم : قرأت في التوراة ان من يضرب اباه يقتل . وقال وهب : قرأت في التوراة : على من صك والده الرجم .

وعن عمرو بن مرة الجهني [١] قال : جاء رجل الى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله أرأيت اذا صليت الصلوات الخمس ، وصمت رمضان ، وأديت الزكاة ، وحججت البيت ، فماذا لي ؟ فقال رسول الله ﷺ : من فعل ذلك كان مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين الا ان يعق والديه . وقال ﷺ : لعن الله العاق والديه [٢] ، وجاء عن رسول الله ﷺ قال : « رأيت ليلة أسري بي أقواماً في النار معلقين في جذوع من نار فقلت : يا جبريل من هؤلاء » قال : الذين يشتمون آباءهم وأمهاتهم في الدنيا » .

وروي انه من شتم والديه ينزل عليه في قبره جمر من نار بعدد كل قطر ينزل من السماء الى الارض . ويروى انه اذا دفن عاق والديه عصره القبر حتى تختلف فيه اضلاعه وأشد الناس عذاباً يوم القيامة ثلاثة : المشرك والزاني والعاق لوالديه .

وقال بشر : ما من رجل يقرب من أمه حيث يسمع كلامها الا كان أفضل من الذي يضرب بسيفه في سبيل الله والنظر اليها أفضل من كل شيء ، وجاء رجل وأمرأة الى رسول الله ﷺ يختصمان في صبي لهما فقال الرجل : يا رسول

---

(١) رواه احمد والطبراني بإسنادين أحدهما صحيح ورواه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما باختصار .

(٢) قال المصنف في الصغرى : اسناده حسن .

الله ولدي خرج من صلبي ، وقالت المرأة : يا رسول الله حمله خفاً ووضعه شهوة وحملته كرهاً ووضعته كرهاً وأرضعته حولين كاملين ، فقضى به رسول الله ﷺ لامه (١) .

(موعظة) : ايها المضيع لآكد الحقوق ، المعتاض من بر الوالدين العقوق ، الناسي لما يجب عليه ، الغافل عما بين يديه ، بر الوالدين عليك دين ، وأنت تتعاطاه باتباع الشين ، تطلب الجنة بزعمك ، وهي تحت أقدام أمك . حملتك في بطنها تسعة أشهر كأنها تسع حجج . وكابدت عند الوضع ما يذيب المهج ، وأرضعتك من ثديها لبنا ، وأطارت لاجلك وسنا ، وغسلت بيمينها عنك الأذى ، وآثرتك على نفسها بالغذاء ، وصيرت حجرها لك مهداً ، وأنالتك احساناً ورفداً ، فان أصابك مرض أو شكاية ، أظهرت من الأسف فوق النهاية ، واطالت الحزن والنحيب ، وبذلت مالها للطبيب ، ولو خيرت بين حياتك وموتها ، لطلبت حياتك بأعلى صوتها ، هذا وكم عاملتها بسوء الخلق مراراً ، فدعت لك بالتوفيق سراً وجهاراً . فلما احتاجت عند الكبر اليك ، جعلتها من أهون الأشياء عليك ، فشبعت وهي جائعة ورويت وهي قانعة . وقدمت عليها أهلك وأولادك بالاحسان ، وقابلت أياديها بالنسيان وصعب لديك أمرها وهو يسير ، وطال عليك عمرها وهو قصير ، هجرتها ومالها سواك نصير ، هذا ومولاك قد نهاك عن التأفف ، وعاتبك في حقها بعتاب لطيف ستعاقب في دنياك بعقوق البنين ، وفي أخراك بالبعد من رب العالمين ، يناديك بلسان التوبيخ والتهديد (ذلك بما قدمت يداك وان الله ليس بظلام للعبيد) :

لأمك حق لو علمت كثير	كثيرك يا هذا لديه يسير
فكم ليلة باتت بثقلك تشتكي	لها من جواها أنة وزفير
وفي الوضع لو تدري عليها مشقة	فمن غصص منها الفؤاد يطير

(١) روى احمد وابو داود من حديث عمرو بن شعيب عن جده نحو هذا الحديث .

وكم غسلت عنك الأذى بيمينها — وما حجرها الا لديك سرير
وتفديك مما تشتكيه بنفسها — ومن ثديها شرب لديك نمير
وكم مرة جاعت وأعطتك قوتها — حنانا واشفاقا وانت صغير
فآها لذي عقل ويتبع الهوى — وآها لأعمى القلب وهو بصير
فدونك فارغب في عميم دعائها — فأنت لما تدعو اليه فقير

حكي[1] انه كان في زمن النبي ﷺ شاب يسمى علقمة وكان كثير الاجتهاد في طاعة الله في الصلاة والصوم والصدقة ، فمرض واشتد مرضه فأرسلت امرأته إلى رسول الله ﷺ : ان زوجي علقمة في النزع ، فأردت ان اعلمك يا رسول الله بحاله. فأرسل النبي ﷺ عمار أو صهيباً وبلالا وقال: امضوا اليه ولقنوه الشهادة فمضوا اليه ودخلوا عليه فوجدوه في النزع ، فجعلوا يلقنونه (لا إله الا الله) ، ولسانه لا ينطق بها فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ يخبرونه انه لا ينطق لسانه بالشهادة . فقال النبي ﷺ : هل من ابويه أحد حي ؟ قيل : يا رسول الله أم كبيرة السن ، فأرسل اليها رسول الله ﷺ وقال للرسول : قل لها ان قدرت على المسير إلى رسول الله ﷺ وإلا فقري في المنزل حتى يأتيك . قال : فجاء اليها الرسول فأخبرها بقول رسول الله ﷺ فقالت : نفسي لنفسه فداء ، أنا أحق باتيانه . فتوكأت وقامت على عصا ، وأتت رسول الله ﷺ فسلمت فرد عليها السلام وقال لها : يا أم علقمة أصدقيني وان كذبتي جاء الوحي من الله

---

(١) في الترغيب والترهيب : روى عن عبد الله بن ابي أوفى قال : كنا عند النبي صلى الله عليه وسلم فأتاه آت فقال شاب يجود بنفسه – فذكر قصة نحو هذه القصة التي هنا ، ثم قال رواه الطبراني وأحمد مختصراً ، وذكرها ابن الجوزي في الموضوعات بدون تسمية الشاب ، ثم قال : لا يصح فائد – أي ابن عبد الرحمن العطار – متروك قال العقيلي : لا يتابع عليه وداود – يعني ابن ابراهيم قاضي قذوين – كذاب .

ونازعه السيوطي بأن داود لم ينفرد به ، ثم ساقه إلى الخرائطي في مساوي الأخلاق والبيهقي في شعب الايمان والطبراني ، كلها من طريق فائد بن عبد الرحمن العطار عن عبد الله ابن أبي أوفى نحوه.

تعالى، كيف كان حال ولدك علقمة؟ قالت: يا رسول الله كثير الصلاة، كثير الصيام كثير الصدقة . قال رسول الله ﷺ فما حالك ؟ قالت : يا رسول الله أنا عليه ساخطة . قال : ولم ؟ قالت : يا رسول كان يؤثر علي زوجته ويعصيني . فقال رسول الله ﷺ : ان سخط أم علقمة حجب لسان علقمة عن الشهادة . ثم قال: يا بلال انطلق وأجمع لي حطباً كثيراً . قالت يا رسول الله ومـــا تصنع ؟ قال : أحرقه بالنار بين يديك. قالت: يا رسول الله ولدي لا يحتمل قلبي ان تحرقه بالنار بين يدي . قال : يا أم علقمة عذاب الله أشد وأبقى ، فان سرك أن يغفر الله له فارضي عنه فوالذي نفسي بيده لا ينتفع علقمة بصلاته ولا بصيامه ولا بصدقته ما دمت عليه ساخطة . فقالت :يا رسول الله اني اشهد الله تعالى وملائكته ومن حضرني من المسلمين اني قد رضيت عن ولدي علقمة . فقال رسول الله ﷺ : انطلق يا بلال اليه وانظر هل يستطيع ان يقول لا إله إلا الله أم لا ؟ فلعـل أم علقمة تكلمت بما ليس في قلبها حياء مني . فانطلق فسمع علقمة من داخل الدار يقول :(لا اله الا الله)، فدخل بلال فقال : يا هؤلاء ان سخط أم علقمة حجب لسانه عن الشهادة ، وأن رضاها أطلق لسانه . ثم مات علقمة من يومه ، فحضره رسول الله ﷺ فأمر بغسله وكفنه ثم صلى عليه وحضر دفنه ، ثم قام على شفير قبره وقال : يا معشر المهاجرين والانصار من فضل زوجته على أمه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلا الا أن يتوب إلى الله عز وجل ويحسن اليها ويطلب رضاها ، فرضى الله في رضاها وسخط الله في سخطها . فنسأل الله أن يوفقنا لرضاه ، وان يجنبنا سخطه ، انه جواد كريم رؤوف رحيم .

قال الله تعالى : (واتَّقوا اللهَ الَّذي تَساءَلونَ به والأرْحامَ) أي واتقوا الأرحام أن تقطعوها . وقال الله تعالى : (فَهَلْ عَسَيْتُمْ إن تَوَلَّيتُمْ أنْ تُفْسِدُوا في الأرْض وتُقَطِّعُوا أرْحامَكم أولئك الَّذينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فأصَمَّهُمْ وأعْمى أبْصارَهُمْ) . وقال الله تعالى : (والَّذينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللهِ ولا ينْقضونَ الميثاقَ ، والَّذينَ يَصِلُونَ ما أمَرَ اللهُ به أنْ يُوصَلَ ويَخْشوْنَ رَبَّهُمْ ويَخافونَ سُوء الحساب) . وقال الله تعالى : (يُضلُّ به) أي بالقرآن (كَثيراً ويَهدي به كَثيراً ومَا يُضلُّ به إلَّا الفَاسقينَ الَّذينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ الله مِنْ بَعْد ميثَاقه ويقْطَعُونَ مَا أمرَ اللهُ بـه أن يوصَلَ ويُفْسدُونَ في الأرْض أولئكَ هُمُ الخاسِرُونَ) .

أعظم ذلك ما بين العبد وبين الله ما عهده الله على العبيد .

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : « لا يدخل الجنة قاطع رحم » . فمن قطع اقاربه الضعفاء وهجرهم وتكبر عليهم ولم يصلهم ببره واحسانه وكان غنياً وهم فقراء فهو داخل في هذا الوعيد ، محروم عن دخول الجنة ، الا ان يتوب إلى الله عز وجل ويحسن اليهم وقد ورد في الحديث[1] عن رسول الله ﷺ انه قال :

(١) رواه الطبراني ورواته ثقات من حديث ابي هريرة وفي منده عبد الله بن عامر الاسلمي ، قال ابو حاتم ليس بالمتروك (منذري) .

من كان له أقارب ضعفاء ولم يحسن اليهم ويصرف صدقته إلى غيرهم لم يقبل الله منه صدقته ولا ينظر اليه يوم القيامة ، وان كان فقيراً وصلهم بزيارتهم والتفقد لاحوالهم لقول النبي ﷺ « صلوا ارحامكم ولو بالسلام » .

وقال ﷺ : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليصل رحمه[1]» وفي الحديث عن رسول الله ﷺ انه قال : « ليس الواصل بالمكافيء ، ولكن الواصل الذي من إذا قطعت رحمه وصلها » .

وقال ﷺ [2] : يقول الله تعالى « أنا الرحمن وهي الرحم فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته » . وعن علي بن الحسين رضي الله عنهما انه قال لولده: يا بني لا تصحبن قاطع رحم فاني وجدته ملعوناً في كتاب الله في ثلاثة مواضع .

وروي عن ابي هريرة رضي الله عنه[3] انه جلس يحدث عن رسول الله ﷺ فقال : أحرج على كل قاطع رحم إلا قام من عندنا ، فلم يقم أحد إلا شاب من أقصى الحلقة ، فذهب إلى عمته لأنه كان قد صارمها منذ سنين فصالحها . فقالت له عمته : ما جاء بك يا ابن أخي فقال اني جلست إلى أبي هريرة صاحب رسول الله ﷺ فقال : أحرج كل قاطع رحم الا قام من عندنا ، فقالت له عمته : ارجع إلى أبي هريرة وأسأله لم ذلك فرجع اليه وأخبره بما جرى له مع عمته وسأله : لم لا يجلس عندك قاطع رحم ؟ فقال أبو هريرة : اني سمعت رسول الله ﷺ يقول: « ان الرحمة لا تنزل على قوم فيهم قاطع رحم » . وحكي أن رجلاً من الاغنياء حج إلى بيت الله الحرام ، فلما وصل إلى مكة أودع من ماله الف دينار عند رجل كان موسوماً بالامانة والصلاح إلى أن يقف بعرفات ، فلما وقف بعرفات

---

(١) رواه البخاري واللفظ له ، وأبو داود والترمذي .

(٢) رواه ابو داود والترمذي من رواية ابي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه ، وقال الترمذي : حسن صحيح ، وتعقب المنذري تصحيحه بأن سلمة لم يسمع من ابيه شيئاً .

(٣) عزاه في (الترغيب والترهيب) الى الاصبهاني من رواية عبدالله بن ابي أوفى ، وأشار إلى ضعفه وعزاه في (الجامع الصغير) إلى الأدب المفرد) للبخاري من حديث عبدالله ابن ابي أوفى وضعفه .

ورجع إلى مكة وجد الرجل قد مات، فسأل أهله عن ماله علم انه لم يكن لهم به علم فأتى علماء مكة فأخبرهم بحاله وماله فقالوا له : إذا كان نصف الليل فأت زمزم[1] وانظر فيها ، وناد يا فلان باسمه فان كان من أهل الجنة فسيجيبك بأول مرة ، فمضى الرجل ونادى في زمزم فلم يجبه أحد ، فجاء اليهم وأخبرهم فقالوا: (إنا لله وإنا اليه راجعون) . نخشى أن يكون صاحبك من أهل النار ، اذهب إلى أرض اليمن ففيها بئر يسمى برهوت يقال انه على فم جهنم فانظر فيه بالليل ، وناد يا فلان فان كان من أهل النار فسيجيبك منها فمضى إلى اليمن وسأل عن البئر فدل عليها ، فأتاها بالليل ونظر فيها ونادى يا فلان ، فأجابه فقال : أين ذهبي ؟ قال دفنته في الموضع الفلاني من داري ولم ائتمن عليه ولدي ، فأتهم واحفر هناك تجده. فقال له : ما الذي انزلك ههنا وكنا نظن بك الخير ؟ فقال : كان لي أخت فقيرة هجرتها وكنت لا أحنو عليها فعاقبني الله سبحانه بسببها وانزلني الله هذه المنزلة .

وتصديق ذلك في الحديث الصحيح قوله ﷺ : « لا يدخل الجنة قاطع » يعني قاطع رحم كالأخت والخالة والعمة وبنت الأخت وغيرهم من الأقارب ، فنسأل الله التوفيق لطاعته انه جواد كريم .

---

(1) قال الامام « ابن القيم » في كتابه « الروح » : وأما من قال : ان ارواح المؤمنين تجتمع ببئر زمزم فلا دليل على هذا القول من كتاب ولا من سنة يجب التسليم بهما ، ولا قول صاحب يوثق به وليس بصحيح ، فان تلك البئر لا تسع ارواح المؤمنين جميعهم ، وهو مخالف لما ثبتت به السنة الصريحة من ان نسمة المؤمن طائر يعلق في ثمر الجنة . وبالجملة فهذا من أبطل الأقوال وأفسدها. وناقش ما قيل ان ارواح المؤمنين بالجابية وأرواح الكفار ببئر برهوت بحضرموت — مناقشة طويلة قال في آخرها : ولعله مما تلقاه — يعني قائله — من أهل الكتاب .

الكبيرة العاشرة : الزنا :

وبعضه أكبر من بعض قال الله تعالى :

(ولا تقربوا الزنا إنه كان فاحشة وساء سبيلاً) وقال الله تعالى (والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون . ومن يفعل ذلك يلق أثاماً يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً إلا من تاب)

وقال الله تعالى : (الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين) .

قال العلماء: هذا عذاب الزانية والزاني في الدنيا إذا كانا عزبين غير متزوجين فان كانا متزوجين أو قد تزوجا ولو مرة في العمر فانهما يرجمان بالحجارة إلى أن يموتا . كذلك ثبت في السنة عن النبي ﷺ فان لم يستوف القصاص منهما في الدنيا وماتا من غير توبة فانهما يعذبان في النار بسياط من نار .

كما ورد أن الزبور مكتوباً : إن الزناة معلقون بفروجهم في النار يضربون عليها بسياط من حديد ، فاذا استغاث من الضرب نادته الزبانية أين كان هذا الصوت وأنت تضحك وتفرح وتمرح ولا تراقب الله تعالى ولا تستحي منه ؟!

وثبت[1] عن رسول الله ﷺ انه قال: « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن

(١) رواه البخاري ومسلم وابو داود والنسائي من حديث ابي هريرة .

ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، ولا ينتهب نهبة ذات شرف يرفع الناس اليه أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن » . وقال ﷺ : « إذا زنى[1] العبد خرج منه الايمان فكان كالظلة على رأسه ثم إذا أقلع رجع اليه الايمان »

وقال[2] ﷺ : « من زنى أو شرب الخمر نزع الله منه الايمان كما يخلع الانسان القميص من رأسه » وفي الحديث[3] النبوي قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ، شيخ زان وملك كذاب وعائل مستكبر » .

وعن ابن مسعود[4] رضي الله عنه قال : قلت يا رسول الله ، أي الذنب أعظم عند الله تعالى ؟ قال : ان تجعل لله نداً وهو خلقك . فقلت : أن ذلك لعظيم ، ثم أي ؟ قال : أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك . قلت ثم أي ؟ قال ان تزني بحليلة جارك – يعني زوجة جارك – فأنزل الله عز وجل تصديق ذلك :

(والذين لا يدعون مع الله إلهاً آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق أثاما يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهاناً إلا من تاب) .

فانظر رحمك الله كيف قرنا الزنا بزوجة الجار بالشرك بالله وقتل النفس التي حرم الله عز وجل إلا بالحق ، وهذا الحديث مخرج في الصحيحين .

وفي صحيح البخاري في حديث منام النبي ﷺ الذي رواه سمرة بن جندب، وفيه انه ﷺ جاءه جبريل وميكائيل قال: فانطلقنا فأتينا على مثل التنور أعلاه

---

(١) رواه ابو داود والترمذي والبيهقي من حديث ابي هريرة (المنذري) ، وقال المصنف في صغراه : هذا على شرط البخاري ومسلم .

(٢) رواه الحاكم من حديث ابي هريرة (المنذري).

(٣) رواه مسلم والنسائي من حديث ابي هريرة .

(٤) تقدم تخريجه في الكبيرة الأولى (الشرك) .

ضيق وأسفله واسع ، فيه لغط وأصوات . قال : فاطلعنا فيه فاذا فيه رجال ونساء عراة ، فاذا هم يأتيهم لهب من أسفل منهم ، فاذا أتاهم ذلك اللهب ضوضوا – أي صاحوا من شدة حره – فقلت من هؤلاء يا جبريل ؟ قال هؤلاء الزناة والزواني – يعني من الرجال والنساء فهذا عذابهم إلى يوم القيامة [١] . نسأل الله العفو والعافية .

وعن عطاء[٢] في تفسير قول الله تعالى عن جهنم (لها سبعة أبواب): قال : أشد تلك الأبواب غماً وحراً وكرباً وأنتنها ريحاً للزناة الذين ارتكبوا الزنا بعد العلم وعن مكحول[٣] الدمشقي قال : يجد أهل النار رائحة منتنة فيقولون ما وجدنا أنتن من هذه الرائحة ، فيقال لهم هذه ريح فروج الزناة . وقال ابن زيد[٤] أحد أئمة التفسير : انه ليؤذي أهل النار ريح فروج الزناة . وفي العشر الآيات التي كتبها الله لموسى عليه السلام : ولا تسرق ولا تزن فأحجب عنك وجهي ، فاذا كان الخطاب لنبيه موسى عليه السلام فكيف بغيره ؟!

وجاء عن النبي ﷺ ان ابليس يبث جنوده في الأرض ويقول لهم : أيكم أضل مسلماً ألبسته التاج على رأسه ، فأعظمهم فتنة أقربهم اليه منزلة فيجيء اليه أحدهم فيقول له : لم أزل بفلان حتى طلق امرأته ، فيقول : ما صنعت شيئاً سوف يتزوج غيرها ، ثم يجيء الاخر فيقول لم ازل بفلان حتى القيت بينه وبين أخيه العداوة ، فيقول : ما صنعت شيئاً سوف يصالحه ، ثم يجيء الاخر فيقول: لم ازل بفلان حتى زنى ، فيقول : ابليس . نعم ما فعلت فيدنيه منه ويضع التاج على رأسه ، نعوذ بالله من شرور الشيطان وجنوده .

---

(١) رواه البخاري في حديث طويل .

(٢) عطاء أما ابن ابي رباح اليماني نزيل مكة احد فقهاء التابعين وأئمتهم المتوفي في سنة ١١٤ﻫ وأما ابن يسار المدني احد الاعلام من فقهاء التابعين مات سنة ٩٧ أو ١٠٣ ﻫ .

(٣) ثقة من فقهاء التابعين بالشام روى عنه الأوزاعي وغيره مات سنة ١١٣ ﻫ.

(٤) هو عبد الرحمن بن زيد بن اسلم . جده اسلم مولى اسلم وعبد الرحمن ضعيف في الحديث من قبل حفظه توفي سنة ١٨٢ ﻫ .

وعن أنس[١] قال : قال رسول الله ﷺ : ان الايمان سربال يسربله الله من يشاء و فاذا زنى العبد نزع الله منه سربال الايمان ، فان تاب رده عليه ، وجاء عن[٢] النبي ﷺ انه قال : يا معشر المسلمين إتقوا الزنا فان فيه ست خصال ، ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة ، فاما التي في الدنيا : فذهاب بهاء الوجه وقصر العمر ودوام الفقر وأما التي في الآخرة فسخط الله تبارك وتعالى وسوء الحساب والعذاب بالنار . وعنه[٣] ﷺ انه قال : « من مات مصراً على شرب الخمر سقاه الله تعالى من نهر الغوطة وهو نهر يجري في النار من فروج المومسات » يعني الزانيات ، يجري من فروجهن قيح وصديد في النار ، ثم يسقى ذلك لمن مات مصراً على شرب الخمر .

وقال رسول الله ﷺ[٤] : ما من ذنب بعد الشرك بالله أعظم عند الله من نطفة وضعها رجل في فرج لا يحل له ، وقال أيضاً عليه الصلاة والسلام : « في جهنم واد فيه حيات كل حية ثخن رقبة البعير تلسع تارك الصلاة فيغلي سمها في جسمه سبعين سنة ، ثم يتهرى لحمه . وان في جهنم وادياً اسمه جب الحزن فيه حيات وعقارب كل عقرب بقدر البغل لها سبعون شوكة في كل شوكة راوية سم ، ثم تضرب الزاني وتفرغ سمها في جسمه يجد مرارة وجعها ألف سنة ، ثم يتهرى لحمه ويسيل من فرجه القيح والصديد ».

---

(١) رواه البيهقي في حديث ابي هريرة (المنذري) ونحوه عند ابي داود والترمذي والحاكم اه . (ترغيب) .

(٢) رواه ابن الجوزي في موضوعاته عن ابي نعيم في الحلية من حديث مسلمة بن علي عن ابي عبد الرحمن الكوفي عن الاعمش عن شقيق عن حذيفة وبه مسلمة متروك وابو عبد الرحمن الكوفي مجهول وكذا رواه البيهقي في الشعب من هذا الطريق وله طرق أخرى ساقطة عن أنس وعلي (اللآلىء المصنوعة) .

(٣) رواه احمد وابو يعلي وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه نحوه (ترغيب) .

(٤) روى احمد والطبراني من طريق ابن لهيعة عن دراج عن عبدالله بن الحارث بن جزء الزبيدي حديثاً نحواً مما هنا (الترغيب) .

وورد أيضاً : ان من زنى بإمرأة كانت متزوجة كان عليها وعليه في القبر نصف عذاب هذه الأمة ، فاذا كان يوم القيامة يحكم الله سبحانه وتعالى زوجها في حسناته هذا إن كان بغير علمه ، فان علم وسكت حرم الله عليه الجنة لأن الله تعالى كتب على باب الجنة : أنت حرام على الديوث . وهو الذي يعلم بالفاحشة في أهله ويسكت ولا يغار .

وورد أيضاً ان من وضع يده على امرأة لا تحل له بشهوة جاء يوم القيامة مغلولة يده إلى عنقه ،فان قبلها قرضت شفتاه في النار ،فان زنى بها نطقت فخذه وشهدت عليه يوم القيامة ، وقالت : أنا للحرام ركبت ، فينظر الله تعالى اليه بعين الغضب ، فيقع لحم وجهه فيكابر ، ويقول : ما فعلت فيشهد عليه لسانه فيقول : أنا بما لا يحل نطقت ، وتقول يداه : أنا للحرام تناولت ، وتقول عيناه أنا للحرام نظرت ، وتقول رجلاه : أنا لما لا يحل مشيت ، ويقول فرجه : أنا فعلت ، ويقول الحافظ من الملائكة : وأنا سمعت ، ويقول الآخر : وأنا كتبت ويقول الله تعالى : وأنا اطلعت وسترت . ثم يقول الله تعالى : يا ملائكتي خذوه ومن عذابي أذيقوه ، فقد اشتد غضبي على من قل حياؤه مني ، وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل :

(يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) .

وأعظم الزنا الزنا بالأم والأخت وامرأة الأب وبالمحارم وقد صحح[1] الحاكم: « من وقع على ذات محرم فاقتلوه » ، وعن البراء أن خاله بعثه رسول الله ﷺ إلى رجل عرس بامرأة أبيه أن يقتله ويخمس ماله . فنسأل الله المنان بفضله أن يغفر لنا ذنوبنا انه جواد كريم .

---

(١) قال المنف في الصغرى : والعهدة عليه أي على الحاكم في هذا التصحيح .

الكبيرة الحادية عشرة : اللواط :

قد قص الله عز وجل علينا في كتابه العزيز قصة قوم لوط في غير موضع ، من ذلك قول الله تعالى :

(فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ) : أي من طين طبخ حتى صار كالآجر (مَنْضُود) أي يتلو بعضه بعضاً ، (مُسَوَّمَة) أي معلمة بعلامة تعرف بها أنها ليست من حجارة أهل الدنيا ، (عِنْدَ رَبِّكَ) أي في خزائنه التي لا يتصرف في شيء منها إلا بإذنه ، (وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ) ما هي من ظالمي هذه الأمة إذا فعلوا فعلهم أن يحل بهم ما حل بأولئك من العذاب .

ولهذا [1] قال النبي ﷺ : « أخوف ما أخاف عليكم عمل قوم لوط ولعن من فعل فعلهم ثلاثاً فقال « لعن الله من عمل عمل قوم لوط ، لعن الله من عمل عمل قوم لوط ، لعن الله من عمل عمل قوم لوط » . وقال[2] عليه الصلاة والسلام : من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به ، قال ابن عباس رضي الله عنهما ينظر أعلى بناء في القرية فيلقى منه ثم يتبع بالحجارة كما فعل بقوم لوط .

---

(١) رواه ابن ماجه والترمذي وقال حسن غريب ، والحاكم وقال صحيح الاسناد (منذري)

(٢) رواه ابو داود والترمذي وابن ماجه كلهم من رواية عمرو بن ابي عمرو وعن عكرمة عن ابن عباس ، وعمرو هذا احتج به الشيخان وغيرهما وقال ابن معين ثقة ينكر عليه حديث عكرمة عن ابن عباس يعني هذا (منذري) .

وأجمع المسلمون على أن التلوط من الكبائر التي حرم الله تعالى:

(أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ) أي مجاوزون من الحلال إلى الحرام .

وقال الله تعالى في آية أخرى مخبراً عن نبيه لوط عليه السلام :

(وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوْءٍ فَاسِقِينَ) .

وكان اسم قريتهم سدوم ، وكان أهلها يعملون الخبائث التي ذكرها الله سبحانه في كتابه كانوا يأتون الذكران من العالمين في ادبارهم ويتضارطون في انديتهم مع أشياء أخرى كانوا يعملونها من المنكرات .

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : عشر خصال من أعمال قوم لوط – تصفيف الشعر ، وحل الأزرار ، ورمي البندق ، والحذف بالحصى ، واللعب بالحمام الطيارة ، والصفير بالاصابع ، وفرقعة الاكعب ، واسبال الازار ، وحل أزر(1) الاقبية ، وادمان شرب الخمر ، واتيان الذكور ، وستزيد عليها هذه الأمة مساحقة النساء النساء .

وجاء(2) عن النبي ﷺ انه قال : « سحاق النساء بينهن زنا » ، وعن (3) أبي

(1) بضم الهمزة وسكون الزاي كذا ضبطه في المنجد وقال : هو معقد الازار اه والمراد هنا والله أعلم محل معقد الازار من الاقبية .

(2) رواه الطبراني في الكبير عن واثلة قاله في الجامع الصغير واسناده لين، قاله المصنف في صغراه.

(3) رواه الطبراني والبيهقي من طريق محمد بن سلام الخزاعي ولا يعرف عن أبيه عن أبي هريرة قال البخاري لا يتابع على حديثه (منذري) .

هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « أربعة يصبحون في غضب الله ويمسون في سخط الله تعالى » قيل : من هم يا رسول الله ؟ قال: « المتشبهون من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال ، والذي يأتي البهيمة ، والذي يأتي الذكر يعني اللواط » وروي[1] انه إذا ركب الذكر الذكر إهتز عرش الرحمن خوفاً من غضب الله تعالى ، وتكاد السماوات أن تقع على الأرض فتمسك الملائكة بأطرافها وتقرأ قل هو الله أحد إلى آخرها حتى سكن غضب الله عز وجل » .

وجاء عن النبي ﷺ انه قال : « سبعة يلعنهم الله تعالى ولا ينظر اليهم يوم القيامة ، ويقول ادخلوا النار مع الداخلين : الفاعل والمفعول به — يعني اللواط ، وناكح البهيمة ، وناكح الأم وابنتها ، وناكح يده الا أن يتوبوا » .

وروي ان قوماً يحشرون يوم القيامة وأيديهم حبالى من الزنا كانوا يعبثون في الدنيا بمذاكيرهم . وروي ان من اعمال قوم لوط : اللعب بالنرد ، والمسابقة بالحمام ، والمهارشة بين الكلاب ، والمناطحة بين الكباش ، والمناقرة بالديوك ، ودخول الحمام بلا مئزر ، ونقص الكيل والميزان . ويل لمن فعلها .

وفي الأثر : من لعب بالحمام القلابة لم يمت حتى يذوق ألم الفقر . وقال ابن عباس[2] رضي الله عنهما : ان اللوطي إذا مات من غير توبة فانه يمسخ في قبره خنزيراً .

وقال[3] ﷺ : « لا ينظر الله إلى رجل أتى ذكراً أو امرأة في دبرها » ، وقال ابو سعيد الصعلوكي : سيكون في هذه الأمة قوم يقال لهم اللوطيون ، وهم

---

(١) ذكر السيوطي حديثاً نحو هذا الحديث رآه على ظهر نسخة ابن ابي شيبة بخط مغربي لم يعرف كاتبه ، فذكر سنداً إلى أنس . قال : وكتب غيره عليه : هذا اسناد واه لـين موضوع (ذيل اللآليء)

(٢) ذكره ابن الجوزي في الموضوعات مرفوعاً وقال : لا يصح مروان ابن محمد يروي المناكير ، واسماعيل بن أم درهم لا يحتج به .

(٣) رواه الترمذي والنسائي وابن حبان في صحيحه .

على ثلاثة أصناف : صنف ينظرون ، وصنف يصافحون ، وصنف يعملون ذلك العمل الخبيث .

والنظر بشهوة إلى المرأة والأمرد زنا ، لما صح[١] عن النبي ﷺ انه قال: « زنا العين النظر ، وزنا اللسان النطق ، وزنا اليد البطش ، وزنا الرجل الخطى ، وزنا الاذن الاستماع ، والنفس تمني وتشتهي ، والفرج يصدق ذلك ويكذبه ». ولأجل ذلك بالغ الصالحون في الاعراض عن المردان وعن النظر اليهم وعن مخالطتهم ومجالستهم . قال الحسن[٢] بن ذكوان : لا تجالسوا أولاد الأغنياء فان لهم صوراً كصور العذارى ، فهم أشد فتنة من النساء . وقال بعض التابعين : ما أنا بأخوف على الشاب الناسك من سبع ضار من الغلام الأمرد يقعد اليه . وكان يقال : لا يبيتن رجل مع أمرد في مكان واحد . وحرم بعض العلماء الخلوة مع الأمرد في بيت أو حانوت أو حمام قياساً على المرأة لأن النبي ﷺ قال : « ما خلا رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثها[٣] . وفي المردان من يفوق النساء بحسنه ، فالفتنة به أعظم ، وانه يمكن في حقه من الشر ما لا يمكن في حق النساء ، ويتسهل في حقه من طريق الريبة والشر ما لا يتسهل في حق المرأة ، فهو بالتحريم أولى. وأقاويل السلف في التنفير منهم والتحذير من رؤيتهم أكثر من أن تحصر وسموهم «الانتان» لأنهم مستقذرون شرعاً. وسواء في كل ما ذكرناه نظر المنسوب الى الصلاح وغيره. ودخل سفيان[٤] الثوري الحمام فدخل عليه صبي حسن الوجه فقال : اخرجوه

---

(١) رواه البخاري ومسلم وابو داود والنسائي بنحو مما هنا .

(٢) الحسن بن ذكوان البصري ابو سلمة يروي عن الحسن وابن سيرين .

(٣) ذكره الترمذي وروى نحوه الطبراني من حديث ابي أمامة وأشار المنذري إلى ضعفه وقال غريب .

(٤) سفيان بن سعيد الثوري ابو عبدالله الكوفي أحد الاعلام قال الخطيب : كان الثوري أماماً من ائمة المسلمين وعلماً من أعلام الدين مجمعاً على أمامته مع الاتقان والضبط والحفظ والمعرفة والزهد والورع توفى بالبصرة سنة ١٦١ .

عني أخرجوه فاني أرى مع كل امرأة شيطاناً ، وأرى مع كل صبي حسن بضعة عشر شيطاناً

وجاء رجل إلى الامام احمد رحمه الله ومعه صبي حسن فقال الامام ما هذا منك ؟ قال ابن اختي . قال : لا تجيء به الينا مرة أخرى ، ولا تمش معه في طريق لئلا يظن بك من لا يعرفك ولا يعرفه سوءاً .

وروي[1] ان وفد عبد القيس لما قدموا على النبي ﷺ كان فيهم أمرد حسن فأجلسه النبي ﷺ خلف ظهره وقال: انما كانت فتنة داود عليه السلام من النظر وأنشدوا شعراً :

كل الحوادث مبدؤها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر
والمرء ما دام ذا عين يقلبها في أعين الغير موقوف على الخطر
كم نظرة فعلت في قلب صاحبها فعل السهام بلا قوس ولا وتر
يسر ناظره ماضر خاطره لا مرحباً بسرور عاد بالضرر

وكان يقال : النظر بريد الزنا ، وفي الحديث : النظر سهم مسموم من سهام ابليس ، فمن تركه لله أورث الله قلبه حلاوة عبادة يجدها إلى يوم القيامة .

(فصل) في عقوبة من أمكن من نفسه طائعاً : عن خالد[2] بن الوليد رضي الله عنه انه كتب إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه انه وجد في بعض النواحي رجلاً ينكح في دبره فاستشار ابو بكر الصحابة رضي الله عنهم في أمره فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : ان هذا ذنب لم يعمله إلا أمة واحدة قوم

---

(١) رواه الديلمي بسنده إلى الحسن عن سمرة به . قال ابن الصلاح في شكل الوسيط : لا أصل لهذا الحديث ، وقال الزركشي في تخريج أحاديث الشرح الكبير : هذا حديث منكر فيه ضعفاء ومجاهيل وانقطاع ، وقد استدل على بطلانه بقوله صلى الله عليه وسلم : اني أراكم من وراء ظهري (ذيل الموضوعات للسيوطي) .

(٢) رواه ابن أبي الدنيا ومن طريقه البيهقي بسند جيد (المنذري) .

لوط ، وقد أُعلمنا الله تعالى بما صنع بهم ، أُرى أن يحرق بالنار فكتب ابو بكر اليه أن أحرقه بالنار فأحرقه خالد رضي الله عنه .

وقال علي رضي الله عنه : من أمكن من نفسه طائعاً حتى ينكح ألقى الله عليه شهوة النساء وجعله شيطاناً رجيماً في قبره إلى يوم القيامة .

وأجمعت الأمة على أن من فعل بمملوكه فهو لوطي مجرم ، ومما روي ان عيسى ابن مريم عليه السلام مر في سياحته على نار توقد على رجل فأخذ عيسى عليه السلام ماء ليطفىء عنه ، فانقلبت النار صبياً وانقلب الرجل ناراً فتعجب عيسى عليه السلام من ذلك ، وقال : يا رب ردهما إلى حالهما في الدنيا لأسألهما عن خبرهما ، فأحياهما الله تعالى فاذا هما رجل وصبي ، فقال لهما عيسى عليه السلام : ما خبركما ؟ فقال الرجل : يا روح الله اني كنت في الدنيا مبتلي بحب هذا الصبي فحملتني الشهوة ان فعلت به الفاحشة ، فلما أن مت ومات الصبي صير ناراً يحرقني مرة وأصير ناراً أحرقه مرة فهذا عذابنا إلى يوم القيامة . نعوذ بالله من عذاب الله ونسأله العفو والعافية والتوفيق لما يحب ويرضى .

(فصل) ويلتحق باللواط اتيان المرأة في دبرها مما حرمه الله تعالى ورسوله، قال الله عز وجل : (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم) أي كيف شئتم مقبلين ومدبرين في صمام واحد أي موضع واحد . وسبب نزول هذه الآية أن اليهود في زمن النبي ﷺ كانوا يقولون : إذا أتى الرجل امرأته من دبرها في قبلها جاء الولد أحول ، فسأل أصحاب رسول ﷺ عن ذلك فأنزل الله هذه الآية تكذيباً لهم : (نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم انى شئتم) مجبية أو غير مجبية غير أن ذلك في صمام واحد أخرجه مسلم .

وفي رواية : اتقوا الدبر والحيضة ، وقوله في صمام واحد أي في موضع واحد وهو الفرج لأنه موضع الحرث أي موضع مزرع الولد ، وأما الدبر فانه محل النجو وذلك خبيث مستقذر . وقد روى[1] أبو هريرة رضي الله عنه عن رسول

(١) رواه احمد وابو داود .

الله ﷺ انه قال : « ملعون من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها » .

وروى الترمذي[1] عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : « من أتى حائضاً أو امرأة في دبرها أو كاهناً فقد كفر بما أنزل على محمد » . فمن جامع امرأته وهي حائض أو جامعها في دبرها فهو ملعون وداخل في هذا الوعيد الشديد ، وكذا إذا أتى كاهناً . وهو المنجم ومن يدعي معرفة الشيء المسروق ويتكلم على الأمور المغيبات فسأله عن شي منها فصدقه .

وكثير من الجهال واقعون في هذه المعاصي ،وذلك من قلة معرفتهم وسماعهم للعلم ، ولذلك قال ابو الدرداء : كن عالماً أو متعلماً أو مستعلماً أو محباً ولا تكن الخامس فتهلك ، وهو الذي لا يعلم ولا يتعلم ولا يستمع ولا يحب من يعمل ذلك. ويجب على العبد ان يتوب إلى الله من جميع الذنوب والخطايا . ويسأل الله العفو عما مضى منه في جهله ، والعافيـــة فيما بقي من عمره . اللهم انا نسألك العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة انك ارحم الراحمين .

الكبيرة الثانية عشرة : الربا

قال الله تعالى : (يا أَيُّها الَّذينَ آمنُوا لا تَأْكُلوا الرِّبا أَضْعافاً مُضاعَفَةً واتَّقوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) ، وقال الله تعالى : الَّذينَ يأْكلونَ الرِّبا لا يَقُومونَ إلَّا كَما يَقُومُ الَّذي يَتَخبَّطُهُ الشَّيْطانُ من المَسِّ) أي لا يقومون من قبورهم يوم القيامة إلا كما يقوم الذي قد مسه الشيطان وصرعه « ذلكَ » أي ذلك الذي أصابهم (بأَنَّهُمْ قالوا إنَّما البَيْعُ مثلُ الرِّبا) .

---

(١) رواه احمد والترمذي والنسائي وابو داود وابن ماجه كلهم من طريق حكيم الأثرم عن أبي تميمة طريف بن خالد عن ابي هريرة . وسئل ابن المديني عن حكيم من هو ؟ فقال : اعيانا هذا . وقال البخاري في تاريخه الكبير : لا يعرف لابي تميمة سماع من أبي هريرة (منذري) قال المنصف فى الصغرى : وليس اسناده بالقائم .

أي حلالا فاستحلوا ما حرم الله ، فاذا بعث الله الناس يوم القيامة خرجوا مسرعين. إلا أكلة الربا فانهم يقومون ويسقطون كايقوم المصروع ، كلما قام صرع لأنهم لما أكلوا الربا الحرام في الدنيا ارباه الله في بطونهم حتى اثقلهم يوم القيامة ، فهم كلما أرادوا النهوض سقطوا ، ويريدون الاسراع مع الناس فلا يقدرون .

وقال قتادة[1] : ان آكل الربا يبعث يوم القيامة مجنوناً ، وذلك علم لاكلة الربا يعرفهم به أهل الموقف . وعن أبي سعيد[2] الخدري رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال : لما أسرى بي مررت بقوم بطونهم بين أيديهم ، كل رجل منهم بطنه مثل البيت الضخم ، قد مالت بهم بطونهم منضدين على سابلة آل فرعون وآل فرعون يعرضون على النار غدواً وعشيا قال فيقبلون مثل الابل المنهزمة لا يسمعون ولا يعقلون ، فاذا أحس بهم أصحاب تلك البطون قاموا فتميل بهم بطونهم فلا يستطيعون ان يبرحوا حتى يغشاهم آل فرعون ،فيردونهم مقبلين ومدبرين . فذلك عذابهم في البرزخ بين الدنيا والآخرة . قال ﷺ : « فقلت يا جبريل من هؤلاء ؟ قال : هؤلاء الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس » .

وفي رواية[3] قال : لما عرج بي سمعت في السماء السابعة فوق رأسي رعداً وصواعق ، ورأيت رجالاً بطونهم بين ايديهم كالبيوت فيها حيات وعقارب ترى من ظاهر بطونهم ، فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ فقال : هؤلاء أكلة الربا .

---

(١) قتادة بن دعامة السدوسي البصري امام جليل في التفسير والحديث من علماء التابعين مات سنة ١١٧هـ .

(٢) عزاه ابن كثير في تفسيره في سورة الاسراء إلى البيهقي في دلائل النبوة وإلى ابن جرير وابن ابي حاتم في تفسيريهما ، كلهم من طريق ابي هارون العبدي عن ابي سعيد . قال : واسم ابي هارون عمارة بن جوين : مضعف عند الائمة ،

(٣) رواه احمد في حديث طويل وابن ماجه مختصراً والاصبهاني ، كلهم من رواية علي بن زيد عن ابي الصلت عن ابي هريرة (المنذري) . وعلي ابن زيد هو ابن جدعان فيه كلام كثير في تضعيفه .

وروي[1] عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود عن أبيه : إذا ظهر الزنا والربا في قرية أذن الله بهلاكها . وعن عمر[2] مرفوعا : « اذا ضن الناس بالدينار والدرهم ، وتبايعوا بالعينة ، وتتبعوا أذناب البقر ، وتركوا الجهاد في سبيل الله انزل الله بلاء فلا يرفعه عنهم حتى يراجعوا دينهم » .

وقال[3] ﷺ : « ما ظهر في قوم الربا إلا ظهر فيهم الجنون ، ولا ظهر في قوم الزنا الا ظهر فيهم الموت ، وما بخس قوم الكيل والوزن الا منعهم الله القطر » .

وجاء في حديث فيه طول[4] : ان آكل الربا يعذب من حين يموت إلى يوم القيامة بالسباحه في النهر الأحمر الذي هو مثل الدم ، ويلقم الحجارة ، وهو المال الحرام الذي جمعه في الدنيا يكلف المشقة فيه ، ويلقم حجارة من نار كما ابتلع الحرام الذي جمعه في الدنيا . هذا العذاب له في البرزخ قبل يوم القيامة مع لعنة الله له . كما صح عن رسول الله ﷺ انه قال : أربعة حق على الله أن لا يدخلهم الجنة ولا يذيقهم نعيمها : مدمن الخمر ، وآكل الربا ، وآكل مال اليتيم بغير حق ، والعاق لوالديه الا أن يتوبوا .

وقد ورد أن أكلة الربا يحشرون في صورة الكلاب والخنازير من أجل حيلتهم على أكل الربا كما مسخ أصحاب السبت حين تحيلوا على اخراج الحيتان التي نهاهم الله عن اصطيادها يوم السبت ، فحفروا لها حياضاً تقع فيها يوم السبت فيأخذونها يوم الأحد . فلما فعلوا ذلك مسخهم الله قردة وخنازير . وهكذا الذين يتحيلون

---

(١) رواه أبو يعلى باسناد جيد وله شاهد من حديث ابن عباس صحح الحاكم اسناده (المنذري) .

(٢) رواه ابو داود وغيره من طريق اسحق بن أسيد نزيل مصر - مختلف فيه - والحديث من رواية ابن عمر (المنذري) .

(٣) رواه ابن ماجه والبزار والبيهقي والحاكم وقال على شرط مسلم (المنذري) .

(٤) هو حديث سمرة الطويل في منام رآه النبي صلى الله عليه وسلم رواه البخاري .

على الربا بأنواع الحيل فان الله لا تخفى عليه حيل المحتالين. قال ايوب[1] السختياني: يخادعون الله كما يخادعون صبياً ، ولو أتوا الأمر عياناً كان أهون عليهم وقال[2] ﷺ : « الربا سبعون باباً أهونها مثل أن ينكح الرجل أمه ، وأن أربي الربا استطالة الرجل في عرض أخيه المسلم » فصح انه باب من أعظم أبواب الربا .

وعن أنس[3] قال : خطبنا رسول الله ﷺ فذكر الربا وعظم شأنه فقال: « الدرهم الذي يصيبه الرجل من الربا أشد من ست وثلاثين زنية في الاسلام » ، وعنه[4] ﷺ قال : « الربا سبعون حوباً أهونها كوقع الرجل على أمه وفي رواية أهونها كالذي ينكح أمه » والحوب : الإثم .

وعلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: الزائد والمستزيد في النار — يعني الآخذ والمعطي فيه سواء نسأل الله العافية .

(**فصل**) عن ابن مسعود[5] رضي الله عنه قال : إذا كان لك على رجل دين فأهدى لك شيئاً فلا تأخذه فانه ربا . وقال الحسن[6] رحمه الله : إذا كان لك على رجل دين فما أكلت من بيته فهو سحت . وهذا من قوله ﷺ : « كل قرض جرّ نفعاً فهو ربا » ، وقال ابن مسعود أيضاً : من شفع لرجل شفاعة فأهدى اليه هدية فهي سحت ، وتصديقه من قوله ﷺ : « من شفع لرجل شفاعة فأهدى له

---

(١) أيوب بن أبي تيمة السختياني أبو بكر البصري أحد الائمة الاعلام من اكابر التابعين مات سنة ١٣١هـ .

(٢) رواه الطبراني في الأوسط من رواية عمرو بن راشد وقد وثق ، وهو من رواية البراء بن عازب وله شاهد من حديث ابي هريرة عند ابن ماجة والبيهقي عن أبي معشر وقد وثق (المنذري)

(٣) رواه ابن أبي الدنيا والبيهقي وأشار (المنذري) إلى ضعفه بتصديره بلفظ روي .

(٤) قال المنذري : رواه ابن ماجه والبيهقي كلاهما عن ابى معشر وقد وثق عن سعيد المقبري عن أبي هريرة .

(٥) ابو عبد الرحمن بن مسعود الصحابي الجليل توفي سنة ٣٢ .

(٦) هو البصري من كبائر أئمة التابعين مات بعد سنة ١٤٠هـ .

عليها فقبلها فقد أتى باباً عظيماً من أبواب الربا » أخرجه أبو داود . فنسأل الله العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة[1] .

الكبيرة الثالثة عشرة : اكل مال اليتيم وظلمه

قال الله تعالى : « إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً » وقال الله تعالى : « وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ » .

وعن أبي سعيد الخدري[2] رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال في المعراج: « فاذا أنا برجال وقد وكل بهم رجال يفكون لحاهم ، وآخرون يجيئون بالصخور من النار فيقذفونها بافواههم وتخرج من أدبارهم . فقلت : يا جبريل من هؤلاء ؟ قال : الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً انما يأكلون في بطونهم ناراً رواه مسلم.

وعن أبي هريرة[3] رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : يبعث الله عز

---

(١) زاد في الصغرى : قال النبي صلى الله عليه وسلم : « اجتنبوا السبع الموبقات » فذكرها منها أكل الربا . متفق عليه ، وقال صلى الله عليه وسلم : « لعن الله آكل الربا وموكله» رواه مسلم والترمذي . وزاد « وشاهديه وكاتبيه » ، وقال صلى الله عليه وسلم « آكل الربا وموكله وكاتبه اذا علما ذلك ملعونان على لسان محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة » .

(٢) عزاه الشيخ ابن كثير في تفسيره عند قوله : «ان الذين يأكلون أموال اليتامى »الخ وفي سورة الاسراء من أولها إلى ابن ابي حاتم وفي سنده أبو هارون العبدي واسمه عمارة بن جوين تركوه ومنهم من كذبه ، كما في التقريب. فقول المصنف هنا رواه مسلم لعله سبق قلم من النساخ فحرر.

(٣) عزاه ابن كثير في تفسيره إلى ابن مردويه وابن ابي حاتم وابن حبان في صحيحه عن عقبة ابن مكرم بسنده إلى ابي برزة واسمه فضلة بن عبيد الاسلمي ، فعزو الحديث هنا إلى ابي هريرة لعله وهم أو من تحريف النساخ .

وجل قوماً من قبورهم تخرج النار من بطونهم تأجج أفواههم ناراً ، فقيل : من هم يا رسول الله ؟ قال : ألم تر أن الله تعالى يقول :

« إنَّ الَّذينَ يأكلونَ أموالَ اليتامى ظُلماً إنَّما يأكلونَ في بُطونهم ناراً » .

وقال السدي[1] رحمه الله تعالى : يحشر آكل مال اليتيم ظلماً يوم القيامة ولهب النار يخرج من فيه ومن مسامعه وانفه وعينه كل من رآه يعرفه انه آكل مال اليتيم .

قال العلماء : فكل ولي ليتيم إذا كان فقيراً فأكل من ماله بالمعروف بقدر قيامه عليه في مصالحه وتنمية ماله فلا بأس عليه ، وما زاد على المعروف فسحت حرام لقول الله تعالى :

« ومنْ كانَ غنيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ومَنْ كانَ فقيراً فَلْيأكلْ بالمَعْرُوف » .

وفي الاكل بالمعروف أربعة اقوال : (احدها) انه الاخذ على وجه القرض (والثاني) الاكل بقدر الحاجة من غير اسراف ، و(الثالث) انه اخذ بقدر إذا عمل لليتيم عملاً ، (والرابع) انه الاخذ عند الضرورة فان أيسر قضاه وان لم يوسر فهو في حل . وهذه الأقوال ذكرها ابن الجوزي[2] في تفسيره .

---

(١) اسماعيل بن عبد الرحمن ابي كريم السدى بضم السين وشد الدال أبو محمد الكوفي صاحب التفسير صدوق يهم ورمى بالتشيع مات سنة ١٢٧ هـ .

(٢) هو الحافظ جمال الدين العربي أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن محمد بن علي الجوزي صاحب التصانيف المشهور البغدادي الفقيه الحنبلي المتوفى سنة ٥٩٧ هـ .

وفي البخاري ان رسول ﷺ قــال : « أنا وكافل اليتيم في الجنــة هكذا » وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما . وفي صحيح مسلم عنه ﷺ قال: « كافل اليتيم له أو لغيره أنا وهو كهاتين في الجنة » وأشار بالسبابة والوسطى .

كفالة اليتيم هي القيام بأموره والسعي في مصالحه من طعامه وكسوته وتنمية ماله ان كان له مال ،وان كان لا مال له انفق عليه وكساه ابتغاء وجه الله تعالى وقوله في الحديث : له أو لغيره - أي سواء كان اليتيم قرابة أو اجنبياً منــه ، فالقرابة مثل أن يكفله جده أو اخوه أو امه أو عمه أو زوج أمه أو خاله أو غيره من أقاربه ، والأجنبي من ليس بينه وبينه قرابة .

وقال[1] رسول الله ﷺ : « من ضم يتيما من المسلمين إلى طعامه وشرابه حتى يغنيه الله تعالى أوجب الله له الجنة الا ان يعمل ذنباً لا يغفر » وقال ﷺ : « من مسح رأس يتيم لا يمسحه إلا لله كان له بكل شعرة مرت عليها يده حسنه ، ومن أحسن الى يتيم أو يتيمة عنده كنت أنا وهو هكذا في الجنة[2] » .

وقال رجل[3] لأبي الدرداء رضي الله عنه : أوصني بوصية . قال : أرحم اليتيم وأدنه منك وأطعمه من طعامك ، فاني سمعت رسول الله ﷺ اتاه رجل يشتكي قسوة قلبــه ، فقال رسول الله ﷺ : ان أردت أن يلين قلبك فادن اليتيم منك وأمسح رأسه واطعمه من طعامك ، فان ذلك يلين قلبك وتقدر على حاجتك .

ومما حكي عن بعض السلف قال : كنت في بدايــة أمري مكبا على المعاصي وشرب الخمر ، فظفرت يوماً بصبي يتيم فقير فأخــذته وأحسنت اليه وأطعمته

(١) رواه الترمذي من حديث ابن عباس وقال حسن صحيح بلفــظ من قبض وله شواهد ذكرها المنذري في الترغيب .

(٢) رواه احمد وغيره من طريق عبيدالله بن زحر عن علي بن زيد عن القاسم عن ابي امامة.

(٣) رواه الطبري من رواية بقية وفيه راو لم يسم . قال المنذري : وله شاهد من حديث ابي هريرة رواه احمد ورجاله رجال الصحيح .

وكسوته وأدخلته الحمام وأزلت شعثه ،وأكرمته كما يكرم الرجل ولده بل أكثر فبت ليلة بعد ذلك فرأيت في النوم ان القيامة قامت ودعيت إلى الحساب ، وأمر بي إلى النار لسوء ما كنت عليه من المعاصي ، فسحبتني الزبانية ليمضوا بي إلى النار وأنا بين أيديهم حقير ذليل يجروني سحباً إلى النار ، وإذا بذلك اليتيم قد اعترضني بالطريق ، وقال : خلوا عنه يا ملائكة ربي حتى أشفع له إلى ربي ، فانه قد أحسن إلي وأكرمني . فقالت الملائكة : إنا لم نؤمر بذلك ، وإذا النداء من قبل الله تعالى يقول : خلوا عنه فقد وهبت له ما كان منه بشفاعة اليتيم واحسانه اليه . قال : فاستيقظت وتبت إلى الله عز وجل ، وبذلت جهدي في ايصال الرحمة إلى الايتام ولهذا قال انس بن مالك رضي الله عنه خادم رسول الله ﷺ : خير البيوت بيت فيه يتيم يحسن اليه ، وشر البيوت بيت فيه يتيم يساء اليه ، وأحب عباد الله الى الله تعالى من اصطنع صنعاً إلى يتيم أو ارملة . وروي أن الله تعالى أوحى إلى داود عليه السلام : يا داود كن لليتيم كالأب الرحيم ، وكن للارملة كالزوج الشفيق ، وأعلم كما تزرع كذا تحصد : معناه انك كما تفعل كذلك يفعل معك ، أي لا بد ان تموت ويبقى لك ولد يتيم أو امرأة أرملة . وقال داود عليه السلام في مناجاته : إلهي ما جزاء من أسند اليتيم والأرملة ابتغاء وجهك ؟ قال : جزاؤه ان اظله في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي . معناه ظل عرشي يوم القيامة .

ومما جاء في فضل الاحسان إلى الارملة واليتيم عن بعض العلويين ـ وكان نازلاً ببلخ من بلاد العجم وله زوجة علوية وله منها بنات وكانوا في سعة ونعمة ، فمات الزوج وأصاب المرأة وبناتها بعده الفقر والقلة ، فخرجت ببناتها إلى بلدة أخرى خوف شماتة الأعداء ، واتفق خروجها في شدة البرد فلما دخلت ذلك البلد أدخلت بناتها في بعض المساجد المهجورة ، ومضت تحتال لهم في القوت فمرت بجمعين : جمع على رجل مسلم وهو شيخ البلد ، وجمع على رجل مجوسي وهو ضامن البلد . فبدأت بالمسلم وشرحت حالها له ، وقالت : أنا امرأة علوية ومعي بنات ايتام ادخلتهم بعض المساجد المهجورة ، وأريد الليلة قوتهم . فقال لها : أقيمي

عندي البينة انك علوية شريفة . فقالت : انا امرأة غريبة ما في البلد من يعرفني فاعرض عنها ، فمضت من عنده منكسرة القلب فجاءت إلى ذلك الرجل المجوسي فشرحت له حالها، وأخبرته ان معها بنات ايتام وهي امرأة شريفة غريبة، وقصت عليه ما جرى لها مع الشيخ المسلم فقام وارسل بعض نسائه ، وأتوا بها وبناتها إلى داره فاطعمهن أطيب الطعام، والبسهن أفخر اللباس وباتوا عنده في نعمة وكرامة. قال فلما انتصف الليل رأى ذلك الشيخ المسلم في منامه كأن القيامة قد قامت ، وقد عقد اللواء على رأس النبي ﷺ ، وإذا القصر من الزمرد الأخضر شرفاته من اللؤلؤ والياقوت وفيه قباب اللؤلو والمرجان ، فقال : يا رسول الله لمن هـــذا القصر ؟ قال لرجل مسلم موحد . فقـــال : يا رسول الله أنا رجل مسلم موحد . فقال رسول الله ﷺ : أقم عندي البينة انك مسلم موحد . قال : فبقي متحيراً فقال له ﷺ : لما قصدتك المرأة العلوية قلت اقيمي عندي البينة انك علوية ، فكذا أنت أقم عندي البينة انك مسلم : فانتبه الرجل حزينـاً على رده المرأة خائبة ، ثم جعل يطوف بالبلد ويسأل عنهـا حتى دل عليها انها عند المجوسي ، فأرسل اليه فأتاه فقال له : اريد منك المرأة الشريفه العلوية وبناتها . فقال : ما إلى هذا من سبيل وقد لحقني من بركاتهم ما لحقني . قال : خذ مني الف دينـــار وسلمهن إليّ ، فقال : لا أفعل فقال : لا بد منهن . فقال : الذي تريده أنت أنا أحق به والقصر الذي رأيته في منامك خلق لي . أتدل عليّ بالاسلام ؟ فوالله ما نمت البارحة أنا وأهل داري حتى أسلمنا كلنا على يـد العلوية ، ورأيت مثل الذي رأيت في منامك ، وقال لي رسول الله ﷺ: العلوية وبناتها عندك ؟قلت: نعم يا رسول الله . قـال : القصر لك ولأهل دارك وأنت وأهل دارك من أهل الجنة خلقك الله مؤمنا في الأزل . قال فانصرف المسلم وبه من الحزن والكآبة ما لا يعلمه إلا الله . فانظر رحمك الله إلى بركة الاحسان إلى الأرملة والأيتام مـا أعقب صاحبه من الكرامة في الدنيا !

ولهذا ثبت في الصحيحين[1] عن رسول الله ﷺ انـــه قال : (الساعي على الأرملة والمساكين كالمجاهد في سبيل الله). قال الراوي أحسبه قال : (وكالقائم لا يفتر وكالصائم لا يفطر) ، والساعي عليهم هو القائم بأمورهم ومصالحهم ابتغاء وجه الله تعالى . وفقنا لله لذلك بمنه وكرمه انه جواد كريم رؤوف غفور رحيم .

الكبيرة الرابعة عشر : الكذب على الله عز وجل وعلى رسوله ﷺ :

قال الله عز وجل :

(وَيَوْمَ القِيَامَـــةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ)

قال الحسن : هم الذين يقولون : ان شئنا فعلنا وان شئنا لم نفعل قـــال ابن الجوزي في تفسيره : وقـد ذهب طائفة من العلماء إلى أن الكذب على الله وعلى رسوله كفر ينقل عن الملة ، ولا ريب ان الكذب عـلى الله وعلى رسوله في تحليل حرام وتحريم حلال كفر محض ، وانمـا الشأن في الكذب عليـــه فيما سوى ذلك .

وقال[2] ﷺ : (من كذب عـــليّ بني له بيت في جهنم) ، وقال ﷺ : (ومن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) . وقـــال [3] ﷺ : (من روى عني حديثاً وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين) .

---

(١) وابن ماجه من حديث ابي هريرة .

(٢) رواه البخاري ومسلم وغيرهما وقد روى عن غير ما واحد في الصحاح والسنن والمسانيد وغيرها حتى بلغ مبلغ التواتر (المنذري) .

(٣) رواه مسلم وغيره من حديث سمرة بلفظ : من حدث عني بحديث . فذكره (المنذري).

وقال[1] ﷺ : (ان كذبا عليّ ، ليس ككذب على غيري . مـــن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) وقال ﷺ : (من يقل عني ما لم أقله فليتبوأ مقعده من النار) وقال ﷺ [2] : (يطبع المؤهل على كل شيء إلا الخيانة والكذب) . نسأل الله التوفيق والعصمة انه جواد كريم .

الكبيرة الخامسة عشرة : الفرار من الزحف

إذا لم يزد العدو على ضعف المسلمين إلا متحرفاً لقتال أو متحيزاً[3] إلى فئة وان بعدت ، قال الله تعالى :

(وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ) .

وعن ابي هريرة[4] رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (اجتنبوا السبع الموبقات) . قالوا : وما هن يا رسول الله ؟ قال : (الشرك بالله ، والسحر وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات) .

---

(١) رواه مسلم وغيره من حديث المغيرة يعني ابن شعبه (منذري) .

(٢) رواه البزار وابو يعلى من حديث سعد بن أبي وقاص ورواتـــه رواة الصحيح وذكره الدارقطني في العلل مرفوعاً وموقوفاً وقـــال الموقوف أشبه بالصواب ورواه الطبراني في الكبير والبيهقي من حديث ابن عمر مرفوعاً وله شاهد عند احمد من حديث الأعمش قال حدثت عن ابي أمامة فذكر نحوه افاده المنذري في ترغيبه .

(٣) المتحرف للقتال من يفر عن العدو لخدعة حربية والمتحيز لفئة من يفر عن وجه العدو لينضم إلى جماعة المجاهدين وجملتهم .

(٤) تقدم تخريجه مراراً وأنه متفق عليه .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال . لما نزلت :

(إنْ يَكنْ منْكُمْ عشْرُونَ صابرُون يَغلِبوا مائتين) .

فكتب الله عليهم أن لا يفر عشرون من مائتين ثم نزلت :

(الآن خففَ الله عَنْكمْ وعلم أنَّ فيكمْ ضعفاً فإن يكُنْ منْكم مائةٌ صابِرَةٌ يَغلُوا مائتيْن . وإنْ يَكُنْ منكم ألفٌ يغلُبوا ألفَين بإذْن الله . واللهُ معَ الصَّابرين)

فكتب ان لا يفر مائة من مائتين . رواه البخاري .

الكبيرة السادسة عشرة : غش الامام الرعية وظلمه لهم

قال الله تعالى : (إنَّما السَّبيلُ على الَّذينَ يَظلِمونَ النَّاسَ ويَبْغُونَ في الأرْض بِغَير الحَقِّ أولئك لهم عَذابٌ أليمٌ) . وقال الله تعالى : (ولا تَحسبنَّ اللهَ غافلاً عمَّا يَعملُ الظَّالِمونَ إنَّما يُؤخرُهمْ لِيَوْم تَشْخص فيه الأبْصار . مُهْطعين مُقْنعي رُؤوسِهمْ لا يَرتَدُّ إليْهم طرفُهمْ وأفئدَتُهُمْ هواء) . وقال الله تعالى : (وسَيعلَمُ الَّذينَ ظلَمُوا أيَّ مُنْقَلَبٍ يَنقَلِبونَ) . وقال الله تعالى : (كانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عنْ مُنْكر فَعلوهُ لَبئسَ مَا كانُوا يَفْعَلونَ) .

وقال رسول الله ﷺ[1] : « من غشنا فليس منا » ، وقال عليه السلام[2] : « الظلم ظلمات يوم القيامة » ، وقال ﷺ[3] : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » . وقال[4] رسول الله ﷺ : « ايما راع غش رعيته فهو في النار » ، وقال ﷺ : « من استرعاه الله رعية ثم لم يحطها بنصحه الا حرم الله عليه الجنة » . أخرجه البخاري وفي[5] لفظ : « يموت يوم يموت وهو غاش لرعيته الا حرم الله عليه الجنة » .

وقال ﷺ : « ما من حاكم يحكم بين الناس الا حبس يوم القيامة وملك آخذ بقفاه ، فان قال ألقه القاه فهوى في جهنم أربعين خريفا » . . رواه الامام أحمد [6]

وقال رسول الله[7] ﷺ : «ويل للأمراء ، ويل للعرفاء ، ويل للأمناء . ليتمنين أقوام يوم القيامة ان ذوائبهم كانت معلقة بالثريا يعذبون ولم يكونوا عملوا من شيء » .

وقال[8] ﷺ : « ليأتين على القاضي العدل يوم القيامة ساعة يتمنى انه لم يقض بين اثنين في تمرة قط » . وقال ﷺ : « ما من أمير عشرة إلا يؤتى به يوم

---

(١) رواه مسلم من حديث ابي هريرة .

(٢) رواه البخاري ومسلم والترمذي من حديث ابن عمر .

(٣) رواه البخاري ومسلم من حديث ابن عمر .

(٤) رواه الطبراني في الاوسط والصغير عن أنس، ورواته ثقات إلا عبد الله بن ميسرة أبا ليلى ، وشواهده الصحيحه كثيرة عن معقل بن يسار في الصحيحين وعن ابن عباس وغيرهما .

(٥) يعني للبخاري أيضاً .

(٦) وروى ابن ماجه والبزار نحواً من هذا فى حديث ابن مسعود وفي أسنادهما مجالد بن سعيد مختلف فيه (المنذري) .

(٧) رواه أحمد عن أبي هريرة مرفوعاً من طرق ورواة بعضها ثقات (المنذري) في موضع. وقال في موضع رواه ابن حبان والحاكم وقال صحيح الاسناد .

(٨) رواه البزار والطبراني في الاوسط من حديث ابن هريرة رجال البزار رجال الصحيح وله شاهد من حديث سعد بن ابي وقاص عند احمد وعن ابي الدرداء عند ابن حبان (المنذري) .

القيامة مغلولة يده إلى عنقه أما اطلقه عدله أو أوبقه جوره[1] » .

ومن دعاء[2] رسول الله ﷺ انه قال : « اللهم من ولي من أمر هذه الأمة شيئاً فرفق بهم فارفق به . ومن شفق عليهم فاشفق عليه » . وقال[3] ﷺ : « من ولاه الله شيئاً من أمور المسلمين فاحتجب دون حاجتهم وخلتهم وفقرهم احتجب الله دون حاجته وخلته وفقره » .

وقال[4] رسول الله ﷺ : « سيكون أمراء فسقة جورة ، فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه ، ولن يرد على الحوض » وقال[5] رسول الله ﷺ : « صنفان من أمتي لن تنالهم شفاعتي : سلطان ظلوم غشوش ، وغال في الدين يشهد عليهم ويتبرأ منهم » . وقال[6] عليه السلام :. « أشد الناس عذاباً يوم القيامة إمام جائر » . وفي الحديث[7] ان رسول الله ﷺ قال : « أيها الناس مروا بالمعروف وانهوا عن المنكر قبل أن تدعوا الله فلا يستجيب لكم ، وقبل ان تستغفروا الله فلا يغفر لكم . ان الأحبار من اليهود والرهبان من النصارى لما تركوا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لعنهم الله على لسان أنبيائهم ، ثم عمهم بالبلاء) .

وقال[8] رسول الله ﷺ : « من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد » « ومن احدث حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ،

---

(١) رواه احمد وابن حبان من حديث عائشة .

(٢) مسلم والنسائي عن عائشة .

(٣) ابو داود والترمذي عن ابي مريم عمرو بن مرة الجهني .

(٤) رواه احمد والترمذي ، وصححه النسائي والبزار بألفاظ متقاربه من حديث كعب ابن عجرة .

(٥) رواه الطبراني في الكبير من حديث ابي أمامة ورجاله ثقات .

(٦) رواه الطبراني من حديث عبد الله بن مسعود ورواته ثقات إلا ليث بن سليم .

(٧) رواه الاصبهاني من حديث ابن عمر وأشار المنذري إلى ضعفه .

(٨) رواه البخاري ومسلم وابو داود من حديث عائشة .

لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً » وفي الحديث[1] أيضاً «من لا يَرحم لا يُرحم، لا يرحم الله من لا يرحم الناس » . وقال[2] ﷺ : « الإمام العادل يظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله » . وقال[3] : « المقسطون علـــى منابر من نور ، الذين يعدلون في حكمهم وأهليهم وما ولوا » .

ولما بعث رسول الله ﷺ معاذاً رضي الله عنه إلى اليمن قال : « إياك وكرائم اموالهم ، واتق دعوة المظلوم فانها ليس بينها وبين الله حجاب » رواه البخاري، وقال[4] عليه الصلاة والسلام : « ثلاثـة لا يكلمهم الله يوم القيامة : فذكر منهم الملك الكذاب ، وقال : انكم ستحرصون على الامارة وستكون ندامـــة يوم القيامة » رواه البخاري وفيه أيضاً « وانا والله لا نولي هذا العمل أحداً سأله أو أحداً حرص عليه » .

وقال[5] رسول الله ﷺ : يا كعب بن عجرة اعاذك الله من امارة السفهاء ، أمراء يكونون من بعدي لا يهتدون بهديي ولا يستنون بسنتي . وعن[6] أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: من طلب قضاء المسلمين حتى يناله ثم غلب عدله جوره فله الجنة ، ومن غلب جوره عدله فله النار .

وقال[7] : « ستحرصون على الامـــارة وستكون ندامة يوم القيامة »

---

(1) رواه البخاري ومسلم والترمذي من حديث جرير بن عبدالله وله شواهد من حديث ابي موسى وابن مسعود وابن عمرو وابن عباس وغيرهم والسنن والمسند والطبراني .

(2) رواه البخاري ومسلم من حديث ابي هريرة في ضمن حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله .

(3) رواه مسلم والنسائي من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص .

(4) رواه مسلم وغيره من حديث ابي هريرة .

(5) رواه احمد والبزار ورواته محتج بهم في الصحيح (المنذري) .

(6) رواه ابو داود .

(7) تمامه «فنعمت المرضعة وبئست الفاطمة» رواه البخاري والنسائي من حديث أبي هريرة.

وقال[1] عمر لأبي ذر رضي الله عنهما : حدثني بحديث سمعته من رسول الله ، فقال أبو ذر : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يجاء بالوالي يوم القيامة فينبذ به على جسر جهنم فيرتج به الجسر ارتجاجة لا يبقى منه مفصل إلا زال عن مكانه ، فان كان مطيعاً لله في عمله مضى به ، وان كان عاصياً لله في عمله انخرق به الجسر فهوى به في جهنم مقدار خمسين عاماً » . فقال عمر : من يطلب العمل بها يا أبا ذر ؟ قال : من سلت لله أنفه وألصق خده بالتراب .

وقال عمرو بن المهاجر ، قال لي عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه : إذا رأيتني قد ملت عن الحق فضع يدك في تلبابي ثم قل : يا عمر ما تصنع .

يا راضياً باسم الظالم كم عليك من المظالم ، السجن جهنم والحق الحاكم ، ولا حجة لك فيها تخاصم ، القبر مهول فتذكر حبسك ، والحساب طويل فخلص نفسك ، والعمر كيوم فبادر شمسك ، تفرح بمالك والكسب خبيث ، وتمرح بآمالك والسير حثيث . ان الظلم لا يترك منه قدر أنملة . فاذا رأيت ظالما قد سطا فنم له ، فربما بات فأخذت جنبه من الليل نملة أي قروح في الجسد .

الكبيرة السابعة عشر : الكبر

الكبر والفخر والخيلاء والعجب والتيه ـ قال الله تعالى : (وقالَ مُوسَى إنِّي عُذْتُ برَبِّي ورَبِّكُمْ منْ كلِّ مُتَكَبِّر لا يُؤْمِنُ بيَوْمِ الحساب). وقال الله تعالى : (إنَّهُ لا يُحِبُّ المسْتَكْبِرينَ).

---

(١) روى نحوه ابن أبي الدنيا من حديث ابي هريرة أن بشر بن عاصم الجشمي حدث عمر فذكره ، وان عمر سأل سلمان وابا ذر فصدقاه (المنذري) وضعفه .

وقال[1] رسول الله ﷺ : « بينما رجل يتبختر في مشيه إذ خسف الله به الأرض فهو يتجلل فيها إلى يوم القيامة » وقال[2] عليه الصلاة والسلام : « يحشر الجبارون المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر يطؤهم الناس يغشاهم الذل من كل مكان » وقال بعض السلف أول ذنب عصى الله به الكبر . قال الله تعالى :

(وإذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إلاَّ إبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وكَانَ مِنَ الكافِرِينَ) .

فمن استكبر على الحق لم ينفعه إيمانه كما فعل ابليس .

وعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « لا يدخل الجنة أحد في قلبه مثقال ذرة من كبر » رواه مسلم ، وقال الله تعالى : (ان الله لا يحب كل مختال فخور) وقال ﷺ : قال الله تعالى : « العظمة ازاري والكبرياء ردائي فمن نازعني فيهما القيته في النار » رواه مسلم المنازعة : المجاذبة .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « اختصمت الجنة والنار ، فقالت الجنة : ما لي ما يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم ؟ وقالت النار أوثرت بالجبارين والمتكبرين » الحديث[3] ، وقال الله تعالى : (ولا تصعّر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحاً . ان الله لا يحب كل مختال فخور) . أي لا تمل خدك معرضاً متكبراً . والمرح التبختر .

---

(١) رواه البخاري والنسائي وغيرهما بنحوه من حديث ابن عمر وشواهده من حديث ابي سعيد الخدري وجابر وابي هريرة وأقرَب بها إلى ما هنا لفظ ابي هريرة عن البخاري ومسلم كما في المنذري .

(٢) تامه : يساقون إلى سجن في جهنم يقال له بولس تعلوهم نار الانيار يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال ، رواه النسائي والترمذي من حديث عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عبدالله بن عمرو بن العاص .

(٣) تامه « فقضى الله بينهما أنك الجنة رحمتي أرحم بك من أشاء وأنك النار عذابي أعذب بك من أشاء ولكليكما ملؤها » رواه مسلم من حديث ابي سعيد الخدري (منذري) .

وقال سلمة بن الأكوع : « أكل رجل عند رسول الله ﷺ بشماله ، قال : كل بيمينك . قال : لا استطيع ، فقال : لا استطعت ، ما منعه إلا الكبر فما رفعها إلى فيه بعد » رواه مسلم . وقال[١] عليه الصلاة والسلام : « ألا أخبركم بأهل النار ؟ كل عتل جواظ مستكبر »: العتل الغليظ الجافي والجواظ : الجموع المنوع ، وقيل الضخم المختال في مشيته ، وقيل البطين .

عن ابن عمر[٢] رضي الله عنهما : قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ما من رجل يختـــال في مشبته ويتعاظم في نفسه إلا لقي الله وهو عليه غضبان » . وصح[٣] من حديث ابي هريرة : أول ثلاثة يدخلون النـار : أمير مسلط أي ظـــالم ، وغني لا يؤدي الزكاة ، وفقير فخور . وفي صحيح البخاري عن رسول الله ﷺ قال : « ثلاثة لا ينظر الله اليهم يوم القيـامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : المسبل ، والمنان ، والمنفق ، سلعته بالحلف الكاذب » والمسبل هو الذي يسبل ازاره أو ثيابه أو سراويله حتى يكون إلى قدميه لأنه ﷺ قال:[٤] « ما أسبل من الكعبين من الازار فهو في النار ».

وأشر الكبر الذي فيه من يتكبر على العباد بعلمه ويتعاظم في نفسه بفضيلته فان هـــذا لم ينفعه علمه فان من طلب العلم للآخرة كسره علمه وخشع قلبة واستكانت نفسة ، وكان على نفسه بالمرصاد فلا يفتر عنها بل يحاسبها كل وقت ويتفقدها ، فان غفل عنهـا جمحت عن الطريق المستقيم وأهلكته . ومن طلب العلم للفخر والرياسة وبطر على المسلمين وتحامق عليهم وازدراهم ، فهذا من أكبر الكبر ، ولا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

---

(١) رواه البخاري ومسلم من حديث حارثة عن وهب .
(٢) رواه الطبراني في الكبير ورواته محتج بهم في الصحيح والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم.
(٣) رواه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحيها .
(٤) رواه البخاري ، من حديث ابي هريرة .

الكبيرة الثامنة عشرة : شهادة الزور

قال الله تعالى : (وَالَّذِينَ لاَ يَشْهَدُونَ الزُّورَ) الآية وفي الأثر[1] عدلت شهادة الزور الشركَ بالله تعالى مرتين ، وقال الله تعالى : (واجْتَنِبُوا قَولَ الزُّور) .

وفي الحديث[2] لا تزول قدما شاهد الزور يوم القيامة حتى تجب له النار . قال المصنف رحمه الله تعالى: شاهد الزور قد ارتكب عظائم (أحدها)الكذب والافتراء . قال الله تعالى :

إنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسرف كَذَّابٌ) .

وفي الحديث [3] يطبع المؤمن علي كل شيء ليس الخيانة والكذب ,وثانيها) إنه ظلم الذي شهد عليه حتى اخذ بشهادته ماله وعرضه وروحه .

(وثالثها) : إنه ظلم الذي شهد له بأن ساق اليه المال الحرام فأخذه بشهادته فوجبت لهالنار، وقال[4] صلى الله عليه وسلم: «من قضيت له منمال أخيه بغير حق فلا يأخذه فانما أقطع له قطعة من نار » (ورابعها) : أنه اباح ما حرم الله تعالى وعصمه من المال والدم والعرض . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ الاشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، الا وقول

---

(١) هذا الحديث من روايةخزيم بن فاتك مرفوعاً فذكره قال : ثم قرأ (فاجتنبوا الرجس من الاوثان واجتنبوا قول الزور حنفاءلله غير مشركين به) رواه أبو داود وهذا لفظهوالترمذي وابن ماجه ورواه الطبراني في الكبير موقوفاً على ابن مسعود باسناد حسن (منذري).

(٢) رواه ابنماجه والحاكموقالصحيح الاسناد منحديث ابن عمر بلفظ « لن تزول..»الخ،

(٣) تقدم في الكبيرة الرابعة عشرة تخريجه .

(٤) متفق عليه من حديث أم سلمة ونحوه في ابي داود (مشكاة) .

الزور ، الا وشهادة الزور .. فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت » رواه البخاري[1] . فنسأل الله تعالى السلامة والعافية من كل بلاء .

الكبيرة التاسعة عشر : شرب الخمر

قال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ) .

فقد نهى عز وجل في هذه الآية عن الخمر وحذر منها ، وقال النبي[2] ﷺ : « اجتنبوا الخمر فانها أم الخبائث » فمن لم يجتنبها فقد عصى الله ورسوله واستحق العذاب بمعصية الله ورسوله . قال الله تعالى :

(وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ) .

وعن ابن عباس[3] رضي الله عنهما قال : لما نزل تحريم الخمر مشى الصحابة بعضهم إلى بعض وقالوا حرمت الخمر وجعلت عدلاً للشرك .

---

(١) ومسلم والترمذي من حديث ابي بكر .

(٢) رواه الحاكم من حديث ابن عباس بلفظ « فانها مفتاح كل شر » وقال صحيح الاسناد وفي حديث عثمان مرفوعاً اجتنبوا أم الخبائث فانه كان رجل ممن كان قبلكم » الخ فذكر قصة — رواه ابن حبان والبيهقي مرفوعاً وموقوفاً وذكر أنه المحفوظ (منذري).

(٣) رواه الطبراني وقال رجاله رجال الصحيح .

وذهب [1] عبد الله بن عمرو الى ان الخمر اكبر الكبائر ، وهي بلا ريب أم الخبائث وقد لعن شاربها في غير حديث[2] . وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قـــال رسول الله ﷺ : « كل مسكر خمر وكل خمر حرام ومن شرب الخمر في الدنيا ومات ولم يتب منها وهو مدمنها لم يشربها في الآخرة » رواه مسلم [3] ، وروى مسلم [4] عن جابر رضي الله عنه قال : قـــال رسول الله ﷺ : « ان على الله عهداً لمن شرب المسكر أن يسقيه الله من طينة الخبال . قيل : يا رسول الله وما طينة الخبال ؟ قال : عرق اهل النار او عصارة اهل النار » .

وفي الصحيحين ان رسول الله ﷺ قال : من شرب الخمرة في الدنيا يحرمها في الآخرة .

ذكر ان مدمن الخمر كعابد وثن : رواه الامام أحمـــد في مسنده من حديث ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال : « مدمن الخمر كعابد وثن » .

ذكر ان مدمن الخمر اذا مات ولم يتب لا يدخل الجنة : روى النسائي [5] من حديث ابن عمر ان رسول الله ﷺ قال : « لا يدخـــل الجنة عاق ولا مدمن خمر » وفي رواية « ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة مدمن الخمر والعـــاق لوالديه ، والديوث وهو الذي يقر السوء في أهله» .

ذكر ان السكران لا يقبل الله منه حسنة: روى[6] جابر بن عبدالله أن رسول الله ﷺ قال : « ثلاثة لا تقبل لهم صلاة ولا ترفع لهم حسنة الى السماء : العبـــد

---

(١) رواه الطبراني مع قصة باسناد صحيح ورواه الحاكم وقال صحيح على شرط مسلم .
(٢) من حديث ابن عمر عن أبي داود وابن ماجه حديث انس عن ابن ماجه والترمذي ، وحديث ابن عباس عن ابي داود واحمد ، وابن حبان والحاكم.
(٣) البخاري وابو داود والترمذي والنسائي والبيهقي .
(٤) والنسائي .
(٥) واحمد والبزار والحاكم وقال صحيح الاسناد ،
(٦) رواه ابن خزيمة وابن حبان والبيهقي والطبراني في الأوسط .

الأبق حتى يرجع الى مواليه فيضع يده في أيديهم ، والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى عنها ، والسكران حتى يصحو ».

والخمر ما خامر العقل أي غطاه سواء كان رطباً او يابساً او مأكولاً او مشروباً ، وعن أبي سعيد الخدري [1] قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يقبل الله لشارب الخمر صلاة ما دام في جسده شيء منها » . وفي رواية « من شرب الخمر لم يقبل الله منه شيئاً ، ومن سكر منها لم تقبل له صلاة اربعين صباحاً ، فإن تاب ثم عاد كان حقاً على الله ان يسقيه من مهل جهنم » . وقال [2] رسول الله ﷺ : « من شرب الخمر ولم يسكر أعرض الله عنه اربعين ليلة ، ومن شرب الخمر وسكر لم يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً اربعين ليلة ، فإن مات فيها مات كعابد وثن ، وكان حقاً على الله ان يسقيه من طينة الخبال. قيل: يا رسول الله وما طينة الخبال ؟ قال : عصارة أهل النار القيح والدم » .

وقال عبدالله بن أبي أوفى : من مات مدمناً للخمر مات كعابد اللات والعزى . قيل : أرأيت مدمن الخمر هو الذي لا يستفيق من شربها ؟ قال : لا ولكن هو الذي يشربها اذا وجدها ولو بعد سنين .

ذكر ان من شرب الخمر لا يكون مؤمناً حين يشربها : عن ابي هريرة عن النبي ﷺ : « لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ، والتوبة معروضة بعد . أخرجه البخاري [3] وفي الحديث [4] « من زنى أو شرب الخمر نزع الله

(١) ذكره في اللآليء المصنوعة عن عبد بن حميد بسنده إلى ابي سعيد الخدري .

(٢) روي بألفاظ نحو مما هنا أقربها حديث عبدالله بن عمرو وعند ابن حبان في صحيحه والحاكم مختصراً ، وكذا حديث عبدالله بن عمر عند الترمذي وحسنه الحاكم والنسائي ، ووقفه عليه مختصراً (المنذرى) .

(٣) مسلم وابو داود والترمذي والنسائي ، وقوله : والتوبة معروضة بعد ، من زيادة مسلم وابي داود (المنذري) .

(٤) رواه الحاكم من حديث ابي هريرة .

منه الايمان كما يخلع الانسان القميص من رأسه » وفيه : من شرب الخمر ممسياً أصبح مشركاً ، ومن شربها مصبحاً أمسى مشركاً . وفيه [١] عن النبي ﷺ انه قال : « إن رائحة الجنة لتوجد من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق ولا منان ولا مدمن خمر ولا عابد وثن » . وروى [٢] الامام احمد من حديث ابي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ولا يدخل الجنة مدمن خمر ولا مؤمن بسحر ولا قاطع رحم ، ومن مات وهو يشرب الخمر سقاه الله من نهر الغوطة وهو ماء يجري من فروج المومسات – اي الزانيات يؤذي اهل النار ريح فروجهن » .

وقال رسول الله [٣] ﷺ : « ان الله بعثني رحمة وهدى للعالمين ، بعثني لأمحق المعازف والمزامير وأمر الجاهلية ، وأقسم ربي تعالى بعزته لا يشرب عبد من عبيدي جرعة من الخمر إلا سقيته مثلها من حميم جهنم ، ولا يدعها عبد من عبيدي من مخافتي إلا سقيته إياها في حظائر القدس مع خير الندماء » .

ذكر من لعن في الخمر : روى أبو داود [٤] إن رسول الله ﷺ قال : « لعنت الخمر بعينها وشاربها وساقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه وآكل ثمنها » . ورواه الامام [٥] احمد من حديث ابن عباس قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « أتاني جبريل عليه السلام فقال : يا محمد ان الله لعن الخمر وعاصرها ومعتصرها وبائعها ومبتاعها وشاربها وآكل ثمنها وحاملها والمحمولة اليه وساقيها ومستقيها » .

---

(١) رواه الطبراني في الصغير من حديث ابي هريرة واشار المنذري الى ضعفه .

(٢) وابو ليلي وابن حبان في صحيحه والحاكم وصححه .

(٣) رواه احمد من حديث أبي أمامة من طريق علي بن يزيد يعني الالهاني فيه خلاف والاكثر على تضعيفه .

(٤) رواه من حديث ابن عمر بلفظ « لعن الله الخمر الخ » ولفظ وآكل ثمنها من زيادة ابن ماجه وشاهده من حديث أنس عند الترمذي (المنذري) .

(٥) أي بسند صحيح وابن حبان في صحيحه والحاكم ، وقال صحيح (منذري) .

ذكر النهي عن عيادة شربة الخمر اذا مرضوا وكذلك لا يسلم عليهم : عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : (لا تعودوا شرّاب الخمر إذا مرضوا) . قال البخاري ، وقال ابن عمر لا تسلموا على شربة الخمر ، وقال[1] ﷺ : « لا تجالسوا شراب الخمر ولا تعودوا مرضاهم ولا تشهدوا جنائزهم ، وان شارب الخمر يجيء يوم القيامة مسوداً وجهه ، مدلعاً لسانه على صدره ، يسيل لعابه يقذره كل من رآه وعرفه انه شارب خمر » .

قال بعض العلماء : إنما نهى عن عيادتهم والسلام عليهم لأن شارب الخمر فاسق ملعون ، قد لعنه الله ورسوله كما تقدم في قوله : لعن الله الخمور وشاربها الحديث فإن اشتراها وعصرها كان ملعوناً مرتين ، وإن سقاها لغيره كان ملعوناً ثلاث مرات ، فلذلك نهى عن عيادته والسلام عليه إلا ان يتوب فمن تاب تاب الله عليه .

ذكر أن الخمر لا يحل التداوي بها : عن ام سلمة [2] رضي الله عنها قالت : اشتكت ابنة لي فنبذت لها في كوز ، فدخل علي رسول الله ﷺ وهو يغلي ، فقال : ما هذا يا ام سلمة ؟ فذكرت له اني اداوي به ابنتي فقال رسول الله ﷺ « ان الله تعالى لم يجعل شفاء امتي فيما حرم عليها » .

ذكر أحاديث متفرقة رويت في الخمر : من ذلك ما ذكره ابونعيم في «الحلية» عن أبي موسى رضي عنه ، قال : أتى النبي ﷺ بنبيذ في جرة له نشيش فقال : « اضربوا بهذا الحائط فان هذا شرب من لا يؤمن بالله واليوم الآخر » .

وقال رسول الله ﷺ : « من كان في صدره آية من كتاب الله وصب عليها الخمر يجيء يوم القيامة كل حرف من تلك الآية فيأخذ بناصيته حتى يوقفه بين

---

(١) ذكره ابن الجوزي في الموضوعات عن ابن عدى بسنده إلى ابن عمر وقال موضوع فيه ضعفاه ليث وجعفر بن الحارث ابو الاشهب وابو مطيع، وله طرق أخرى لا ترفعه عن الحضيض

(٢) رواه البيهقي وابو يعلى وشاهده عن ابن مسعود عن احمد والحاكم وعلقه والبخار عن ابن مسعود بصيغة الجزم .

يدي الله تبارك تعالى فيخاصمه ، ومن خاصمه القرآن خصم . فالويل لمن كان القرآن خصمه يوم القيامة وجاء عن النبي ﷺ: « ما من قوم اجتمعوا على مسكر في الدنيا إلا جمعهم الله في النار فيقبل بعضهم على بعض يتلاومون ، يقول أحدهم للآخر : يا فلان لا جزاك الله عني خيراً فانت الذي أوردتني هذا المورد ، ويقول له الآخر مثل ذلك » ، وجاء عن النبي ﷺ انه قال : « من شرب الخمر في الدنيا سقاه الله من سم الاساودة شربة يتساقط لحم وجهه في الاناء قبل ان يشربها ، فاذا شربها تساقط لحمه وجلده يتأذى به أهل النار ، الا وشاربها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه وآكل ثمنها شركاء في اثمها ، لا يقبل الله منهم صلاة ولا صوم ولا حجاً حتى يتوبوا ، فان ماتوا قبل التوبة كان حقاً على الله ان يسقيهم بكل جرعة شربوها في الدنيا من صديد جهنم ألا وكل مسكر خمر وكل خمر حرام » .

ويدخل في قوله ﷺ كل مسكر خمر : الحشيشة كما سيأتي الكلام عليها ان شاء الله تعالى . روي « ان شربة الخمر إذا اتوا على الصراط يتخطفهم الزبانية إلى نهر الخبال فيسقون بكل كأس شربوها من الخمر شربة من نهر الخبال ، فلو أن تلك الشربة تصب من السماء لاحرقت السماوات من حرها » نعوذ بالله منها .

ذكر الآثار عن السلف في الخمر : ذكر ابن مسعود رضي الله عنه قال : اذا مات شارب الخمر فادفنوه ، ثم اصلبوه على خشبة ، ثم انبشوا عنه قبره فان لم تروا وجهه مصروفاً عن القبلة وإلا فاتركوه مصلوباً . وعن الفضيل بن عياض انه حضر عند تلميذ له حضرته الوفاة فجعل يلقنه الشهادة ولسانه لا ينطق بها ، فكررها عليه فقال : لا أقولها وانا بريء منها ، فخرج الفضيل من عنده وهو يبكي ، ثم رآه بعد مدة في منامه وهو يسحب به إلى النار ، فقال له : يا مسكين بم نزعت منك المعرفة ؟ فقال : يا استاذ كان بي علة فأتيت بعض الاطباء فقال لي تشرب في كل سنة قدحاً من الخمر وان لم تفعل تبقى بك علتك ، فكنت اشربها في كل سنة لأجل التداوي ! فهذا حال من يشربها للتداوي فكيف حال من يشربها لغير ذلك ؟ نسأل الله العفو والعافية من كل بلاء .

وسئل بعض التائبين عن سبب توبته فقال : كنت أنبش القبور فرأيت فيها أمواتاً مصروفين عن القبلة ، فسألت اهليهم عنهم فقالوا : كانوا يشربون الخمر في الدنيا وماتوا من غير توبة وقال بعض الصالحين : ماتت لي ولد صغير ، فلما دفنته رأيته بعد موته في المنام وقد شاب رأسه . فقلت : يا ولدي دفنتك وأنت صغير فما الذي شيبك ؟ فقال : يا ابتي دفن إلى جانبي رجل ممن كان يشرب الخمر في الدنيا ، فزفرت جهنم لقدومه زفرة لم يبق منها طفل الا شاب رأسه من شدة زفرتها ، نعوذ بالله منها ، ونسأل الله العفو والعافية مما يوجب العذاب في الآخرة .

فالواجب على العبد ان يتوب إلى الله تعالى قبل ان يدركه الموت وهو على اشر حالة ، فيلقى في النار ، نعوذ بالله منها .

(فصل) : والحشيشة المصنوعة من ورق القنب حرام كالخمر يحد شاربها ، كما يحد شارب الخمر وهي أخبث من الخمر ، من جهة انها تفسد العقل والمزاج حتى يصير في الرجل تخنث ودياثة وغير ذلك من الفساد . والخمر أخبث من جهة انها تفضي إلى المخاصمة والمقاتلة وكلاهما يصد عن ذكر الله وعن الصلاة .

وقد توقف بعض العلماء المتأخرين في حدها ، ورأى ان أكلتها تعزر بما دون الحد حيث ظنها تغير العقل من غير طرب بمنزلة البنج ولم يجد للعلماء المتقدمين فيها كلاماً ، وليس كذلك بل اكلتها ينشون ويشتهونها كشراب الخمر واكثر ، حتى لا يصبروا عنها وتصدهم عن ذكر الله وعن الصلاة إذا أكثروا منها ، مع ما فيها من الدياثة والتخنث وفساد المزاج والعقل وغير ذلك . لكن لما كانت جامدة مطعومة – ليست شراباً – تنازع العلماء في نجاستها على ثلاثة أقوال في مذهب الامام أحمد وغيره ، فقيل : هي نجسة كالخمر المشروبة ، وهذا هو الاعتبار الصحيح وقيل : لا ، لجمودها ، وقيل يفرق بين جامدها ومائعها ، وبكل حال : فهي داخلة فيما حرم الله ورسوله من الخمر المسكر لفظاً ومعنى ، قال ابو موسى : يا رسول الله أفتنا في شرابين كنا نصنعهما باليمن « البتع » وهو من العسل ينبذ

حتى يشتد ، و « المزر » وهو من الذرة والشعير ينبذ حتى يشتد قال : وكان رسول الله ﷺ قـــد أعطى جوامع الكلم بخواتمه ، فقال ﷺ : « كل مسكر حرام » رواه مسلم ، وقال ﷺ : « ما اسكر كثيره فقليله حرام » ، ولم يفرق ﷺ بين نوع ونوع لكونه مأكولاً أو مشروباً ، على ان الخمر قد يصطنع بها يعني الخبز ، وهذه الحشيشة قـــد تذاب بالماء وتشرب ، والخمر يشرب ويؤكل ، والحشيشة تشرب وتؤكل ، وانما لم يذكرها العلماء لأنها لم تكن على عهد السلف الماضي وإنما حدثت في مجيء التتار إلى بلاد الاسلام وقد قيل في وصفها شعراً :

فآكلها وزارعهـا حلالاً ... فتلك على الشقي مصيبتان

فوالله ما فرح ابليس بمثل فرحه بالحشيشة لأنه زينهـا للأنفس الخسيسة فاستحلوها واسترخصوها :

قل لمن يأكل الحشيشة جهلاً ... عشت في أكلها بأقبح عيشه
قيمة المرء جوهر فلماذا ... يا أخا الجهل بعته بحشيشه

(حكاية) : عن عبد الملك بن مروان: ان شاباً جاء اليه باكياً حزيناً فقال: يا أمير المؤمنين اني ارتكبت ذنبـاً عظيماً فهل لي من توبة ؟ قال وما ذنبك ؟ قال : ذنبي عظيم . قال : وما هو فتب إلى الله تعالى فانه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات . قال : يا أمير المؤمنين كنت أنبش القبور وكنت أرى فيها أموراً عجيبة قال : وما رأيت ؟ قال يا امير المؤمنين نبشت ليلة قبراً فرأيت صاحبه قد حول وجهه عن القبلة فخفت منه ، وأردت الخروج وإذا أنا بقـائل يقول في القبر : ألا تسأل عن الميت لماذا حول وجهه عن القبلة؟ فقلت : لمـاذا حول ؟ قال : لأنه كان مستخفاً بالصلاة . هذا جزاء مثله . ثم نبشت قبراً آخر فرأيت صاحبه قد حول خنزيراً وقد شد بالسلاسل والأغلال في عنقه ، فخفت منه وأردت الخروج وإذا بقائل يقول لي : ألا تسأل عن عمله ، ولماذا يعذب ؟ فقلت: لماذا؟ فقال: كان يشرب الخمر في الدنيا ومات من غير توبة . والثالث يا أمير المؤمنين

نبشت قبراً فوجدت صاحبه قد شد بالأرض بأوتار من نار واخرج لسانه من قفاه، فخفت ورجعت ، وأردت الخروج فنوديت : ألا تسأل عن حاله لماذا ابتلي ؟ فقلت: لماذا ؟ فقال : كان لا يتحرز من البول ، وكان ينقل الحديث بين الناس فهذا جزاء مثله . والرابع يا أمير المؤمنين نبشت قبراً فوجدت صاحبه قد اشتعل ناراً فخفت منه وأردت الخروج ، فقيل :الا تسأل عنه وعن حاله ؟فقلت وما حاله؟ فقال : كان تاركاً للصلاة . والخامس يا أمير المؤمنين نبشت قبراً فرأيته قد وسع على الميت مد البصر وفيه نور ساطع ، والميت نائم على سرير ، وقد أشرق نوره وعليه ثياب حسنة فأخذتني منه هيبة ، وأردت الخروج فقيل لي : هلا تسأل عن حاله لماذا أكرم بهذه الكرامة . فقلت : لماذا اكرم ؟ فقيل لي : لأنه كان شاباً طائعاً نشأ في طاعة الله عز وجل وعبادته فقال عبد الملك عند ذلك : ان في هذا لعبرة للعاصين وبشارة للطائعين . فالواجب على المبتلي بهذه المعائب المبادرة إلى التوبة والطاعة ، جعلنا الله واياكم من الطائعين ، وجنبنا أفعال الفاسقين ، انه جواد كريم .

الكبيرة العشرون : القمار

قال الله تعالى : (يَاأَيُّها الَّذينَ آمنُوا إنَّما الخَمرُ والمَيْسرُ والأنصابُ والأزْلام رِجْسٌ من عَمل الشَّيطانِ فَاجْتنِبوهُ لعلَّكمْ تُفلحُون . إنَّما يُريدُ الشَّيْطانُ أنْ يُوقِع بيْنَكم العَدَاوةَ والبغْضاءَ في الخمر والمَيْسر ويَصُدكم عَنْ ذكْر اللهِ وعن الصَّلاةِ فهلْ أنْتم مُنْتَهونَ) .

والميسر هو القمار بأي نوع كان : نرد أو شطرنج أو فصوص أو كعاب أو جوز أو بيض أو حصى أو غير ، وهو من أكل أموال الناس بالباطل الذي نهى

الله عنه بقوله : (ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل) ، وداخل في قول النبي ﷺ[1] : « ان رجالاً يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة »، وفي صحيح البخاري ان رسول ﷺ قال : « من قال لصاحبه تعالى أقامرك فليتصدق » ، فاذا كان مجرد القول يوجب الكفارة أو الصدقة فما ظنك بالفعل؟!

(فصل) : اختلف العلماء في النرد والشطرنج إذا خليا عن رهن ، اتفقوا على تحريم اللعب بالنرد لما صح عن رسول الله ﷺ انه قال : « من لعب بالنردشير فكأنما صبغ يده في لحم الخنزير ودمه » اخرجه مسلم . وقال ﷺ[2] : « من لعب بالنرد فقد عصى الله ورسوله » . وقال ابن عمر رضي الله عنه : اللعب بالنرد قمار كالدهن بودك الخنزير .

قال : وأما الشطرنج فأكثر العلماء على تحريم اللعب بها ، سواء كان برهن أو بغيره . أما بالرهن فهو قمار بلا خلاف ، وأما الكلام إذا خلا عن الرهن فهو أيضاً قمار حرام عند أكثر العلماء ، وحكي اباحته في رواية عن الشافعي : إذا كان في خلوة ولم يشغل عن واجب ولا عن صلاة في وقتها . وسئل النووي رحمه الله عن اللعب بالشطرنج أحرام أم جائز ؟ فأجاب رحمه الله تعالى : هو حرام عند أكثر أهل العلم . وسئل أيضاً رحمه الله عن لعب الشطرنج هل يجوز أم لا ، وهل يأثم اللاعب بها أم لا ؟ أجاب رحمه الله : ان فوت بسببه صلاة عن وقتها أو لعب بها على عوض فهو حرام ، وإلا فمكروه عند الشافعي ، وحرام عند غيره ، وهذا كلام النووي في فتاويه .

والدليل على تحريمه على قول الاكثرين في قول الله تعالى : (حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير) إلى قوله (وان تستقسموا بالازلام) قال سفيان ووكيع بن الجراح : هي الشطرنج ، وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : الشطرنج ميسر الأعاجم . ومرّ رضي الله عنه على قوم يلعبون بها فقال: ماهذه

---

(١) رواه البخاري كما قاله المؤلف في الرسالة الصغرى .

(٢) رواه مالك وابو داود وابن ماجه والحاكم والبيهقي وقال الحاكم صحيح على شرطهما .

التماثيل التي أنتم لها عاكفون ؟ لأن يمس أحدكم جمراً حتى يطفى خير له من أن يمسها . ثم قال : والله لغير هذا خلقتم . وقال أيضاً رضي الله عنه : صاحب الشطرنج أكذب الناس . يقول أحدهم : قتلت ، وما قتل . ومات وما مات . وقال ابو موسى الأشعري رضي الله تعالى عنه : لا يلعب بالشطرنج إلا خاطىء. وقيل لاسحاق بن راهويه ، أترى في اللعب بالشطرنج بأس ؟ فقال : البأس كله فيه . فقيل له : ان أهل الثغور يلعبون بها لأجل الحرب ، فقال : هو فجور . وسئل محمد ابن كعب القرظي عن اللعب بالشطرنج فقال : أدنى ما يكون فيها ان اللاعب بها يعرض يوم القيامة أو قال يحشر يوم القيامة مع أصحاب الباطل .

وسئل ابن عمر رضي الله عنهما عن الشطرنج ، فقال : هي أشرّ من النرد وتقدم الكلام عن تحريمه . وسئل الامام مالك بن أنس رحمه الله عن الشطرنج فقال : الشطرنج من النرد . بلغنا عن ابن عباس انه ولي مالاً ليتيم فوجدها في تركة والد اليتيم فأحرقها . ولو كان اللعب بها حلالاً لما جاز له أن يحرقها لكونها مال اليتيم ، ولكن لما كان اللعب بها حراماً أحرقها فتكون من جنس الخمر إذا وجد في مال اليتيم وجبت اراقته كذلك الشطرنج . وهذا مذهب حبر الأمة رضي الله عنه . وقيل لابراهيم النخعي : ما تقول في اللعب بالشطرنج؟ فقال : انها ملعونة .

وروى[1] ابو بكر الأثرم في جامعه عن واثلة بن الاسقع عن رسول الله ﷺ قال : ان لله في كل يوم ثلثمائة وستين نظرة إلى خلقه ليس لصاحب الشاه فيها نصيب – يعني لاعب الشطرنج لأنه يقول شاه مات . وروى ابو بكر الاجري باسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله ﷺ قال : إذا مررتم بهؤلاء الذين يلعبون بهذه الأزلام النرد والشطرنج وما كان من اللهو فلا تسلموا عليهم ، فانهم إذا اجتمعوا وأكبوا عليها جاءهم الشيطان بجنوده فأحدق بهم ، كلما ذهب واحد منهم يصرف بصره عنها لكزه الشيطان بجنوده ، فلا يزالون يلعبون حتى

(١) احمد بن محمد بن هاني،ابو بكر الاثرم البغدادي صاحب الامام احمد المتوفي سنة ٢٧٣ﻫ

يتفرقوا كالكلاب اجتمعت على جيفة فأكلت منها حتى ملأت بطونها ثم تفرقت، ولأنهم يكذبون عليها فيقولون : شاه مات . وروي عنه ﷺ انه قال[1] أشد الناس عذاباً يوم القيامة صاحب الشاه يعني صاحب الشطرنج ، ألا تراه يقول : قتلته ، والله مات ، والله افترى ، وكذب على الله .

وقال مجاهد : ما من ميت يموت إلا مثل له جلساؤه الذين كان يجالسهم فاحتضر رجل ممن كان يلعب بالشطرنج فقيل له : قل لا إله إلا الله فقال : شاهك ثم مات ، فغلب على لسانه ما كان يعتاده حال حياته في اللعب ، فقال عوض كلمة الاخلاص : شاهك . وهذا كما جاء في انسان آخر ممن كان يجالس شراب الخمر انه حين حضره الموت فجاءه انسان يلقنه الشهادة فقال له : اشرب واسقني ثم مات فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . وهذا كما جاء في حديث مروي : يموت كل انسان على ما عاش عليه ويبعث[2] على ما مات عليه . فنسأل الله المنان بفضله أن يتوفانا مسلمين لا مبدلين ولا مغيرين ولا ضالين ولا زائغين انه جواد كريم .

---

(١) قال المنذري في الترغيب : وقد ورد ذكر الشطرنج في أحاديث لا أعلم لشيء منها اسناداً صحيحاً ولا حسنا والله أعلم .

(٢) روى مسلم آخره بلفظ « يبعث كل عبد على ما مات عليه » ذكره في أسنى المطالب

الكبيرة الحادية والعشرون قذف المحصنات

قال الله تعالى : (إن الذين يرْمُونَ الْمحصَنات الغَافِــلات الْمؤمنَات لُعنُوا في الدُّنيا والآخرة ولَهم عَذَابٌ عظيمٌ . يَوْمَ تَشْهَدُ عليهم ألسنَتُهم وأيْديهم وارْجلُهمْ بما كانُوا يعملون).

وقال الله تعالى : (والذين يَرْمُونَ الْمحصَنات ثم لَم يأْتُوا بأرْبعَة شُهَدَاء فَاْجلدُوهُمْ ثمانينَ جلْدَةً ولا تَقْبلوا لهم شَهَادةً أبداً وأولئك هم الفاسقُون)

بين الله تعالى في الآيـــة ان من قذف امرأة محصنة حرة عفيفة عن الزنا والفاحشة انه معلون في الدنيا والآخرة وله عذاب عظيم ، وعليه في الدنيا الحد ثمانون جلدة وتسقط شهادته وان كان عدلا . وفي الصحيحين ان رسول الله ﷺ قال : «اجتنبوا السبع الموبقات» فذكر منها قذف المحصنات الغافلات المؤمنات والقذف ان يقول لامرأة أجنبية حرة عفيفة مسلمة : يا زانية ، أو يا باغية ، أو يا قحبة ..أو يقول لزوجها : يا زوج القحبة ، أو يقول لولدها : يا ولد الزانيـة أو يا ابن القحبة . أو يقول لبنتها يا بنت الزانية أو يا بنت القحبة . فان القحبة عبارة عن الزانية ، فاذا قال ذلك أحد من رجل أو امرأة لرجل أو لامرأة كمن قال لرجل : يا زاني ، أو قال لصبي حر يا علق ، أو يا منكوح ، وجب عليـه الحد ثمانون جلدة ، إلا أن يقيم بينة بذلك ، والبينة كما قال الله : أربعـة شهداء يشهدون على صدقه فيما قذف به تلك المرأة أو ذاك الرجل ، فان لم يقم بينـــة جلد اذا طالبته بذلك التي قذفها أو اذا طالبه بذلك الذي قذفه ، وكذلك إذا قذف مملوكه أو جاريته بأن قـال لمملوكه : يا زاني أو لجاريته يا زانية أو يا باغية أو يا قحبة ، لما ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ انه قـال : « من قذف مملوكه بالزنا أقيم عليه الحد يوم القيامة الا أن يكون كما قال » . وكثير من

الجهال واقعون في هذا الكلام الفاحش الذي عليهم فيه العقوبة في الدنيا والآخرة ولهذا ثبت في الصحيحين عن رسول الله ﷺ انه قال: « ان الرجل ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل[1] بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب » . فقال له معاذ ابن جبل : يا رسول الله وانا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟ فقال : « ثكلتك[2] امك يا معاذ ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم الا حصائد ألسنتهم ؟ » وفي الحديث[3] : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت » . وقال الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز :(ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد) وقال عقبة بن عامر[4] : يا رسول الله ما النجاة ؟ قال : « أمسك عليك لسانك وليسعك بيتك ، وابك على خطيئتك ، وان أبعد الناس إلى الله القلب القاسي » .

وقال ﷺ[5] : ان ابغض الناس إلى الله الفاحش البذي الذي يتكلم بالفحش ورديء الكلام ، وقانا الله واياكم شر ألسنتنا بمنه وكرمه انه جواد كريم[6] .

---

(١) يزل : يهوى .

(٢) أي فقدتك ولا يقصد معناه وانما يجري على لسانهم عفواً .

(٣) رواه البخاري ومسلم في ضمن حديث أكرام الضيف والنهي عن أذى الجار (المنذري).

(٤) رواه ابو داود والترمذي وحسنه وابن أبي الدنيا كلهم من طريق عبيد الله بن زحر عن علي بن يزيد عن القاسم عن ابي أمامة عنه .

(٥) في معناه حديث عبدالله بن عمرو مرفوعاً : اياكم والفحش فان الله لا يحب الفحش ولا التفحش رواه النسائي في سننه الكبرى في التفسير منها ، والحاكم وصححه ، وكذلك حديثه « الجنة حرام على كل فاحش أن يدخلها » رواه ابن أبي الدنيا وأبو نعيم ، وحديث ابن مسعود مرفوعاً « ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذي » رواه الترمذي باسناد صحيح (العراقي) .

(٦) (فائدة) قال المؤلف في الصغرى : وأما من قذف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بعد نزول براءتها من السماء فهو كافر مكذب للقرآن فيقتل كفراً .

الكبيرة الثانية والعشرون : الغلول من الغنيمة

وهي من بيت المال ومن الزكاة قال الله تعالى :

(إنَّ الله لاَ يحبُّ الخائنينَ) وقال الله تعالى (وَما كانَ لنبي أنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يات بما غَلَّ يَوْمَ القيامة) .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قام فينا رسول الله ﷺ ذات يوم فذكر الغلول فعظمه وعظم أمره ، ثم قال لا ألفين[1] أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رغاء[2] يقول : يا رسول الله أغثني ، فأقول : لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك ، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته فرس له حمحمة[3] فيقول : يا رسول الله اغثني ، فأقول : لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك . لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته شاة لها ثغاء[4] يقول : يا رسول الله أغثني ، فأقول : لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك ، لا ألفين احدكم يجيء يوم القيامة على رقبته نفس لها صياح ، فيقول : يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك من الله شيئاً قد ابلغتك . لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته رقاع يخفق ، فيقول : يا رسول الله أغثني ، فأقول : لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك ، لا ألفين أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته صامت ، فيقول : يا رسول الله أغثني فأقول لا أملك لك من الله شيئاً قد أبلغتك . أخرج هذا الحديث مسلم[5] .

(قوله) : على رقبته رقاع تخفق – أي ثياب وقماش ، (قوله) : على

---

(١) أي لا اجدن .
(٢) الرغاء : صوت البعير .
(٣) الحمحمة : صوت الفرس .
(٤) الثغاء : صوت الشاة .
(٥) يعني بها اللفظ والا فقد عزاه في الترغيب للبخاري أيضاً ، وقال : واللفظ لمسلم .

رقبته صامت – أي من ذهب أو فضة ، فمن أخذ شيئاً من هذه الأنواع المذكورة من الغنيمة قبل أن تقسم بين الغانمين ، أو من بيت المال بغير اذن الامام ، أو من الزكاة التي تجمع للفقراء جاء يوم القيامة حامله على رقبته ، كما ذكر الله تعالى في القرآن (ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة) .

ولقول النبي ﷺ : « أدوا الخيط والمخيط وإياكم والغلول بأنه عار على صاحبه يوم القيامة » ولقول النبي ﷺ لما استعمل ابن اللتبية على الصدقة وقدم ، وقال : هذا لكم وهذا أهدي لي . فصعد النبي ﷺ المنبر وحمد الله وأثنى عليه إلى أن قال : « والله لا يأخذ أحد منكم شيئاً بغير حقه إلا جاء يوم القيامة يحمله ، فلا أعرف رجلاً منكم لقي الله يحمل بعيراً له رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر ، ثم رفع يده ﷺ فقال : اللهم هل بلغت » ؟[1] .

وعن أبي هريرة[2] قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى خيبر (ففتح علينا) فلم نغنم ذهباً ولا ورقاً ، غنمنا المتاع (الطعام) والثياب ، ثم انطلقنا إلى الوادي (يعني وادي القرى) ومع رسول الله ﷺ عبد وهبه له رجل من بني جذام (يدعى رفاعة بن يزيد من بني الضبيب) ، فلما نزلنا (الوادي) قام عبد رسول الله ﷺ يحل رحله ، فرمي بسهم فكان فيه حتفه ، فقلنا : هنيئاً له بالشهادة يا رسول الله ، فقال رسول الله : كلا والذي نفسي بيده ان الشملة لتلتهب عليه ناراً ، أخذها من الغنائم لم تصبها المقاسم . قال ففزع الناس فجاء رجل بشراك أو شراكين (فقال : أصبت يوم خيبر) . فقال رسول الله

---

(١) رواه البخاري ومسلم من حديث ابي حميد الساعدي ، الخوار : صوت البقر ، واليعار صوت الغنم (منذري) .

(٢) وكذا رواه ابو داود والنسائي والزيادات بين قوسين أثناء الحديث في لفظ الحديث في (الترغيب والترهيب) لم تكن في الاصل وقد كان فيه بين لفظي ذهباً وورقاً كلمة فضة حذفناها لعدم وجودها في لفظ الحديث في الترغيب ، ولانها تكرار لفظ ورقاً . والشملة – كما قال المنذري – كساء أصغر من القطيفة يتشح به .

ﷺ شراك أو شراكان من نار متفق عليه[١] . وعن عبد الله بن عمرو [٢] رضي الله عنهما قال : كان على ثقل رسول الله ﷺ رجل يقال له كركرة فمات ، فقال النبي ﷺ : هو في النار فذهبوا ينظرون اليه فوجدوا عباءة قد غلها . وعن زيد ابن خالد الجهني ان رجلاً غل في غزوة خيبر فامتنع النبي ﷺ من الصلاة عليه ، وقال : ان صاحبكم غل في سبيل الله . قال ففتشنا متاعه فوجدنا فيه خرزاً من خرز اليهود مايساوي درهمين . قال الامام احمد رحمه الله : ما نعلم ان النبي ﷺ امتنع من الصلاة على أحد الا على الغال ، وقاتل نفسه . وجاء عن[٣] النبي ﷺ انه قال : « هدايا العمال غلول » .

وفي الباب أحاديث كثيرة ويأتي بعضها في باب الظلم ، والظلم على ثلاثة أقسام: (أحدها) أكل المال بالباطل ، (وثانيها) ـ ظلم العباد بالقتل والضرب والكسر والجراح ، (وثالثها) ـ ظلم العباد بالشتم واللعن والسب والقذف « وقد خطب النبي ﷺ بمنى فقال : « ألا ان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا » متفق عليه .

وقال[٤] ﷺ : « لا يقبل الله صلاة بغير طهور ولا صدقة من غلول » . فنسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى انه جواد كريم .

---

(١) رواه مالك واحمد وابو داود والنسائي وابن ماجه بنحو مما هنا (المنذري) .

(٢) رواه البخاري مـــن حديث عبدالله بن عمرو بن العاص ، وكان في الاصل ابن عمر غلطاً فصححناه (عمرو) ، والثقل ـ محركة : الغنيمة ، وكركرة بفتح الكافين أو كسرهما (المنذري)

(٣) رواه احمد وابن ماجه من حديث ابي حميد الساعدي وله شواهد من حديث حذيفة وابن عباس وجابر (كشف الخفاء) .

(٤) رواه مسلم من حديث ابن عمر (مشكاة) .

الكبيرة الثالثة والعشرون : السرقة

قال الله تعالى : (السَّارقُ والسَّارِقَةُ فاقْطعوا أيْديهما جَزاءً بما كَسبَا نَكالاً من الله واللهُ عزيزٌ حكيمٌ)

قال ابن شهاب : نكل الله بالقطع في سرقة أموال الناس ، والله عزيز في إنتقامه من السارق ، حكيم فيما أوجبه من قطع يده .

وقال[١] ﷺ : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولكن التوبة معروضة » .

وعن ابن عمر[٢] رضي الله عنهما ان النبي ﷺ قطع في مجن قيمته ثلاثة دراهم ، وعن[٣] عائشة رضي الله عنها قالت : كان رسول الله ﷺ يقطع يد السارق في ربع دينار فصاعداً . وفي رواية[٤] قال رسول الله ﷺ : « لا تقطع يد السارق فيما دون ثمن المجن » . قيل لعائشة رضي الله عنها : وما ثمن المجن ؟ قالت : ربع دينار . وفي رواية[٥] قال : اقطعوا في ربع دينار ولا تقطعوا فيما دون ذلك . « كان ربع الدينار يومئذ ثلاثة دراهم والدينار اثني عشر درهما » .

وعن ابي هريرة[٦] رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : « لعن الله السارق الذي يسرق البيضة فتقطع يده ويسرق الحبل فتقطع يدة » . قال الأعمش كانوا يرون انه بيض الحديد ، والحبل كانوا يرون ان منها ما يساوي ثمنه ثلاثة دراهم .

---

(١) تقدم عزوه فيما تقدم في الكبيرة العاشرة .
(٢) متفق عليه كما في المشكاة وبلوغ المرام .
(٣) متفق عليه .
(٤) هي لفظ مسلم كما في بلوغ المرام .
(٥) لفظ رواية احمد .
(٦) متفق عليه كما في المشكاة .

وعن[١] عائشة رضي الله عنها قالت : كانت مخزومية تستعير المتاع وتجحده فأمر النبي ﷺ بقطع يدها فأتى أهلها أسامة بن زيد فكلموه فيها فكلم النبي ﷺ فقال له النبي ﷺ : « يا أسامة لا أراك تشفع في حد من حدود الله تعالى » ثم قام النبي ﷺ خطيباً فقال : « انما أهلك من كان قبلكم انهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها » فقطع يد المخزومية .

وعن عبد الرحمن[٢] بن جرير قال : سألنا فضالة بن عبيد عن تعليق يد السارق في عنقه أمن السنة ؟ قال : أتى النبي ﷺ بسارق فقطع يده ثم أمر بها فعلقت في عنقه . قال العلماء : ولا تنفع السارق توبته الا أن يرد ما سرقه ، فان كان مفلساً تحلل من صاحب المال ، والله أعلم .

الكبيرة الرابعة والعشرون : قطع الطريق

قال الله تعالى : (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الأَرْضِ . ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) .

---

(١) متفق عليه واللفظ لمسلم كما في المشكاة .

(٢) رواه الترمذي وابو داود والنسائي وابن ماجه كذا في المشكاة .

قـــال الواحدي[1] رحمه الله : معنى يحاربون الله ورسوله يعصونهما ولا يطيعونهما . كل من عصاك فهو محارب لك، ويسعون في الأرض فساداً أي بالقتل والسرقة وأخذ الأموال، وكل من أخذ السلاح على المؤمنين فهو محارب لله ورسوله وهذا قول مالك والأوزاعي والشافعي. (قوله تعالى) : أن يقتلوا إلى قوله أو ينفوا من الأرض قال الوالبي[2] عن ابن عباس رضي الله عنهما (أو) ادخلت للتخيير ومعناها الاباحة ، ان شاء الامام قتل ، وان شاء صلب ، وان شاء نفي ، وهـــذا قول الحسن وسعيد بن المسيب ومجاهد ، وقال في رواية عطية[3] أو ليست للاباحة ، انما هي مرتبة للحكم باختلاف الجنايات . فمن قتل وأخذ المال قتل وصلب . ومن أخذ المال ولم يقتل قطع ، ومن سفك الدماء وكف عن الأموال قتل، ومن اخاف السبيل ولم يقتل نفي من الأرض ، وهذا مذهب الشافعي رضي الله عنه . وقال الشافعي أيضاً: يحد كل واحد بقدر فعله. فمن وجب عليه القتل والصلب قتل قبل صلبه كراهية تعذيبه ويصلب ثلاثاً ثم ينزل، ومن وجب عليه القتل دون الصلب قتل ودفع إلى أهله يدفنونه ، ومن وجب عليه القطع دون القتل قطعت يده اليمنى ثم حسمت ، فان عاد وسرق ثانياً قطعت رجله اليسرى، فان عاد وسرق قطعت يده اليسرى، لما روى[4] عن النبي ﷺ قال في السارق : ان سرق فاقطعوا يده، ثم ان سرق فاقطعوا رجله ، ثم ان سرق فاقطعوا يده ، ثم ان سرق فاقطعوا

---

(١) هو ابو الحسن علي بن احمد بن محمد بن علي بن متويه بفتح الميم وتشديد التاء المثناة صاحب التفاسير المشهورة « البسيط والوسيط والوجيز ، وأسباب نزول القرآن، والتحبير في شرح اسماء الله الحسنى » ، وشرح ديوان ابي الطيب المتنبي شرحـــاً مستوفى ليس في شروحه على كثرتها مثله ، وذكر فيه اشياء غريبة . وكان الواحدي تلميذ ابي أسحاق احمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي المفسر المشهور وعنه أخذ علم التفسير وأربى عليه ، توفي سنة ٤٦٨ هـ في جمادي الاخرة (ابن خلكان).

(٢) يعني علي بن ابي طلحة الوالبي رواية تفسير ابن عباس ، وان كان في سماعه منه كلام راجع ترجمته في الميزان للذهبي .

(٣) يعني ابن سعد العرفي ، مختلف في توثيقه صدوق يخطىء كثيراً وكان يدلس «التقريب».

(٤) رواه ابو داود والنسائي من حديث جابر واستنكره وأخرجه من حديث الحارث ابي حاطب بنحوه ، وذكر الشافعي ان القتل في الخامسة منسوخ (بلوغ المرام) .

رجله . ولأنه فعل أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ولا مخالف لهما من الصحابة ، ووجه كونها اليسرى اتفاق من صار إلى قطع الرجل بعد اليد على انهـا اليسرى وذلك معنى قوله تعالى « من خلاف » .

وقوله تعالى : (أو ينفوا من الأرض) . قال ابن عباس :هو ان يهدر الامام دمه فيقول من لقيه فليقتله ، هذا فيمن يقدر عليه ، فأما من قبض عليه فنفيه من الأرض الحبس والسجن ، لأنه إذا حبس ومنع من التقلب في البلاد فقد نفي منها انشد ابن قتيبة لبعض المسجونين شعراً :

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها
فلسنا من الأحياء فيها ولا الموتى

إذا جاءنا السجان يوماً لحاجـــة
عجبنا وقلنا جـــاء هذا من الدنيا

قال : فبمجرد قطع الطريق وإخافة السبيل قد إرتكب الكبيرة فكيف اذا أخذ المال أو جرح أو قتل ؟ فقد فعل عدة كبائر مع ما غالبهم عليه من ترك الصلاة وإنفاق ما يأخذونه في الخمر والزنا واللواطة وغير ذلك. نسأل الله العافية من كل بلاء ومحنة ، إنه جواد كريم غفور رحيم .

قال الله تعالى : (إنَّ الَّذينَ يَشْتَرُونَ بعهد الله وأيْمانهمْ ثمناً قَليلاً أولئكَ لا خَلاقَ لهُمْ في الآخرَة ولا يُكلِّمُهمُ الله ولا يَنظُرُ إليْهمْ يَوْمَ القِيامَةِ ولا يُزَكّيهمْ ولَهُمْ عذابٌ أليم).

قال الواحدي :[1] نزلت في رجلين اختصما إلى النبي ﷺ في ضيعة ، فهمَّ المدعي عليه ان يحلف ، فأنزل الله هذه الآية فنكل المدعي عليه عن اليمين وأقر للمدعي بحقه . وعن عبد الله[2] قال : قال رسول الله ﷺ : من حلف على يمين وهو فيها فاجر ليقتطع بها مال امرىء مسلم لقي الله تعالى وهو عليه غضبان . فقال الاشعث: فيَّ والله نزلت ، كان بيني وبين رجل من اليهود أرض فجحدني، فقدمته إلى النبي ﷺ ، فقال : ألك بينة ؟ قلت : لا ، قال لليهودي : احلف . قلت : يا رسول الله انه اذن يحلف فيذهب بمالي . فأنزل الله تعالى (ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمناً قليلاً) أي عرضاً يسيراً من الدنيا وهو ما يحلفون عليه كاذبين (اولئك لا خلاق لهم في الآخرة) أي لا نصيب لهم في الآخرة (ولا يكلمهم الله) أي بكلام يسرهم (ولا ينظر اليهم) نظراً يسرهم، يعني نظر الرحمة (ولا يزكيهم) ولا يزيدهم خيراً ولا يثني عليهم .

وعن عبد الله بن مسعود قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من حلف على مال امرىء مسلم بغير حق لقي الله وهو عليه غضبان » . قال عبد الله . ثم قرأ علينا رسول الله ﷺ تصديقه من كتاب الله (ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمناً قليلاً) إلى آخر الآية اخرجاه في الصحيحين . وعن أبي امامة قال :

---

(١) تقدمت ترجمته .

(٢) رواه البخاري ومسلم وابو داود والترمذي وابن ماجه مختصراً وتفسير الآيـة في آخر الحديث من صنيع المؤلف .

كنا عند رسول الله ﷺ ، فقال : « من اقتطع حق امرىء مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة » فقال رجل : وان كان يسيراً يا رسول الله ؟ قال : « وان كان قضيباً من أراك » أخرجه مسلم[1] في صحيحه . قال حفص بن ميسرة : ما أشد هذا الحديث . فقال : أليس في كتاب الله تعالى : (ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمناً قليلا) ؟ الآية . وعن أبي ذر[2] عن النبي ﷺ قال : ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم . فقرأ بها رسول الله ﷺ ثلاث مرات، فقال أبو ذر : خابوا وخسروا يا رسول الله من هم ؟ قال : « المسبل، والمنان ؛ والمنفق سلعته بالحلف الكاذب » . وقال ﷺ : « الكبائر الاشراك بالله ، وعقوق الوالدين ، وقتل النفس ، واليمين الغموس » اخرجه البخاري[3] في صحيحه والغموس هي التي يتعمد الكذب فيها ، سميت غموساً لأنها تغمس الحالف في الاثم ، وقيل تغمسه في النار[4] .

(**فصل**) : ومن ذلك الحلف بغير الله عز وجل كالنبي والكعبة والملائكة والسماء والماء والحياة والأمانة ، وهي من أشد ما هنا ، والروح والرأس وحياة السلطان ونعمة السلطان وتربة فلان .

عن ابن عمر[5] رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : «إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ، فمن حلف فليحلف بالله أو ليصمت » . وفي رواية في الصحيح « فمن كان حالفاً فلا يحلف إلا بالله أو ليسكت » .

---

(٢) النسائي وابن ماجه ومالك كلهم من حديث ابي أمامة إياس بن ثعلبة الحارثي(منذري)
(٢) رواه مسلم وابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه .
(٣) الترمذي والنسائي من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص وقد تقدم مراراً .
(٤) عبارة المنذري : تغمس الحالف بها في الاثم في الدنيا وفي النار في الآخرة وهي احسن مما هنا من جعلها قولين فيها .
(٥) رواه مالك ، والبخارى ومسلم وابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه (المنذري).

وعن[1] عبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تحلفوا بالطواغي ولا بآبائكم » رواه مسلم . الطواغي : جمع طاغية وهي الأصنام ، ومنه الحديث : هذه طاغية دوس أي صنمهم ومعبودهم . وعن بريدة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من حلف بالأمانة فليس منا » رواه ابو داود وغيره ، وعنه رضي الله عنه[2] قال : قال رسول الله ﷺ : « من حلف فقال اني بريء من الاسلام ، فان كان كاذباً فهو كما قال ، وان كان صادقاً فلن يرجع إلى الاسلام سالماً » .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما إنه سمع رجلاً يقول : والكعبة ، فقال : « لا تحلف بغير الله » ، فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من حلف بغير الله فقد كفر وأشرك » . رواه الترمذي وحسنه ابن حبان في صحيحه والحاكم ، وقال : صحيح على شرطهم[3] . قال : وفسر بعض العلماء قوله « كفر أو أشرك » على التغليظ كما روي عن النبي ﷺ انه قال : « الرياء شرك » :

وقال[4] ﷺ : من حلف فقال في حلفه واللات والعزى فليقل لا اله إلا الله ، وقد كان في الصحابة من هو حديث عهد بالحلف بها قبل اسلامه ، فربما سبق لسانه إلى الحلف بها فأمره النبي ﷺ أن يبادر بقول : لا إله إلا الله ليكفر بذلك ما سبق إلى لسانه ، وبالله التوفيق .

---

(١) في الاصل ابو عبد الرحمن وهو غلط وانما هو عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب من مسلمي الفتح ، افتتح سجستان ، روى له الستة ، سكن البصرة ، مات بعد سنة ٥٠ هـ (التقريب) .

(٢) أي عن بريدة رواه ابو داود وابن ماجه والحاكم وقال صحيح على شرطهما .

(٣) وسكت على ذلك المنذري في ترغيبه لكن قال المصنف في الصغرى . اسناده على شرط مسلم ، وساقه من حديث الحسن بن عبيد الله النخعي عن سعد بن عبيدة .

(٤) قال في الصغرى : متفق عليه يعني رواه البخاري ومسلم .

بأكل أموال الناس وأخذها ظلماً وظلم الناس بالضرب والشتم والتعـــدي والاستطالة على الضعفاء .

قال الله تعالى : (ولا تَحْسَبَنَّ الله غافلاً عمَّا يَعْمَلُ الظَّالمونَ إنَّما يؤخِّرُهُمْ لِيومٍ تَشْخَصُ فيه الأبصارُ . مُهْطعين مُقْنعي رُؤوسهمْ لا يَرْتَدُّ إليهمْ طرْفُهُمْ وأفْئدَتُهمْ هَواء . وأنْذرِ النَّاس يَوْمَ يَأتيهمُ العَذَابُ . فيَقولُ الَّذينَ ظَلَمُوا : رَبَّنا أخِّرْنَا إلى أجل قَريب نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ . أوَلَمْ تَكونُوا أقْسَمْتُمْ منْ قَبْلُ مالكمْ مِنْ زَوَال . وَسَكَنْتُمْ في مَسَاكن الَّذينَ ظَلَمُوا أنْفُسَهُمْ . وتَبَيَّنَ لَكُمْ كيفَ فَعلْنا بِهِمْ وضَرَبْنا لَكُمُ الأمْثالَ) وقال تعالى : (إنَّمَا السَّبيلُ عَلَى الَّذينَ يَظْلمُونَ النَّاسَ) وقال تعالى : (وَسَيَعْلَمُ الذينَ ظَلَمُوا أيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ) .

وقال ﷺ [١] ان الله ليملي للظالم حتى اذا أخـــذه لم يفلته . ثم قرأ رسول الله ﷺ :

(وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة . ان أخذه أليم شديد) .

وقال ﷺ [٢] : من كانت عنده مظلمة لأخيـــه من عرض أو شيء فليتحلله

---

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي من حديث ابي موسى الاشعري (المنذري) .
(٢) رواه البخاري والترمذي من حديث ابي هريرة (المنذري) .

اليوم من قبل ان لا يكون دينار ولا درهم ، ان كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، فإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه .

وقال ﷺ [1] عن ربه تبارك وتعالى : انه قال : «يا عبادي اني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا » . وقال [2] رسول الله ﷺ : أتدرون من المفلس ؟ قالوا : يا رسول الله المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، فقال : ان المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام وحج ، فيأتي وقد شتم هذا ، وأخذ مال هذا ، ونبش عن عرض هذا ، وضرب هذا ، وسفك دم هذا . فيؤخذ لهذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرح عليه ثم طرح في النار» . وهذه الأحاديث كلها في الصحاح [3] وتقدم حديث : « إن رجالاً يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة » وتقدم قوله [4] لمعاذ حين بعثه الى اليمن : « واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب » [5] . وفي الصحيح : « من ظلم قيد شبر من الأرض طوقه من سبع أرضين يوم القيامة » .

وفي بعض الكتب يقول الله تعالى : اشتد غضبي على من ظلم من لم يجد له ناصراً غيري وأنشد بعضهم:

لا تظلمن اذا ما كنت مقتدراً فالظلم يرجع عقباه الى الندم
تنام عيناك والمظلوم منتبه يدعو عليك وعين الله لم تنم

وكان بعض السلف يقول: لا تظلم الضعفاء فتكون من أشرار الأقوياء،وقال

---

(١) رواه مسلم والترمذي وهو من حديث ابي ذر الطويل .
(٢) رواه مسلم والترمذي من حديث ابي هريرة .
(٣) تقدم في القمار رواه البخاري .
(٤) رواه البخاري ومسلم والنسائي من حديث طويل عن ابن عباس .
(٥) رواه البخاري ومسلم من حديث عائشة وشواهده كثيرة (المنذري) .

أبوهريرةرضي الله عنه: ان الحبارى لتموت في وكرها هزالاً من ظلم الظالم وقيل مكتوب في التوراة: ينادي مناد من وراء الجسر-يعني الصراط-يامعشر الجبابرة الطغاة، ويا معشر المترفين الأشقياء ان الله يحلف بعزته وجلاله ان لا يجاوز هذا الجسر اليوم ظالم. عن جابر[1] قال: لما رجعت مهاجرة الحبشة عام الفتح إلى رسول الله ﷺ قال: ألا تخبروني بأعجب ما رأيتم بأرض الحبشة؟ فقال فتية كانوا منهم: بلى يا رسول الله بينما نحن يوماً جلوس إذ مرت بنا عجوز من عجائزهم تحمل على رأسها قلة من ماء، فمرت بفتى منهم فجعل احدى يديه بين كتفيها ثم دفعها فخرت المرأة على ركبتيها وانكسرت قلتها. فلما قامت التفتت اليه ثم قالت: سوف تعلم يا غادر إذا وضع الله الكرسي وجمع الله الأولين والآخرين وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون، سوف تعلم من أمري وأمرك عنده غداً. قال فقال رسول الله ﷺ: «صدقت كيف يقدس الله قوماً لايؤخذ من شديدهم لضعيفهم»؟

إذا ما الظلوم استوطأ الظلم مركبا ... ولج عتواً في قبيح اكتسابه
فكله إلى صرف الزمان وعدله ... سيبدو له ما لم يكن في حسابه

وروي عن النبي ﷺ انه قال: «خمسة غضب الله عليهم ان شاء أمضى غضبه عليهم في الدنيا والا أمر بهم في الآخرة إلى النار: أمير قوم يأخذ حقه من رعيته ولا ينصفهم من نفسه ولا يدفع الظلم عنهم وزعيم قوم يطيعونه ولا يساوي بين القوي والضعيف ويتكلم بالهوى، ورجل لا يأمر أهله وولده بطاعة الله ولا يعلمهم أمر دينهم، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه العمل ولم يوفه اجرته، ورجل ظلم امرأة صداقها».

وعن عبدالله بن سلام قال: ان الله تعالى لما خلق الخلق واستووا على أقدامهم

---

(١) عزا المرفوع منه في الجامع الصغير إلى ابن ماجه وابن حبان في صحيحه وصححه. وذكر شاهداً له من حديث بريدة عند ابي يعلى والبيهقي وعلم عليه بالصحة أيضاً.

رفعوا رؤوسهم الى السماء ، وقالوا : يا رب مع من أنت ؟ قال : مع المظلوم حتى يؤدي اليه حقه. وعن وهب بن منبه قال: بني جبار من الجبابرة قصراً وشيده، فجاءت عجوز فقيرة فبنت الى جانبه كوخاً تأوي اليه ، فركب الجبار يوماً وطاف حول القصر ، فرأى الكوخ فقال : لمن هذا ؟ فقيل لامرأة فقيرة تأوي اليه فأمر به فهدم ، فجاءت العجوز فرأته مهدوماً فقالت : من هدمه ؟ فقيل : الملك رآه فهدمه فرفعت العجوز رأسها الى السماء، وقالت : يارب اذا لم أكن انا حاضرة فأين كنت أنت ؟ قال : فأمر الله جبريل ان يقلب القصر على من فيه فقلبه .

وقيل لما حبس خالد بن برمك وولده قال : يا أبتي بعد العز صرنا في القيد والحبس . فقال : يا بني دعوة المظلوم سرت بليل غفلنا عنها ولم يغفل الله عنها، وكان يزيد بن حكيم يقول : ما هبت أحداً قط هيبتي رجلاً ظلمته، وأنا أعلم انه لا ناصر له إلا الله يقول لي : حسبي الله ، الله بيني وبينك .

وحبس الرشيد أبا العتاهية الشاعر فكتب اليه من السجن هذين البيتين شعراً:

أما والله ان الظلم شوم ... وما زال المسيء هو المظلوم
ستعلم يا ظلوم اذا التقينا ... غداً عند المليك من الملوم

وعن [1] ابي امامة قال : يجيء الظالم يوم القيامة حتى اذا كان على جسر جهنم لقيه المظلوم وعرفه ما ظلمه به ، فما يبرح الذين ظلموا بالذين ظلموا حتى ينزعوا ما بأيديهم من الحسنات ، فإن لم يجدوا لهم حسنات حملوا عليهم من سيئاتهم مثل ما ظلموهم حتى يردوا الى الدرك الأسفل من النار .

وعن [2] عبدالله بن أنيس قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : يحشر العباد

---

(١) رواه الطبراني في الاوسط من حديث ابي أمامة مرفوعاً ورواته مختلف في توثيقهم (المنذري).

(٢) رواه أحمد بإسناد حسن (المنذري) وعزاه ابن القيم في صواعقه إلى ابى يعلى الموصلي في مسنده والبخاري في الأدب المفرد والضياء في المختارة والطبراني في المعجم والسنة وغيرهم وحسن اسناده وهو من رواية همام بن يحيى عن القاسم بن عبد الواحد عن عبدالله بن محمد بن عقيل عن جابر في رحلته إلى الشام إلى عبدالله بن انيس فذكره وعلقه البخاري في أول صحيحه مجزوماً به وفي آخره بلفظ ويذكر عن جابر الخ .

يوم القيامة حفاة عراة غرلاً بهما فيناديهم مناد بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب ، انا الملك الديان لا ينبغي لأحد من أهل الجنة ان يدخل الجنة أو أحد من أهل النار ان يدخل النار وعنده مظلمة أن أقصه حتى اللطمة فما فوقها ولا يظلم ربك أحداً . قلنا : يا رسول الله كيف وإنما نأتي حفاة عراة . فقال : بالحسنات والسيئات جزاء ولا يظلم ربك أحداً . وجاء عن [1] النبي ﷺ انه قال من ضرب سوطاً ظلماً اقتص منه يوم القيامة ومما ذكر ان كسرى اتخذ مؤدباً لولده يعلمه ويؤدبه حتى اذا بلغ الولد الغاية في الفضل والأدب استحضره المؤدب يوماً وضربه ضرباً شديداً من غير جرم ولا سبب ، فحقد الولد على المعلم الى ان كبر ومات أبوه فتولى الملك بعده فاستحضر المعلم وقال له : ما حملك على أن ضربتني في يوم كذا و كذا ضرباً وجيعاً من غير جرم ولا سبب ، فقال المعلم : اعلم ايها الملك انك لما بلغت الغاية في الفضل والأدب علمت أنك تنال الملك بعد أبيك ، فأردت أن أذيقك ألم الضرب وألم الظلم حتى لا تظلم أحدا ، فقال : جزاك الله خيراً ثم أمر له بجائزة وصرفه .

ومن الظلم أخذ مال اليتيم ، وتقدم [2] حديث معاذ بن جبل حين قال له رسول الله : واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب .

وفي رواية [3] ان دعاء المظلوم يرفع فوق الغمام ويقول الرب تبارك وتعالى : وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين وأنشدوا شعراً :

توقَ دعا المظلوم ان دعاءه ... ليرفع فوق السحب ثم يجاب
توقَ دعا من ليس بين دعائه ... وبين إله العالمين حجاب
ولا تحسبن الله مطرحاً له ... ولا أنه يخفى عليه خطاب

---

(١) رواه البزار والطبراني باسناد حسن من حديث ابي هريرة (المنذري) .
(٢) تقدم قريباً أنه رواه البخاري ومسلم وأبو داود والنسائي من حديث ابن عباس .
(٣) رواها احمد في حديث لابي هريره والترمزي وحسنه ، وابن ماجه ، وابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما (المنذري) .

فقد صح ان الله قال وعزتي   لأنصر المظلوم وهو مثاب
فمن لم يصدق ذا الحديث فإنه   جهول وإلا عقله فمصاب

(فصل) : ومن أعظم الظلم المماطلة بحق عليه مع قدرته على الوفاء لما ثبت في الصحيحين ان رسول الله ﷺ قال : « مطل الغني ظلم » وفي رواية « لي الواجد ظلم يحل عرضه وعقوبته » أي يحل شكايته وحبسه .

(فصل) ومن الظلم ان يظلم المرأة حقها من صداقها ونفقتها وكسوتها وهو داخل في قوله ﷺ « لي الواجد ظلم يحل عرضه وعقوبته » .

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال : يؤخذ بيد العبد أو الأمة يوم القيامة فينادى به على رؤوس الخلائق هذا فلان ابن فلان من كان له عليه حق فليأت إلى حقه . قال : فتفرح المرأة أن يكون لها حق على أبيها أو أخيها أو زوجها ثم قرأ : (فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون) . قال : فيغفر الله من حقه ما شاء ولا يغفر من حقوق الناس شيئاً ، فينصب العبد للناس ثم يقول الله تعالى لاصحاب الحقوق : ائتوا إلى حقوقكم . قال فيقول الله تعالى للملائكة : خذوا من أعماله الصالحة فأعطوا كل ذي حق حقه بقدر طلبته ، فان كان ولياً لله وفضل له مثقال ذرة ضاعفها الله تعالى له حتى يدخله الجنة بها ، وان كان عبداً شقياً ولم يفضل له شيء فتقول الملائكة : ربنا فنيت حسناته وبقي طالبوه ، فيقول الله : خذوا من سيئاتهم فأضيفوها إلى سيئاته ، ثم صكوا له صكاً إلى النار . ويؤيد ذلك ما تقدم[1] من قول النبي ﷺ : « أتدرون من المفلس ؟ فذكر ان المفلس من أمته من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام ، ويأتي وقد شتم هذا وضرب هذا وأخذ مال هذا ، فيؤخذ لهذا من حسناته ولهذا من حسناته ، فإن فنيت حسناته قبل ان يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار » .

---

(١) تقدم قريباً رواه مسلم والترمذي من حديث ابي هريرة .

(فصل) ومن الظلم ان يستأجر أجيراً أو انساناً في عمل ولا يعطيه أجرته لما ثبت في صحيح البخاري ان رسول الله ﷺ قال يقول الله تعالى : « ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة ومن كنت خصمه خصمته : رجل اعطى بي غدر ، ورجل باع حراً فأكل ثمنه ، ورجل استأجر أجيراً فاستوفى منه العمل ولم يعطه أجرته » وكذلك اذا ظلم يهودياً أو نصرانياً أو نقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفسه فهو داخل في قوله تعالى : أنا حجيجه — أو قال أنا خصمه — يوم القيامة . ومن ذلك ان يحلف على دين في ذمته كاذباً فاجراً لما ثبت في الصحيحين ان رسول الله ﷺ قال : « من اقتطع حق امرىء مسلم بيمينه فقد اوجب الله له النار وحرم عليه الجنة . قيل : يا رسول الله وان كان شيئاً يسيراً ؟ قال وان قضيباً من أراك » .

فخف القصاص غدا اذا وفيت ما … كسبت يداك اليوم بالقسطاس
في موقف ما فيه إلا شاخص … أو مهطع أو مقنع للراس
اعضاؤهم فيه الشهود وسجنهم … نار وحاكمهم شديد البأس
أن تمطل اليوم الحقوق مع الغنى … فغدا تؤديها مع الافلاس

وقد روي أنه لا أكره للعبد يوم القيامة من أن يرى من يعرفه خشية أن يطالبه بمظلمة ظلمه بها في الدنيا كما قال النبي ﷺ[1] : « لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء » . وقال ﷺ[2] : « من كانت عنده مظلمة لأخيه من عرضه أو من شيء فليتحلل منه اليوم من قبل أن لا يكون دينار ولا درهم . ان كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته ، وان لم يكن له حسنات اخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه ثم طرح في النار » . وروى عبد الله بن ابي الدنيا بسنده إلى ابي ايوب[3] الأنصاري ان رسول الله ﷺ قال:

---

(١) رواه مسلم والترمذي من حديث ابي هريرة رضي الله عنه .
(٢) رواه البخاري والترمذي من حديث ابي هريرة (المنذري) .
(٣) الطبراني في مسنده عن عبدالله بن عبد العزيز الليثي وهو ضعيف ، ووثقه سعيد بن منصور وقال : كان مالك يرضاه (مجمع الزوائد) .

« أول من يختصم يوم القيامة الرجل وامرأته والله ما يتكلم لسانها ولكن يداها ورجلاها يشهدان عليها بما كانت تعنت لزوجها في الدنيا ويشهد على الرجل يده ورجله بما كان يولي زوجته من خير أو شر ، ثم يدعى بالرجل وخدمه مثل ذلك فما يؤخذ منهم دوانيق ولا قراريط ولكن حسنات هـذا الظالم تدفع إلى هذا المظلوم ، وسيئات هذا المظلوم تحمل على هذا الظالم ، ثم يؤتى بالجبارين في مقامع من حديد فيقال سوقوهم إلى النار » . وكان شريح القاضي يقول : سيعلم الظالمون حق من انتقصوا أن الظالم ينتظر العقـاب والمظلوم ينتظر النصر والثواب . وروي انـه إذا أراد الله بعبده خيراً سلط الله عليه من يظلمه ، ودخل طاوس اليماني على هشام بن عبد الملك فقال له : اتق الله يوم الاذان ، قال هشام : ومـا يوم الاذان؟ قال: قال الله تعالى : (فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين) . فصعق هشام . فقال طاوس : هذا ذل ذا الصفة فكيف بذل المعاينة ؟ يا راضياً باسم الظالم كم عليك من المظالم ؟ السجن جهنم ، والحق الحاكم !.

(**فصل**) : في الحذر من الدخول على الظلمة ومخالطتهم ومعونتهم . قال الله تعالى(ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار) والركون ههنا السكون إلى الشيء والميل اليه بالمحبة . قال ابن عباس رضي الله عنهما : لا تميلوا كل الميل في المحبـة ولين الكلام والمودة ، وقال السدي وابن زيد :لا تداهنوا الظلمة ، وقال عكرمة : هو ان يطيعهم ويودهم ، وقال أبو العالية : لا ترضوا باعمالهم (فتمسكم النار) فيصيبكم لفحها (وما لكم من دون الله من أولياء) ، وقال ابن عباس رضي الله عنهما : ما لكم من مانع يمنعكم من عذاب الله (ثم لا تنصرون) لا تمنعون من عذابه ، وقال الله تعالى: (احشروا الذين ظلموا وازواجهم) أي أشباههم وامثالهم واتباعهم . وعن[1] ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ سيكون امراء يغشاهم غواش أو حواش من الناس يظلمون ويكذبون ، فمن دخل عليهم

---

(١) رواه احمد وابو يعلى وابن حبـان في صحيحه من حديث ابي سعيد الخدري لا ابن مسعود كما في المنذري فلعل ما هنا من خطأ النساخ .

وصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه، ومن لم يدخل عليهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه ». وعنه[1] رضي الله عنه عن النبي ﷺ : « من أعان ظالماً سلط عليه »، وقال سعيد ابن المسيب رحمه الله : لا تملأوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بانكار من قلوبكم لئلا تحبط أعمالكم الصالحة »، وقال مكحول الدمشقي : ينادي مناد يوم القيامة أين الظلمة وأعوانهم ؟ فما يبقى أحد مد لهم حبراً أو حبّر لهم دواة أو بري لهم قلماً فما فوق ذلك إلا حضر معهم فيجمعون في تابوت من نار فيلقون في جهنم . وجاء رجل خياط إلى سفيان الثوري فقال : اني رجل اخيط ثياب السلطان هل أنا من أعوان الظلمة ؟ فقال سفيان بل أنت من الظلمة أنفسهم، ولكن أعوان الظلمة من يبيع منك الأبرة والخيوط .

وقد روي عن النبي ﷺ انه قال : « أول من يدخل النار يوم القيامة السواطون الذين يكون معهم الاسواط يضربون بها الناس بين يدي الظلمة » وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: الجلاوزة والشرط كلاب النار يوم القيامة . الجلاوزة: أعوان الظلمة .

وقد روي ان الله تعالى أوحى إلى موسى عليه السلام أن مر بني اسرائيل أن لا يتلوا من ذكري فاني أذكر من ذكرني، وأن ذكري اياهم أن العنهم، وفي رواية فاني اذكر من ذكرني منهم باللعنة[2] . وجاء عن النبي ﷺ انه قال: « لا يقف أحدكم في موقف يُضرب فيه رجل مظلوم فان اللعنة تنزل على من حضر ذلك المكان إذا لم يدفعوا عنه » .

وروي[3] عن رسول الله ﷺ انه قال : « أتى رجل في قبره فقيل له : إنا

---

(١) عزاه السيوطي في جامعه الصغير إلى ابن عساكر عن ابن مسعود وأشار إلى ضعفه .
(٢) رواه الطبراني باسناد حسن من حديث ابن عباس بلفظ يقتل فيه رجل ظلماً (ترغيب) .
(٣) رواه الطبراني من حديث ابن عمر وفي سنده يحيى بن عبدالله البابلي وهو ضعيف قاله في (مجمع الزوائد) وعزاه في (الترغيب) إلى كتاب (التوبيخ) لابي الشيخ ابن حبان وأشار لضعفه .

ضاربوك مائة ضربة فلم يزل يتشفع اليهم حتى صاروا إلى ضربة واحدة فضربوه، فالتهب القبر عليه ناراً فقال: لم ضربتموني هذه الضربة ؟ فقالوا: انك صليت صلاة بغير طهور ومررت برجل مظلوم فلم تنصره » . فهذا حال من لم ينصر المظلوم مع القدرة على نصره فكيف حال الظالم !؟

وقد ثبت في الصحيحين (١) عن رسول الله ﷺ انه قال : « انصر أخاك ظالماً أو مظلوما ، فقال يا رسول الله: أنصره اذا كان مظلوماً فكيف أنصره اذا كان ظالماً ؟ قال : تمنعه من الظلم فان ذلك نصره » .

ومما حكي قال بعض العارفين : رأيت في المنام رجلاً ممن يخدم الظلمة والمكاسين بعد موته بمدة في حالة قبيحة فقلت له ما حالك ؟ قال : شر حال ، فقلت : الى أين صرت ؟ قال : الى عذاب الله . قلت : فما حال الظلمة عنده ؟ قال شر حال ، أما سمعت قول الله عز وجل : (وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون) ومما حكي قال بعضهم رأيت رجلاً مقطوع اليد من الكتف وهو ينادي من رآني فلا يظلمن أحداً فتقدمت اليه ، فقلت له : يا أخي ما قصتك ؟ قال : يا أخي قصة عجيبة ، وذلك اني كنت من أعوان الظلمة فرأيت يوماً صياداً وقد اصطاد سمكة كبيرة فأعجبتني ، فجئت اليه فقلت : أعطني هذه السمكة ، فقال : لا أعطيكها أنا آخذ بثمنها قوتاً لعيالي ، فضربته وأخذتها منه قهراً ومضيت بها . قال : فبينا أنا أمشي بها حاملها إذ عضت على إبهامي عضة قوية فلما جئت بها الى بيتي وألقيتها من يدي ضربت على إبهامي وآلمتني ألماً شديداً حتى لم أنم من شدة الوجع والألم وورمت يدي ، فلما أصبحت أتيت الطبيب وشكوت اليه الألم ، فقال : هذه بدء الآكلة أقطعها وإلا تقطع يدك ، فقطعت إبهامي ثم ضربت على يدي فلم أطق النوم ولا القرار من شدة الألم ، فقيل لي : إقطع كفك فقطعته ، وانتشر الألم الى الساعد وآلمني ألماً شديداً ، ولم أطق القرار ، وجعلت أستغيث من شدة الألم : فقيل لي : اقطعها الى المرفق فقطعتها،

(١) البخاري من حديث أنس ومسلم من حديث جابر (المنذري) .

فانتشر الألم الى العضد وضربت على عضدى أشد من الألم الأول ، فقيل : اقطع يدك من كتفك وإلا سرى إلى جسدك كله فقطعتها . فقال لي بعض الناس : ما سبب ألمك ؟ فذكرت قصة السمكة ، فقال لي : لو كنت رجعت في أول ما أصابك الألم الى صاحب السمكة واستحللت منه وأرضيته لما قطعت من أعضائك عضواً ، فاذهب الآن اليه واطلب رضاه قبل أن يصل الألم الى بدنك . قال : فلم أزل أطلبه في البلد حتى وجدته ، فوقعت على رجليه أقبلها وأبكي وقلت له : يا سيدى سألتك بالله ألا عفوت عني . فقال لي : ومن أنت ؟ قلت : أنا الذي أخذت منك السمكة غصباً ، وذكرت ما جرى وأريته يدى فبكى حين رآها. ثم قال : يا أخي قد أحللتك منها لما قد رأيته بك من هذا البلاء ، فقلت : يا سيدى بالله هل كنت قد دعوت علي لما أخذتها ؟ قال : نعم . قلت : اللهم إن هذا تقوى علي بقوته على ضعفي على ما رزقتني ظلماً فأرنى قدرتك فيه . فقلت: يا سيدى قد اراك الله قدرته في وأنا تائب الى الله عز وجل عما كنت عليه من خدمة الظلمة ، ولا عدت أقف لهم على باب ، ولا أكون من أعوانهم ما دمت حياً . ان شاء الله وبالله التوفيق .

(موعظة) إخواني كم أخرج الموت نفساً من دارها لم يدارها ، وكم انزل أجساداً بحارها لم يجارها،وكم أجرى العيون كالعيون بعد قرارها ــ شعر :

يا معرضاً بوصال عيش ناعم ستصد عنه طائعاً أو كارها
إن الحوادث تزعج الأحرار عن أوطانها والطير عن أوكارها

أين من ملك المغارب والمشارق ، وعمر النواحي وغرس الحدائق ، ونال الأماني وركب العواتق ؟ صاح به من داره غراب بين ناعق ، وطرقه في لهوه أقطع طارق ، وزجرت عليه رعود وصواعق ، وحل به ما شيب بعض المفارق ، وقلاه الحبيب الذي لم يفارق ، وهجره الصديق والرفيق الصادق ، ونقل من جوار المخلوقين الى جوار الخالق . نازله والله الموت فلم يحاشه ، وأذله بالقهر بعد عز جاشه ، وأبدله خشن التراب بعد لين فراشه ، ومزقه الدود في قبره كتمزيق

قماشه ، وبقي في ضنك شديد من معاشه ، وبعد عن الصديق فكأنه لم يماشه . ما نفعه والله الاحتراز ، ولا ردت عنه الركاز ، بـــل ضره من الزاد الاعواز ، وصار والله عبرة للمجتاز ، وقطع شاسعاً من السبل الأوفاز ، وبقي رهيناً لا يدري أهلك أم فاز . وهذا لك بعد أيام ، وما أنت فيه الآ ن أحلام ، ودنياك لا تصلح وما سمعت ستراه غداً على التمام ، ويقع لي ولك ، ويحك ! أمـــا يؤثر فيك هذا الكلام ؟

الكبيرة السابعة والعشرون : المكاس

وهو داخل في قول الله تعالى: (إنَّما السَّبيلُ عَلى الَّذينَ يَظلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ في الأَرْض بغَيْر الْحَقِّ أولئكَ لَهُمْ عَذاب أليمٌ).

والمكاس من اكبر أعوان الظلمة ، بل هو من الظلمة أنفسهم . فإنه يأخــذ ما لا يستحق ويعطيه لمن لا يستحق ، ولهذا قال النبي ﷺ : « المكاس لا يدخل الجنة » . وقال ﷺ : « لا يدخل الجنة صاحب مكس » رواه أبو داود ، وما ذاك إلا لأنه يتقلد مظالم العباد . ومن أين للمكاس يوم القيامة أن يؤدي للنـاس ما أخذ منهم ؟ إنما يأخذون من حسناته ان كان له حسنات ! وهو داخـــل في قول [1] النبي ﷺ : « أتدرون من المفلس ؟ قالوا : يا رسول الله المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، قال : إن المفلس من أمتي من يأتي بصلاة وزكاة وصيـام وحج ، ويأتي وقد شتم هذا وضرب هـــذا وأخذ مال هذا ، فيؤخذ لهذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل ان يقضي ما عليه أخـــذ من سيئاتهم فطرحت عليه ثم طرح في النار » .

(١) رواه مسلم والترمذي من حديث أبي هريرة (الترغيب) .

وفي حديث المرأة التي طهرت نفسها بالرجم : لقد تابت توبة لو تابها صاحب مكس لغفر له أو لقبلت منه ، والمكاس من فيه شبه من قاطع الطريق وهو من اللصوص . وجابي المكس وكاتبه وشاهده وآخذه من جندي وشيخ وصاحب رواية شركاء في الوزر آكلون للسحت والحرام ، وصح أن رسول الله ﷺ قال: « لا يدخل الجنة لحم نبت من السحت . النار أولى به » والسحت : كل حرام قبيح الذكر يلزم منه العار .

وذكره الواحدي[١] رحمه الله في تفسير قول الله تعالى: (قل لا يستوي الخبيث والطيب) . وعن جابر أن رجلاً قال : يا رسول الله إن الخمر كانت تجارتي ، وإني جمعت من بيعها مالاً ، فهل ينفعني ذلك المال إن عملت فيه بطاعة الله تعالى ؟ فقال رسول الله ﷺ : إن أنفقته في حج او جهاد او صدقة لم يعدل عند الله جناح بعوضة . إن الله لا يقبل إلا الطيب ، فأنزل الله تعالى تصديقاً لقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم :

(قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ) .

قال عطاء والحسن : الحلال والحرام ، فنسأل الله العفو والعافية .

(موعظة) أين من حصن الحصون المشيدة واحترس ، وعمر الحدائق فبالغ وغرس ، ونصب لنفسه سرير العز وجلس ، وبلغ المنتهى ورأى الملتمس ، وظن في نفسه البقاء ولكن خاب الظن في النفس ، أزعجه والله هازم اللذات واختلس ، ونازله بالقهر فأنزله عن الفرس ، ووجه به إلى دار البلاء فانطمس ، وتركه في ظلام ظلمة من الجهل والدنس ، فالعاقل من أباد أيامه فإن العواقب في خلس . ينظر :

(١) ذكره في تفسيره الوسيط بلا سند ، وقال السيوطي في « لباب النقول في أسباب النزول» بسند ضعيف .

ثبني وتجمع والآثار تندرس وتأمل اللبث والأعمار تختلس
ذا اللب فكر فما في العيش من طمع لا بد مـا ينتهي أمر وينعكس
أين الملوك وأبنـاء الملوك ومن كانوا اذا الناس قاموا هيبة جلسوا
ومن سيوفهم في كل معـترك تخشى ودونهم الحجاب والحرس
أضحكوا بهلكة في وسـط معركة
صرعى وصاروا ببطن الارض وانطمسوا
وعمهم حـدث وضمهم جدث باتوافهم جثث في الرمسقد حبسوا
كأنهم قط ما كانوا وما خلقوا ومات ذكرهم بين الورى ونسوا
والله لو عاينت عيناك ما صنعت أيدي البلا بهم والدود يفـترس
لعاينت منظراً تشجى القلوب له وأبصرت منكراً من دونه البلس
من أوجه ناضرات حار ناظرها في رونق الحسن منها كيف ينطمس
وأعظم باليـات ما بها رمـق وليس تبقى لهذا وهي تنتهس
والسن ناطقـات زانهـا أدب ما شأنها شأنهـا بالآفة الخرس
حتام ياذا النهي لا ترعوي سفهـا ودمع عينيك لا يهمي وينبجس

(**موعظة**) : يا من يرحل في كل يوم مرحلة ، وكتابه قد حوى حق الخردلة ما ينتفع بالنذير والتذر متصلة ، ولا يصغي إلى ناصح وقد عذله ، ودروعه مخرقه والسهام مرسله ، ونور الهدى قد بدا ولكن ما رآه ولا تأمله وهو يؤمل البقا ، ويرى مصير من قد أمله قد انعكف بعد الشيب على العيب بصبابـة ووله . كن كيف شئت فبين يديك الحساب والزلزلة . ونعم جلدك فلا بد للديدان أن تأكله. فياعجبا من فتور مؤمن موقن بالجزاء والمسألة استيقن من غرور وبـله . ويحك يا هذا من استدعاك وفتح منزله فقد اولاك لو علمت منزله . فبادر ما بقي من عمرك واستدرك أوله . فبقية عمر المؤمن جوهرة قيمة .

الكبيرة الثامنة والعشرون : أكل الحرام وتناوله على اي وجه كان

قال الله عز وجل : (ولا تَأكلوا أمْوَالكُمْ بَيْنَكُمْ بالبَاطل).

أي لا يأكل بعضكم مال بعض بالباطل . قال ابن عباس رضي الله عنهما : يعني باليمين الباطلة الكاذبة يقتطع بها الرجل مال أخيه بالباطل والأكل بالباطل على وجهين ، أحدهما ان يكون على جهة الظلم نحو الغصب والخيانة والسرقة . والثاني على جهة الهزل واللعب كالذي يؤخذ في القمار والملاهي ونحو ذلك ، وفي صحيح البخاري :[1] ان رسول الله ﷺ قال : « ان رجالا يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة » . وفي صحيح مسلم حين ذكر النبي ﷺ : « الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده إلى السماء يا رب يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام ، وغذي بالحرام فانى يستجاب لذلك » وعن[2] أنس رضي الله عنه قال قلت يا رسول الله : أدع الله ان يجعلني مستجاب الدعوة فقال ﷺ : « يا أنس أطب كسبك تجب دعوتك ، فان الرجل ليرفع اللقمة من الحرام الى فيه فلا يستجاب له دعوة أربعين يوماً » وروى[3] البيهقي باسناده إلى رسول الله ﷺ قال : « ان الله قسم بينكم اخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم ، وان الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ولا يعطي الدين الا من يحب ، فمن اعطاه الله الدين فقد أحبه ولا يكسب عبد مالاً حراماً فينفق منه فيبارك له فيه ولا يتصدق منه فيقبل منه ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده إلى النار . ان الله لا يمحو السيء بالسيء ولكن يمحو السيء بالحسن » . وعن[4] ابن عمر

---

(١) من حديث خولة الانصارية .

(٢) ذكره (المنذري) من حديث ابن عباس وان الذي طلب دعوة الرسول في اجابة دعوته هو سعد بن ابي وقاص وعزاه الطبراني .

(٣) عزاه في الترغيب إلى رواية احمد من حديث ابن مسعود وقال قد حسنها بعضهم .

(٤) رواه البيهقي (المنذري) .

رضي الله عنهما قال ، قال رسول الله ﷺ : « الدنيا حلوة خضرة من اكتسب فيها مالاً من حله وأنفقه في حقه أثابه الله وأورثه جنته ، ومن اكتسب فيها مالاً من غير حله وأنفقه في غير حقه أدخله الله تعالى دار الهوان . ورب متخوض (فيما[1] اشتهت نفسه من الحرام) له النار يوم القيامة » وجاء عنه ﷺ انه قال: « من لم يبال من أين اكتسب المال لم يبال الله من أي باب أدخله النار » . وعن ابي هريرة[2] رضي الله عنه قال : « لأن يجعل أحدكم في فيه تراباً خير من أن يجعل في فيه حراماً . وقد روي عن يوسف بن اسباط رحمه الله قال: ان الشاب إذا تعبد قال الشيطان لأعوانه : انظروا من أين مطعمه ، فان كان مطعم سوء قال: دعوه يتعب ويجتهد فقد كفاكم نفسه . ان اجهاده مع أكل الحرام لا ينفعه ويؤيد ذلك ما ثبت في الصحيح[3] من قوله ﷺ عن الرجل الذي مطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك؟ وقد روي في حديث ان ملكاً على بيت المقدس ينادي كل يوم وكل ليلة : « من أكل حراماً لم يقبل الله منه صرفاً ولا عدلا » الصرف : النافلة ، والعدل : الفريضة . وقال عبد الله بن المبارك : «لأن أرد درهماً من شبهة أحب إلي من أن أتصدق بمائة الف ومائة». وجاء عن النبي ﷺ[4] انه قال : « من حج بمال حرام فقال لبيك ، قال ملك : لا لبيك ولا سعديك حجك مردود عليك » . وروى الامام أحمد في مسنده[5] عن رسول الله ﷺ انه قال : « من اشترى ثوباً بعشرة دراهم وفي ثمنه درهم من حرام لم يقبل الله له صلاة ما دام عليه » . « وقال وهب بن الورد : لو قمت قيام

---

(١) عبارة الترغيب هكذا : « في مال الله ورسوله » .

(٢) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن أسحاق وقد وثق ، قاله الهيثمي في مجمعه و (المنذري) اسناده جيد .

(٣) يعني صحيح مسلم من حديث ابي هريرة وتقدم قريباً .

(٤) رواه الطبراني من حديث ابي هريرة وفي سنده سليمان بن داود اليامي ضعيف (مجمع الزوائد) .

(٥) من حديث ابن عمر وفي سنده هاشم لم يعرفه الهيثمي أشار (المنذري) إلى ضعفه .

السارية ما نفعك حتى تنظر ما يدخل بطنك أحلال أم حرام . وقال ابن عباس رضي الله عنهما : « لا يقبل الله صلاة امرىء وفي جوفه حرام حتى يتوب إلى الله تعالى منه » . وقال سفيان الثوري : من أنفق الحرام في الطاعة كمن طهر الثوب بالبول ، والثوب لا يطهره إلا المـاء ، والذنب لا يكفره إلا الحلال ، وقال عمر رضي الله عنه : « كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة الوقوع في الحرام » . وعن كعب[1] بن عجرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ، لا يدخل الجنـة جسد غذي بالحرام . وعن زيد[2] بن أرقم قال : كان لأبي بكر غلام يخرج له الخراج — أي قد كاتبه على مال — وكان يجيئه كل يوم بخراجه فيسأله : من أين أتيت بها ؟ فان رضيه أكله والا تركه. قال فجاءه ذات ليلة بطعام وكان ابو بكر صائماً فأكل منه لقمة ونسي أن يسأله ، ثم قال له : من أين جئت بهذا ؟ فقال : كنت تكهنت لأناس بالجاهلية ومـا كنت احسن الكهانة ، إلا اني خدعتهم . فقال ابو بكر : أف لك كدت تهلكني ! ثم أدخل يده في فيه فجعل يتقيأ ولا يخرج ، فقيل له : انها لا تخرج إلا بالماء ، فدعا بماء فجعل يشرب ويتقيأ حتى قاء كل شيء في بطنه . فقيل له : يرحمك الله كل هـذا من أجل هذه اللقمة ؟ فقال رضي الله عنه : لو لم تخرج إلا مع نفسي لأخرجتها . اني سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كل جسد نبت من سحت فالنار أولى به » ، فخشيت أن ينبت بذلك في جسدي من هذه اللقمة . وقد تقدم قوله ﷺ : « لا يدخل الجنة جسد غذي بحرام » واسناده صحيح. قال العلماء رحمهم الله: ويدخل في هذا الباب : المكاس، والخائن، والزغلي ، والسارق، والبطال ، وآكل الربا وموكله ، وآكل مال اليتيم وشاهد الزور ، ومن استعار شيئاً فجحده ، وآكل الرشوة ، ومنقص الكيل والوزن، ومن باع شيئاً فيه عيب فغطاه ، والمقامز، والساحر ، والمنجم ، والمصور

---

(١) حديث كعب بن عجرة رواه الترمذي وابن حبان في صحيحه بلفظ لا يدخل الجنـة لحم ودم نبتا على سحت النار أولى به ، وما في الكتاب هنا لفظ حديث أبي بكر الصديق رواه ابو يعلى والطبراني في الاوسط والبيهقي وبعض اسانيدهم حسن (المنذري) .

(٢) رواه البخاري من حديث عائشة بدون الزيادة في آخره من شرب الماء الخ ..

والزانية ، والنائحة والمشرية ، والدلال ، إذا أخذ اجرته بغير اذن من البائع ، ومخبر المشتري بالزائد ومن باع حراً فأكل ثمنه .

(**فصل**) روي[1] عن رسول الله ﷺ انه قال : يؤتى يوم القيامة بأناس معهم من الحسنات كأمثال جبل تهامة ، حتى إذا جيء بهم جعلها الله هباء منثوراً ثم يقذف بهم في النار . فقيل يا رسول الله : كيف ذلك ؟ قال : كانوا يصلون ، ويصومون ، ويزكون ، ويحجون ، غير انهم كانوا إذا عرض لهم شيء من الحرام أخذوه فأحبط الله اعمالهم . وعن بعض الصالحين انه رؤي بعد موته في المنام فقيل له : ما فعل الله بك ؟ قال : خيراً ، غير اني محبوس عن الجنة بابرة استعرتها فلم أردها . فنسأل الله تعالى العفو والعافية والتوفيق لما يحب ويرضى انه جواد كريم رؤوف رحيم .

(**موعظة**) عباد الله اما الليالي والأيام تهدم الاجال ؟اما مآل المقيم في الدنيا إلى الزوال ؟أما آخر الصحة يؤول إلى الاعتلال ، اما غاية السلامة نقصان الكمال أما بعد استقرار المنى هجوم الاجال ، أما أنبئتم عن الرحيل وقد قرب الانتقال اما بانت لكم العبر وضربت لكم الامثال ؟

وعزيز ناعـــم ذل لـــه ... كل صعب المرتقى وعر المرام
فكساه بعـــد لين ملبس ... خشنا بالرغم منه في الرغام
ووجـــوه ناضرات بدلت ... بعد لون الحسن لوناً كالقتام
وشموس طالعـات أفلت ... بعد ذاك النور منها بالظلام
ومنيف شامـخ بنيانـه ... لين الاعطاف مهـتز القوام
أف للدنيـــا فمـا شيمتها ... غير نقض العقد أو خفر الذمام
فاستعدوا الزاد تنجوا واعملوا ... صالحاً من قبل تقويض الخيام

(١) رواه الطبراني من حديث أبي أمامة الباهلي من حديث طويل في سنده كلثوم بن زياد وبكر بن سهل الدمياطي وكلاهمارتق وفيه ضعف وبقية رجاله رجال الصحيح (مجمع الزوائد).

يا متعلقاً بزخرف يروق بقاؤه كلمح البروق ، يا مضيماً في الهوى واجبات الحقوق ، تبارز الخالق وتستحي من المخلوق ؟ يا مؤثراً أعلى الملالي ساتراً ذلك الفسوق ، ألا سترى ذلك الفسوق ! يا متولها مهاد الهوى وهو في سجن الردى مرموق ، إبك على نفسك العليلة فانك بالبكاء محقوق ، عجباً لمن رأى فعل الموت لصحبه ، وأيقن بتلفه وما قضى نحبه ، وسكن الايمان بالآخرة في قلبه ، ونام غافلا على جنبه ، ونسي جزاءه على جرمه وذنبه وأعرض إلى ربه من الهوى عن ربه ، كأني به وقد سقي كأس حمام يستغيث من شربه ، وأفرده الموت عن أهله وسربه ، ونقله إلى قبره ذل فيه بعد عجبه . فياذا اللب جز على قبره وعج[1] به . لقد خرقت المواعظ المسامع وما أراه انتفع به السامع ، لقد بدا نور المطالع لكنه أعمى المطالع ، ولقد بانت العبر بآثار الغير لمن اغتر بالمصارع . فما بالها لا تسكب المدامع ؟ يا عجباً لقلب عند ذكر الحق غير خاشع ، لقد نشبت فيه مخالب المطامع . يا من شيبه قد أتى هل ترى ما مضى من العمر براجع ؟ انتبه لما بقي وانته وراجع ، فالهول عظيم والحساب شديد والطريق شاسع ، ان عذاب ربك لواقع ماله من دافع .

---

(١) أي أكثر واهتم به .

الكبيرة التاسعة والعشرون : ان يقتل الانسان نفسه

قال الله تعالى : (وَلاَ تَقْتُلوا أَنفُسَكُم إنَّ الله كان بِكُم رَحِياً . وَمَنْ يَفْعَلْ ذلكَ عُدْوَاناً وظُلْماً فَسَوْفَ نصْليه ناراً ، وكانَ ذلكَ عَلى اللهِ يَسيراً) .

قال الواحدي في تفسير هذه الآية : ولا تقتلوا أنفسكم ، أي لا يقتل بعضكم بعضاً لأنكم أهل دين واحد، فأنتم كنفس واحدة . هذا قول ابن عباس والاكثرين وذهب قوم إلى أن هذا نهي عن قتل الانسان نفسه ، ويدل على صحة هذا ما أخبرنا ابو منصور محمد بن محمد المنصوري باسناده عن عمرو[1] بن العاص ، قال : احتلمت في ليلة باردة وانا في غزوة ذات السلاسل ، فاشفقت ان اغتسلت ان أهلك ، فتيممت فصليت باصحابي الصبح ، فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال : يا عمرو صليت باصحابك وانت جنب ؟ فأخبرته الذي منعني من الاغتسال فقلت اني سمعت الله يقول : (ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيماً) . فضحك رسول الله ﷺ ، ولم يقل شيئاً . فدل هذا الحديث على أن عمرو تأول هذه الآية هلاك نفسه لا نفس غيره ولم ينكر ذلك عليه النبي ﷺ . قوله (ومن يفعل ذلك) كان ابن عباس يقول : الاشارة تعود إلى كل ما نهي عنه من أول السورة إلى هذا الموضع وقال قوم الوعيد راجع إلى أكل المال بالباطل وقتل النفس المحرمة ، وقوله تعالى :(عدوانا وظلماً)مع العدوان ان يعدو ما أمر الله به(وكان ذلك على الله يسيرا) أي انه قادر على ايقاع ما توعد به من ادخال النار . وعن جندب ابن عبد الله عن النبي ﷺ انه قال : كان فيمن كان قبلكم رجل به جرح فجزع ، فأخذ سكيناً فحذ بهايده فما رقأ الدم حتى مات . قال الله تعالى : بادرني عبدي

(١) رواه أبو داود ، وقال المنذري في مختصره : حسن .

بنفسه حرمت عليه الجنة . مخرج في الصحيحين . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ :«من قتل نفسه بحديدة، فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً فيها ابداً ، ومن قتل نفسه بسم فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالداً مخلداً فيها ابداً ، ومن نزل من جبل فقتل نفسه فهو ينزل في نار جهنم خالداً فيها أبداً ، مخرج في الصحيحين . وفي حديث[1] ثابت بن الضحاك قال : قال رسول الله ﷺ : « لعن المؤمن كقتله ، ومن قذف مؤمناً بكفر فهو كقتله ، ومن قتل نفسه بشيء عذب به يوم القيامة . وفي الحديث الصحيح عن الرجل الذي آلمته الجراح فاستعجل الموت ، فقتل نفسه بذباب سيفه فقال رسول الله ﷺ : هو من أهل النـــار . فنسأل الله ان يلهمنا رشدنا ، وان يعيذنا من شرور انفسنا وسيئات أعمالنا ، انه جواد كريم غفور رحيم .

(**موعظة**) ابن آدم كيف تظن اعمالك مشيدة ، وانت تعلم انها مكيدة ؟ وكيف تترك معاملة المولى وتعلم أنها مفيدة ؟ وكيف تقصر في زادك وقد تحققت ان الطريق بعيدة ؟ يا معرضاً عنا الى متى هـــذا الجفا والاعراض ؟ يا غافلاً عن الموت والعمر لا شك في انقراض . يا مغتراً في أمله وايدي المنايا في أجله تقرضه بمقراض ، يا مغروراً بصحته وبدنه كل يوم في انتقاض ، يا من يفني كل يوم بعضه ستفنى والله الابعاض . يا غافلاً عن الزاد وقد أنذره بعد السواد البياض ، يـــا قليل الاحتراس ونبل المنايا طوال عراض . يا من يساق الى موارد التلف وقد نزحت الحياض ، يا ضاحكا وعيون الفنا غير غماض لمن هذه الاوقات بين يديــه كيف يقدر جفنه على الأغماض !

(١) رواه البخاري ومسلم والنسائي باختصار ، والترمذي صححه ، وهذا لفظ الترمذي .

الكبيرة الثلاثون : الكذب في غالب اقواله

قال الله تعالى : (أَلاَ لَعْنَةُ اللهِ عَلى الْكَاذِبِينَ) ، وقال الله تعالى : (قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ) أي الكاذبون ، وقال تعالى : (إِنَّ اللهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ) .

وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال ، قال رسول الله ﷺ : « ان الصدق يهدي إلى البر وان البر يهدي إلى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً . وان الكذب يهدي إلى الفجور ، وان الفجور يهدي إلى النار ، وما يزال الرجل يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابا » . وفي الصحيحين[1] أيضاً انه ﷺ قال : « آية المنافق ثلاث وان صلى وصام وزعم انه مسلم : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا ائتمن خأن »،. وقال[2] عليه الصلاة والسلام : « أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً ومن كانت فيه خصلة منها كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : إذا ائتمن خان ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر » . وفي صحيح البخاري[3] في حديث منام النبي ﷺ قال : فأتينا على رجل مضطجع لقفاه ، وآخر قائم عليه بكلوب من حديد يشرشر شدقه إلى قفاه وعيناه إلى قفاه ، ثم يذهب إلى الجانب الآخر فيفعل به مثل ما فعل في الجانب الأول ، فما يرجع اليه حتى يصح مثل ما كان ، فيفعل به كذلك إلى يوم القيامة . فقلت لهما : « من هذا ؟ فقالا : انه كان يغدو من بيته فيكذب الكذبة تبلغ الآفاق » وقال[4] ﷺ : « يطبع

(١) من حديث أبي هريرة .
(٢) رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي، من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص.
(٣) من حديث سمرة بن جندب مطولا .
(٤) رواه أحمد من حديث أبي أمامة بسند منقطع بلفظ « يطبع المؤمن على الخلال كلها . الخ ، وله شاهد من حديث سعد بن ابي وقاص عند البزار وأبي يعلى بسند رجاله رجال الصحيح، ولكن رجح الدارقطني وقفه (الترغيب) .

المؤمن على كل شيء ليست الخيانة والكذب » . وفي الحديث[1] : « إياكم والظن فان الظن أكذب الحديث » . وقال ﷺ[2] : « ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : شيخ زان ، وملك كذاب ، وعائل مستكبر » . العائل : الفقير . وقال ﷺ[3] : « ويل للذي يحدث بالحديث ليضحك به الناس فيكذب . ويل له ، ويل له ، ويل له » . وأعظم من ذلك الحلف كما أخبر الله تعالى عن المنافقين بقوله : (ويحلفون على الله الكذب وهم يعلمون) . وفي الصحيح[4] ان رسول الله ﷺ قال : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : رجل على فضل ما يمنعه ابن السبيل ، ورجل بايع رجلاً سلعة فحلف بالله لأخذتها بكذا وكذا فصدقه وأخذها وهو على غير ذلك ، ورجل بايع إماماً لا يبايعه إلا للدنيا فان أعطاه منها وفى له وان لم يعطه لم يف له » . وقال[5] ﷺ « كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك به مصدق وانت له به كاذب » ، وفي الحديث[6] أيضاً : « من تحلم بحلم لم يره كلف ان يعقد بين شعيرتين وليس بعاقد » ، وقال[7] رسول الله ﷺ : (فرى الفرى على الله أن يري الرجل عينيه ما لم تريا) معناه أن يقول : رأيت في

---

(١) متفق عليه من حديث ابي هريرة (مشكاة) .

(٢) رواه مسلم وغيره من حديث ابي هريرة (ترغيب) .

(٣) رواه احمد من حديث النواس بن سمعان وشيخ احمد فيه عمر ابن هرون فيه خلاف (الترغيب) .

(٤) رواه داود والترمذي وحسنه ابو داود والنسائي والبيهقي من حديث بهز بن حكيم عن ابيه عن جده (ترغيب) .

(٥) رواه الجماعة الا الترمذي كلهم من حديث ابي هريرة .

(٦) رواه البخاري من حديث .

(٧) رواه البخاري من حديث ابن عمر (مشكاة) .

منامي كيت وكيت ولم يكن رأى شيئاً . وقال[1] ابن مسعود رضي الله عنه : لا يزال العبد يكذب ويتحرى الكذب حتى ينكت في قلبه نكتة سوداء ، حتى يسود قلبه فيكتب عند الله من الكاذبين .

فينبغي للمسلم ان يحفظ لسانه عن الكلام ، إلا كلاماً ظهرت فيه المصلحة . فان في السكوت سلامة والسلامة لا يعدلها شيء . وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت » . فهذا الحديث المتفق على صحته نص صريح في انه لا ينبغي للانسان أن يتكلم إلا اذا كان الكلام خيراً وهو الذي ظهرت مصلحته للمتكلم ، قال[2] ابو موسى قلت يا رسول الله أي المسلمين أفضل ؟ قال : من سلم المسلمون من لسانه ويده . وفي الصحيحين[3] : « ان الرجل ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها — أي ما يفكر فيها بانها حرام — يزل بها في النار أبعد مما بين المشرق والمغرب » . وفي موطأ الامام[4] مالك من رواية بلال بن الحارث المزني ان رسول الله ﷺ قال : (ان الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما كان يظن ان تبلغ ما بلغت يكتب الله تعالى بها له رضوانه إلى يوم يلقاه ، وان الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما كان يظن ان تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه) والأحاديث الصحيحة بنحو ما ذكرنا كثيرة وفيما اشرنا اليه كفاية . وسئل بعضهم : كم وجدت في ابن آدم من العيوب ؟ فقال : هي أكثر من ان تحصى ، والذي أحصيت ثمانية آلاف عيب ، ووجدت خصلة

---

(١) ذكره مالك في موطئه بلاغاً (ترغيب) قال وقد تقدم بنحوه متصلاً مرفوعاً .

(٢) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي قاله (المنذري) في (الترغيب) . وابو موسى هو الاشعري اسمه عبدالله بن قيس .

(٣) من حديث ابي هريرة ورواه النسائي ايضاً (الترغيب) .

(٤) وكذا رواه الترمذي ، وقال حسن صحيح ، والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم وقال صحيح الاسناد (ترغيب) .

ان استعملها سترت العيوب كلهـــا ، وهي حفظ اللسان . جنبنا الله معاصيه واستعملناه فيما يرضيه انه جواد كريم .

(**موعظة**) ايها العبد : لا شيء أعز عليك مـــن عمرك وانت تضيعه ، ولا عدو لك كالشيطان وانت تطيعه ، ولا أضر من موافقة نفسك وانت تصافيها ، ولا بضاعة سوى ساعات السلامة وانت تسرف فيها . لقد مضى من عمرك الاطايب فما بقي بعد شيب الذوائب ؟ يا حاضر البـــدن والقلب غائب ، اجتماع العيب الشيب من جملة المصائب . يمضي زمن الصبا وحب الحبائب . كفى زاجراً واعظاً تشيب منه الذوائب . يا غافلاً فانه أفضل المناقب ، أين البكا لخوف العظيم الطالب أين الزمان الذي ضاع في الملاعب ؟ نظرت فيه آخر العواقب . كم في القيامة مع دمع ساكب على ذنوب قد حواها كتـــاب الكاتب ! من لي اذا قمت في موقف المحاسب وقيل لي : ما صنعت في كل واجب ؟

كيف ترجو النجاة وتلهو باسر الملاعب ، إذا اتتك الاماني بظن الكاذب . الموت صعب شديد مر المشارب ، يلقي شره بكأس صدور الكتـــائب . فانظر لنفسك وانتظر قدوم الغائب يأتي بقهر ويرمي بسهم صائب . يا آملاً ان تبقى سليماً من النوائب بنيت بيتاً كنسيج العناكب . أين الذين علوا متون الركايب ، ضاقت بهم المنايا سبل المذاهب وانت بعد قليل حليف المصايب ، فانظر وتفكر وتدبر قبل العجايب .

الكبيرة الحادية والثلاثون : القاضي السوء

قال الله تعالى : (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الكافرون) . وقال الله تعالى : (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُون) . وقال الله تعالى : (وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الفاسِقُون) .

روى الحاكم باسناده[١] وفي صحيحه عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه عن النبي ﷺ انه قال : « لا يقبل الله صلاة إمام حكم بغير ما أنزل الله » .

وصحح الحاكم[٢] أيضاً من حديث بريدة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ « القضاة ثلاثة : قاض في الجنة وقاضيان في النار ، قاض عرف الحق فقضى به فهو في الجنة ، وقاض عرف الحق فجار متعمداً فهو في النار ، وقاض قضى بغير علم فهو في النار » . « قالوا فما ذنب الذي يجهل ؟ قال : « ذنبه أن لا يكون قاضياً حتى يعلم » . وعن أبي هريرة[٣] رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : « من جعل قاضياً فقد ذبح بغير سكين » وقال الفضيل بن عياض رحمه الله ، ينبغي للقاضي أن يكون يوماً في القضاء ويوماً في البكاء على نفسه . وقال محمد بن واسع رحمه الله : أول من يدعى يوم القيامة إلى الحساب القضاة . وعن عائشة[٤] رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « يؤتى بالقاضي العدل يوم القيامة فيلقى

---

(١) في سنده عبدالله بن محمد العدوي واه متهم ، وهذا مما أنكر على الحاكم (المنذري) ولفظه (لا يقبل الله صلاة أمام جائر) ، وقال الذهبي في رسالته الصغرى : بسند لا أرضاه .

(٢) ورواه ابو داود والترمذي وابن ماجه ، وقال الترمذي حسن غريب (ترغيب) وقواه المصنف في صغراه .

(٣) رواه ابو داود والترمذي وقال حسن غريب ، وابن ماجه والحاكم وصححه (ترغيب) .

(٤) رواه احمد وابن حبان في صحيحه (ترغيب) .

من شدة الحساب ما يود أنه لم يقض بين اثنين في تمرة » . وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ان القاضي ليزل في زلقة في جهنم أبعد من عدن » . وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ليس من وال ولا قاض الا يؤتى به يوم القيامة حتى يوقف بين يدي الله عز وجل على الصراط ثم تنشر سريرته فتقرأ على رؤوس الخلائق ، فان كان عدلاً نجاه الله بعدله ، وان كان غير ذلك انتفض به ذلك الجسر انتفاضاً ، فصار بين كل عضو من أعضائه مسيرة كذا وكذا ، ثم ينخرق به الجسر إلى جهنم) . وقال مكحول : لو خيرت بين القضاء وبين ضرب عنقي لاخترت ضرب عنقي على القضاء وقال أيوب السختياني :(اني وجدت أعلم الناس أشدهم هرباً منه). وقيل للثوري : ان شريحاً قد استقضي ، فقال : أي رجل قد أفسدوه ! ودعا مالك بن المنذر محمد بن واسع ليجعله على قضاء البصرة فأبى ، فعاوده وقال : لتجلسن ، والا جلدتك . فقال : ان تفعل فانك سلطان ، وان ذليل الدنيا خير من ذليل الآخرة ! وقال وهب بن منبه : اذا هم الحاكم بالجور أو عمل به أدخل الله النقص على أهل مملكتــه حتى في الأسواق والأرزاق والزرع والضرع وكل شيء ، وإذا هم بالخير أو العدل أدخل الله البركة في أهل مملكته كذلك . وكتب عامل من عمال حمص الى عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه : أما بعد فان مدينة حمص قد تهدمت واحتاجت الى اصلاح . فكتب اليه عمر : حصنها بالعدل ونق طرقها من الجور ، والسلام . قال : ويحرم على القاضي أن يحكم وهو غضبان واذا اجتمع في القاضي قلة علم وسوء قصد وأخلاق زعرة[1] وقلة ورع فقد تم خسرانه ووجب عليــه أن يعزل نفسه ، ويبادر بالخلاص . فنسأل الله العفو والعافية والتوفيق لما يحب ويرضى ، انه جواد كريم .

---

(١) في الاساس : زعر الرجل زعرا ساء خلقه وقل خيره .

(**موعظة**) يا من عمره كلما زاد نقص ، يا من يأمن ملك الموت وقد اقتنص يا مائلاً الى الدنيا هل سلمت من النقص ؟ يا مفرطاً في عمره هل بادرت الفرص ؟ يا من اذا ارتقى في منهاج الهدى ثم لاح له الهوى نكص ، من لك يوم الحشر عند نشر القصص [1] . عجباً لنفس أمست بالليل هاجعة ، ونسيت أهوال يوم الواقعة ، ولأن تقرعها المواعظ فتصغي لها سامعة ، ثم تعود الزواجر عنها ضائعة والنفوس غدت في كرم الكريم طامعة ، وليست له في حال من الأحوال طائعة ، والأقدام سعت في الهوى في طرق شاسعة ، بعد أن وضحت من الهدى سبل واسعة ، والهمم شرعت في مشارع الهوى متنازعة ، لم تكن مواعظ المقول لها نافعة ، وقلوب تضمر التوبة اذا فزعت بزواجر رادعة ، ثم تعود إلى ما لا يحل مراراً متتابعة .

الكبيرة الثانية والثلاثون : أخذ الرشوة على الحكم

قال الله تعالى : (وَلَا تَأكُلُوا أَمْوالَكُم بَيْنَكُمْ بِالبَاطِل وتُدْلُوا بِهَا إلى الْحُكَّام لِتَأْكُلوا فريقاً مِنْ أمْوال النَّاس بالإثم وأنْتُمْ تَعْلَمُونَ) .

أي لا تدلوا بأموالكم الى الحكام ، أي لا تصانعوهم بها ولا ترشوهم ليقتطعوا لكم حقاً لغيركم وأنتم تعلمون أنه لا يحل لكم . وعن[2] أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « لعن الله الراشي والمرتشي في الحكم » أخرجه الترمذي وقال حديث حسن . وعن عبدالله بن عمرو : لعن رسول الله ﷺ الراشي والمرتشي .

---

(١) القصص ، جمع قصة ؛ يعني الصحف التي فيها الاعمال .

(٢) رواه ابن حبان في صحيحه والحاكم وزاد . والرائش يعني الذي يسعى بينهما(ترغيب).

قال العلماء : فالراشي هو الذي يعطي الرشوة، والمرتشي هو الذي يأخذ الرشوة، وإنما تلحق اللعنة الراشي اذا قصد بها أذية مسلم أو ينال بها ما لا يستحق ، أما اذا أعطى ليتوصل الى حق له ويدفع عن نفسه ظلماً فإنه غير داخل في اللعنة ، وأما الحاكم فالرشوة عليه حرام أبطل بها حقاً أو دفع بها ظلماً . وقد روي في حديث آخر : [1] ان اللعنة على الرائش أيضاً وهو الساعي بينهما ، وهو تابع للراشي في قصده خيراً لم تلحقه اللعنة وإلا لحقته .

(**فصل**): ومن ذلك ما روى أبو داود في سننه عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : من شفع لرجل شفاعة فأهدى له عليها هدية فقد أتى باباً كبيراً من أبواب الربا . وعن ابن مسعود قال : السحت أن تطلب لأخيك الحاجة فتقضى فيهدي اليك هدية فتقبلها منه ، وعن مسروق أنه كلم ابن زياد في مظلمة فردها فأهدى اليه صاحب المظلمة وصيفاً فردها ولم يقبلها، وقال سمعت ابن مسعود يقول : من رد عن مسلم مظلمة فأعطاه على ذلك قليلاً أو كثيراً فهو سحت . فقال الرجل : يا أبا عبد الرحمن ما كنا نظن ان السحت الا الرشوة في الحكم .فقال : ذلك كفر[2] ، نعوذ بالله منه ونسأل الله العفو والعافية من كل بلاء ومكروه .

(**الحكاية**)عن الامام ابي عمر الاوزاعي رحمه الله –وكان يسكن ببيروت– ان نصرانياً جاء اليه فقال : ان والي بعلبك ظلمني بمظلمة ، وأريد ان تكتب اليه واتاه بقلة عسل ، فقال الأوزاعي رحمة الله : ان شئت رددت القلة وكتبت لك اليه ، وان شئت أخذت القلة . فكتب له إلى الوالي أن ضع عن هذا النصراني من خراجه . فأخذ القلة والكتاب ومضى إلى الوالي فأعطاه الكتاب فوضع عنه ثلاثين درهماً بشفاعة الامام ، رحمه الله وحشرنا في زمرته .

---

(١) أخرجه أبو داود والترمذي وقال : حسن صحيح (ترغيب) .

(٢) رواه الطبراني عنه موقوفاً عليه (ترغيب) .

(موعظة) عباد الله : تدبروا العواقب ، واحذروا قوة المناقب ، واخشوا عقوبة المعاقب ، وخافوا سلب السالب ، فانـه والله طالب غالب . أين الذين قعدوا في طلب المنى وقاموا ، وداروا على توطئة دار الرحيل وحاموا ؟ ما أقل ما لبثوا وما أوفى ما أقاموا ! لقد وبخوا في نفوسهم في قعر قبورهم على ما أسلفوا ولاموا :

اما والله لو علم الانـام ... لما خلقوا لما هجعوا وناموا
لقد خلقوا لأمر لو رأتـه ... عيون قلوبهم تاهوا وهاموا
ممات ، ثم قبر ، ثم حشر ... وتوبيخ ، وأهوال ، عظـام
ليوم الحشر قد عملت رجال ... فصلوا من مخافتـه وصاموا
ونحـن اذا أمرنا أو نهينا ... كأهل الكهف ايقاظ نيـام

يا من بأقذار الخطايا قد تلطخ ، وبآفات البلايا قـد تضمخ ، يا من سمع كلام من لام ووبخ ، يعقد عقد التوبة حتى اذا أمسى يفسخ ، يا مطلقاً لسانـه والملك يحصى وينسخ ، يا من طير الهوى في صدره قد عشش وفرخ ، كم أباد الموت ملوكاً كالجبال الشمخ ، كم أزعج قواعد كانت في الكبر ترسخ ، وأسكنهم ظلم اللحود ومن ورائهم برزخ ، يا من قلبه من بدنه بالذنوب أوسخ ، يا مبارزاً بالعظائم أتأمن أن يخسف بك أو تمسخ ، يا من لازم العيب بعد اشتمال الشيب ففعله يؤرخ. والحمد لله دائماً أبداً .

الكبيرة الثالثة والثلاثون : تشبه النساء بالرجال وتشبه الرجال بالنساء

في الصحيح [1] أن رسول الله ﷺ قال : لعن الله المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهين من الرجال بالنساء . وفي رواية : [2] لعن الله الرجلة من النساء . وفي رواية [3] قال : لعن الله المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء يعني اللاتي يتشبهن بالرجال في لبسهم وحديثهم ، وعن أبي هريرة [4] رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : لعن الله المرأة تلبس لبسة الرجل والرجل يلبس لبسة المرأة .

فاذا لبست المرأة زي الرجال من المقالب والفرج والأكمام الضيقة فقد شابهت الرجال في لبسهم فتلحقها لعنة الله ورسوله ولزوجها اذا أمكنها من ذلك أي رضى به ولم ينهها لأنه مأمور بتقويمها على طاعة الله ونهيها عن المعصية لقول الله تعالى (قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة) أي أدبوهم وعلموهم ومروهم بطاعة الله وانهوهم عن معصية الله كما يجب ذلك عليكم في حق أنفسكم ، ولقول [5] النبي ﷺ : كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته . الرجل راع في أهله ومسؤول عنهم يوم القيامة » . وجاء [6] عن النبي ﷺ انه قال : « ألا هلكت الرجال حين أطاعوا النساء . » وقال الحسن : والله ما أصبح اليوم رجل

---

(١) رواه البخاري وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث ابن عباس مرفوعاً (بلفظ لعن رسول الله الخ) .

(٢) قال المصنف في رسالته الصغرى : اسناده حسن .

(٣) عزاها في الترغيب والترهيب للبخاري من حديث ابن عباس .

(٤) رواه ابو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال : على شرط مسلم (ترغيب) .

(٥) رواه البخاري مسلم من حديث ابن عمر .

(٦) أخرجه مسلم وغيره من حديث أبي هريرة وله شاهد من حديث ابن عمر وصححه ابن حبان وقال الحاكم على شرط مسلم أفاده المنذري رحمه الله تعالى .

يطيع امرأته فيما تهوى إلا أكبه الله تعالى في النار ، وقال ﷺ : « صنفان من أهل النار لم أرهما قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ، ونساء كاسيات عاريات مائلات مميلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها ، وان ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا » أخرجه مسلم .
(قوله) كاسيات أي من نعم الله عاريات من شكرها وقيل : هو أن تلبس المرأة ثوباً رقيقاً يصف لون بدنها . ومعنى مائلات قيل عن طاعة الله وما يلزمهن حفظه ، مميلات أي يعلمن غيرهن الفعل المذموم ، وقيل مائلات متبخترات مميلات لأكتافهن ، وقيل مائلات يمتشطن المشطة الميلاء وهي مشطة البغايا ، ومميلات يمشطن غيرهن تلك المشطة . رؤوسهن كأسنمة البخت أي يكبرنها ويعظمنها بلف عصابة أو عمامة أو نحوهما وعن نافع قال : كان ابن عمر وعبدالله ابن عمرو عند الزبير بن عبد المطلب اذ أقبلت امرأة تسوق غنماً متنكبة قوساً. فقال عبدالله بن عمر: أرجل أنت ام امرأة ؟ فقالت: امرأة فالتفت الى ابن عمرو فقال : إن الله تعالى لعن على لسان نبيه ﷺ المتشبهات من النساء بالرجال والمتشبهون من الرجال بالنساء .

ومن الأفعال التي تلعن عليها المرأة إظهار الزينة والذهب واللؤلؤ من تحت النقاب ، وتطيبها بالمسك والعنبر والطيب إذا خرجت ، ولبسها الصباغات والأزر والحرير والأقبية القصار مع تطويل الثوب وتوسعة الأكام وتطويلها إلى غير ذلك اذا خرجت ، وكل ذلك من التبرج الذي يمقت الله عليه ويمقت فاعله في الدنيا والآخرة ، وهذه الأفعال التي قد غلبت على أكثر النساء ، قال [1] عنهن النبي ﷺ : اطلعت على النار فرأيت أكثر أهلها النساء ، وقال ﷺ : « ما تركت بعدي فتنة هي أضر على الرجال من النساء . فنسأل الله أن يقينا فتنتهن وأن يصلحهن وإيانا بمنه وكرمه .

---

(١) هو في الصحيحين من حديث .

(موعظة) ابن آدم كأنك بالموت وقد فجأك وهجم وألحقك بمن سبقك من الأمم ، ونقلك إلى بيت الوحدة والظلم ، ومن ذلك إلى عسكرا الموتى مخيمة بين الخيم . مفرقاً من مالك ما اجتمع ومن شملك ما انتظم ، ولا تدفعه بكثرة الأموال ولا بقوة الخدم ، وندمت على التفريط غاية الندم ، فيا عجباً لعين تنام وطالبها لم ينم ، متى تحذر مما توعد وتهدد ، ومتى تضرم نار الخوف في قلبك وتتوقد ، إلى متى حسناتك تضمحل وسيئاتك تجدد ، إلى متى لا يهولك زجر الواعظ وان شدد ، إلى متى أنت بين الفتور والتواني تتردد ، متى تحذر يوماً فيه الجلود تنطق وتشهد ، متى تترك ما يفني فيما لا ينفذ ، متى تهب بك في بحر الوجد ريح الخوف والرجاء ، متى تكون في الليل قائماً اذا سجا ، أين الذين عاملوا مولاهم وانفردوا ، وقاموا في الدجى وركعوا وسجدوا ، وقدموا إلى بابه في الاسحار ووفدوا ، وصاموا هواجر النهار فصبروا واجتهدوا ، لقد ساروا وتخلفت وفاتك ما وجدوا . وبقيت في أعقابهم وان لم تلحق بعدوا :

يا نائم الليل متى ترقد ... قم يا حبيبي قد دنا الموعد
من نام حتى ينقضي ليله ... لم يبلغ المنزل أو يجهد
فقل لذوي الألباب أهل التقى ... قنطرة العرض لكم موعد

الكبيرة الرابعة والثلاثون : الديوث المستحسن على أهله والقواد الساعي بين الاثنين بالفساد

قال الله تعالى : (الزَّاني لاَ يَنْكِحُ إلاَّ زَانيَةً أوْ مُشْرِكَةً والزَّانيَةُ لاَ يَنكِحُهَا إلَّا زَانٍ أوْ مُشْرِك وحُرِّمَ ذلكَ عَلى المؤْمنينَ) .

عن(١) عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «ثلاثة لا يدخلون الجنة : العاق لوالديه والديوث ورجلة النساء» وروى النسائي (٢) ان رسول الله ﷺ قال : « ثلاثة قد حرم الله عليهم الجنة: مدمن الخمر والعاق لوالديه والديوث الذي يقر الخبث في أهله ».يعني يستحسن على أهله نعوذ بالله من ذلك .

قال المصنف رحمه الله تعالى : فمن كان يظن بأهله الفاحشة ويتغافل لمحبته فيها أو لأن لها عليه ديناً وهو عاجز ، أو صداقاً ثقيلا ، أو له أطفال صغار فترفعه الى القاضي وتطلب فرضهم فهو دون من يعرض عنه ، ولا خير فيمن لا غيرة له . فنسأل الله العافية من كل بلاء ومحنة انه جواد كريم.

(**موعظة**) ايها المشغول بالشهوات الفانيات متى تستعد لماة آت ، حتى متى لا تجتهد في إلحاق القوافل الماضيات ، أتطمع وأنت رهين الوساد في لحاق السادات ؟ هيهات هيهات هيهات ! يا آملا في زعمه اللذات أحذر هجوم هازم اللذات ، احذر مكائده فهي كوامن في عدة الأنفاس واللحظات:

تمضي حلاوة ما اخفيت وبعدها   تبقى عليك مرارة التبعات

---

(١) رواه النسائي والبزار والحاكم وصححه من حديث ابن عمر (المنذري) .

(٢) رواه أحمد والبزاروالحاكم وقالصحيح الاسناد وهو من حديث عبداللهبن عمر(المنذري).

يا حسرة العاصين يوم معادهم لو أنهم سبقوا الى الجنات
لو لم يكن إلا الحياء من الذي ستر العيوب لأكثروا الحسرات

يا من صحيفته بالذنوب قد حفت ، وموازينه بكثرة الذنوب قد خفت ، أما رأيت أكفاء عن مطامعها كفت ، أما رأيت عرائس آحاد الى اللحود قدزفت ، أما عاينت أبدان المترفين وقد أدرجت في الأكفان ولفت ، أما عاينت طور الأجسام في الأرحام ومتى تنتبه لخلاص نفسك أيها الناعس ، متى تعتبر بربع غيرك الدارس ؟ أين الأكاسر الشجعان الفوارس ، وأين المنعمون بالجواري والظباء الخنس الكوانس ، أين المتكبرون ذوو الوجوه العوابس ، أين من اعتاد سعة القصور ! حبس في القبور في أضيق المحابس ! أين الرافل في أثوابه عري في ترابه عن الملابس ، أين الغافل في أمله وأهله عن أجله سلبته أكف الخالس ، أين جامع الأموال سلب المحروس وهلك الحارس ! حق لمن علم مكر الدنيا أن يهجرها ، ولمن جهل نفسه أن يزجرها ، ولمن تحقق نقلته أن يذكرها ، ولمن غمر بالنعماء أن يشكرها ، ولمن دعي الى دار السلام أن يقطع مفاوز الهوى ليحضرها.

الكبيرة الخامسة والثلاثون : المحلل والمحلل له

صح[1] من حديث ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لعن المحلل والمحلل له . قال الترمذي : والعمل على ذلك عند أهل العلم منهم عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ، وعبد الله بن عمر ، وهو قول الفقهاء من التابعين ورواه الامام أحمد في مسنده والنسائي في سننه أيضاً باسناد صحيح . وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سئل رسول الله ﷺ عن المحلل فقال : « لا ، الا نكاح رغبة ، لا نكاح دلسة[2] ولا استهزاء بكتاب الله عز وجل حتى يذوق العسيلة » . ورواه

(١) رواه النسائي والترمذي قاله المصنف في الصغرى .
(٢) التدليس : كتم العيب كما في المجمع والاساس ، والمراد هنا اظهار الرغبة في النكاح مع إبطان خلافه .

ابو اسحاق الجوزجاني . وعن عقبة بن عامر قال : قال رسول الله ﷺ : « ألا أخبركم بالتيس المستعار ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : هو المحلل ، لعن الله المحلل والمحلل له . رواه ابن ماجه باسناد صحيح . وعن ابن عمر أن ر. لا سأله فقال : ما تقول في امرأة تزوجتها أحلها لزوجها لم يأمرني ولم يعلم ؟ فق له ابن عمر : لا ، الا نكاح رغبة ان اعجبتك أمسكتها وان كرهتها فارقتها ، وانا كنا نعد هـذا سفاحاً على عهد رسول الله ﷺ . وأما الآثار عن الصح! ؟ والتابعين فقد روى الأثرم وابن المنذر عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : « لا أوتى بمحلل ولا محلل له إلا رجمتها » . وسئل عمر بن الخطاب عن تحليل المرأة لزوجها فقال : (ذلك السفاح) . وعن عبد الله بن شريك العامري قال: سمعت ابن عمر رضي الله عنهما وقد سئل عن رجل طلق ابنة عم له ، ثم ندم ورغب فيها ، فأراد رجل أن يتزوجها ليحلها له . فقال ابن عمر : كلاهما زان وان مكثا عشرين سنة أو نحو ذلك إذا كان يعلم انه يريد أن يحللها . وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه سأله رجل فقال : ابن عمي طلق امرأته ثلاثاً ثم ندم فقال : ابن عمك عصى ربه فأندمه ، وأطاع الشيطان فلم يجعل له مخرجا . فقال : كيف ترى في رجل يحلها له ؟ فقال : من يخادع الله يخدعه. وقال ابراهيم النخعي : إذا كان نية أحد الثلاثة الزوج الأول أو الزوج الآخر أو المرأة التحليل فنكاح الآخر باطل ولا تحل للأول وقال الحسن البصري : إذا هم احد الثلاثة بالتحليل فقد أفسد وقال سعيد بن المسيب امام التابعين في رجل تزوج امرأة ليحلها لزوجها الأول ، فقال: لا تحل . وممن قال بذلك مالك بن أنس ، والليث ابن سعد ، وسفيان الثوري ، والامام احمد . وقال اسماعيل بن سعيد : سألت الامام احمد عن الرجل يتزوج المرأة وفي نفسه ان يحللها لزوجها الأول ولم تعلم المرأة بذلك ؟ فقال : هو محلل واذا أراد بذلك الاحلال فهو ملعون ، ومذهب الشافعي رحمه الله : اذا شرط التحليل في العقد بطل العقد ، لأنه عقد بشرط قطعه دون غايته فبطل كنكاح المتعة ، وان وجد الشرط قبل العقد فالاصح الصحة ، وان عقد كذلك ولم يشرط في العقد ولا قبله لم يفسد العقد ، وان تزوجها

على انه إذا أحلها طلقها ففيه قولان أصحهما انه يبطل . ووجه البطلان انه شرط يمنع صحته دوام النكاح فأشبه التأقيت وهذا هو الأصح في الرافعي. ووجه الثاني انه شرط فاسد قارن العقد فلا يبطل كما لو تزوجها بشرط ان لا يتزوج عليها ولا يسافر بها والله أعلم . فنسأل الله ان يوفقنا لما يرضيه ، ويجنبنا معاصيه ، انه جواد كريم غفور رحيم .

(موعظة) لله در قوم تركوا الدنيا قبل تركها ، وأخرجوا قلوبهم بالنفر عن ظلام شكلها ، التقطوا أيام السلامة فغنموا ، وتلذذوا بكلام مولاهم فاستسلموا لامره وسلموا ، وأخذوا مواهبه بالشكر وتسلموا ، هجروا في طاعته لذيذ الكرى وهربوا اليه من جميع الورى ، وآثروا طاعته ايثار من علم ودري . ورضوا فلم يعترضوا على ما جرى ، وباعوا أنفسهم فيا نعم البيع ويا نعم الشراء اسلموا اليه لما سلموا الروح ، وخدموه والصدر لخدمته مشروح ، وقرعوا بابه وإذا الباب مفتوح ، وواصلوا البكا فالجفن بالدمع مقروح ، وقاموا في الاسحار قيام من يبكي وينوح ، وصبروا على مقطعات الصوف ولبس المسوح ، وراضوا انفسهم فاذا المذموم ممدوح . تعرفهم بسيماهم عليهم آثار الصدق تلوح ، قد عبقوا بنشر أنسه رائحة ارتياحهم تفوح ، من طيب الثنا روائح لهم بكل مكان تستنشق ، ممسكة النفحات الا انها وحشية لسواهم لا تعبق .

الكبيرة السادسة والثلاثون : عدم التنزه من البول وهو شعار النصارى

قال الله تعالى : (وثيابك فطهر) ، وعن ابن عبـاس رضي الله عنهما قال : مر النبي ﷺ بقبرين فقال : انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير ،أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستبرىء من البول أي لا يتحرز منه . مخرج في الصحيحين ؛ وقال رسول الله ﷺ : « استنزهوا بن البول فان عامة عـذاب القبر منه » رواه الدارقطني .

ثم ان من لم يتحرز من البـول في بدنـه وثيابه فصلاته غير مقبولة . وروى الحافظ أبونعيم[1] في « الحلية » عن شقي بن ماتع الأصبحي عن رسول الله ﷺ قال : « أربعة يؤذون أهـل النار على ما بهم من الأذى ، يسعون ما بـين الحميم والجحيم ، ويدعون بالويل والثبور ، ويقول أهل النار لبعضهم البعض : ما بال هؤلاء قد آذونا على ما بنا من الأذى . قال : فرجل مغلق عليه تابوت من جمر، ورجل يجر امعاءه، ورجل يسيل فمه قيحاً ودماً ، ورجل يأكل لحمه . قال :فيقال لصاحب التابوت : ما بال الابعد قد آذانا على ما بنـا من الأذى ؟ فيقول : ان الابعد مات وفي عنقه أموال الناس ، ثم يقال للذي يجر امعاءه : ما بال الابعـد قد آذانا على ما بنا من الأذى ؟ فيقول : ان الابعد كان لا يبـالي أين ما أصاب البول منه « ولا يغسله » . ثم يقال للذي يسيل فمه قيحاً ودماً : مـا بال الابعد مد آذانا على ما بنا من الأذى ؟ فيقول : ان الابعد كان ينظر كل كلمة قبيحة فيستلذها . وفي رواية : كان يأكل لحوم النـاس ويمشي بالنميمة ، ثم يقال للذي يأكل لحمه : ما بال الابعد قد آذانا على ما بنا من الأذى ؟ فيقول : ان الابعـد كان يأكل لحوم الناس – يعني بالغيبة .

---

(١) رواه ابن ابي الدنيـا في كتاب الصمت وفي ذم الغيبة ، والطبراني في الكبير باسناد لين ، وابو نعيم ، وقال : شقي بن مائع مختلف في صحبته . فقيـل له صحبة . قال الحافظ (المنذري) شقي ذكره البخاري وابن حبان في التابعين (ترغيب) .

فنسأل الله العفو والعافية بمنه وكرمه انه ارحم الراحمين .

(موعظة) أيها العبيد تذكروا في مصارع الذين سبقوا ، وتدبروا في عواقبهم أين انطلقوا ، واعلموا انهم قد تقاسموا وافترقوا ، أما أهل الخير فسعدوا وأما أهل الشر فشقوا ، فانظر لنفسك قبل أن تلقى ما لقوا :

والمرء مثل هلال عند مطلعه ... يبدو ضئيلا لطيفاً ثم يتسق
يزداد حتى إذا ما تم أعقبه ... كر[1] الجديدين نقصاً ثم يمتحق
كان الشباب رداء قد بهجت به ... فقد تطاير منه للبلا خرق
ومات مبتسم جد المشيب به ... كالليل ينهض في أعجازه الأفق
عجبت والدهر لا تفنى عجائبه ... من راكنين الى الدنيا وقد صدقوا
وطالما نغصت بالفجع صاحبها ... بطارق الفجع والتنغيص قد طرقوا
دار لعهد بها الآجال مهلكة ... وذو التجارب فيها خائف فرق
يا للرجال لمخدوع بباطلها ... بعد البيان ومغرور بها يثق
أقول والنفس تدعوني لزخرفها ... أين الملوك ، ملوك الناس والسوق
أين الذين إلى لذاتها جنحوا ... قد كان قبلهم عيش ومرتفق
أمست مساكنهم قفرا معطلة ... كأنهم لم يكونوا قبلها خلقوا
يا أهل لذة دار لا بقاء لها ... ان اغتراراً بظل زائل حمق

(١) يعني تعاقب الليل والنهار .

الكبيرة السابعة والثلاثون : الرياء

قال الله تعالى مخبراً عن المنافقين :

(يُرَاؤُنَ النَّاس وَلاَ يَذْكُرونَ اللهَ إلَّا قليلاً) . وقال الله تعالى : (فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذينَ هُمْ عَنْ صَلاتِهِمْ ساهُون الَّذينَ هُمْ يُرَاؤُنَ وَيَمْنَعُونَ المَاعُونَ) ، وقال الله تعالى : (يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لاَ تُبْطِلوا صَدَقَاتكمْ بالمَنّ والأذَى كالَّذي يُنْفِقُ مالَهُ رِئَاء النَّاس) الآية ، وقال الله تعالى : (فَمَنْ كانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالحاً ولا يُشْرك بعِبادَةِ رَبِّهِ أحداً) .

أي لا يرائي بعمله. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : « ان أول الناس يقضى عليه يوم القيامة رجل استشهد في سبيل الله فأتى به فعرفه نعمه فعرفها ، قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت قال : كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جريء ، وقد قيل . ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار . ورجل وسع الله عليه وأعطاه من أصناف المال فأتى به فعرفه نعمه فعرفها . قال : فما عملت فيها ؟ قال : ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها الا أنفقت فيها لك . قال : كذبت ولكنك فعلت ليقال هو جواد فقد قيل ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى ألقي في النار . ورجل تعلم العلم وعلمه ، وقرأ القرآن فأتى به فعرفه نعمه فعرفها . قال : فما عملت فيها ؟ قال : تعلمت العلم وعلمته وقرأت فيك القرآن . قال : كذبت ولكنك تعلمت ليقال هو عالم ، وقرأت ليقال هو قارىء ، ثم أمر به فسحب على وجهه حتى

ألقي في النار » رواه مسلم . وقال صلى الله عليه وسلم[١] : « من سمع سمع الله به ، ومن يرائي يراءى به » . قال الخطابي معناه من عمل عملاً على غير إخلاص انما يريد ان يراه الناس ويسمعوه جوزي على ذلك بانه يشهره ويفضحه ، فيبدو عليه ما كان يبطنه ويسره من ذلك ، والله أعلم . وقال[٢] عليه الصلاة والسلام : « اليسير من الرياء شرك » . وقال ﷺ[٣] « أخوف ما اخاف عليكم الشرك الأصغر ، فقيل : وما هو يا رسول الله ؟ قال الرياء . يقول الله تعالى يوم يجازي العباد باعمالهم : « اذهبوا إلى الذين كنتم تراءونهم بأعمالكم فانظروا هل تجدون عندهم جزاء » ، وقيل في قول الله تعالى : (وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون) قيل : كانوا عملوا أعمالاً كانوا يرونها في الدنيا حسنات بدت لهم يوم القيامة سيئات ، وكان بعض السلف إذا قرأ هذه الآية يقول : ويل لأهل الرياء. وقيل : ان[٤] المرائي ينادى به يوم القيامة بأربعة أسماء : يا مرائي ، يا غادر ، يا فاجر ، يا خاسر ، اذهب فخذ اجرك ممن عملت له فلا أجر لك عندنا . وقال الحسن : المرائي يريد أن يغلب قدر الله فيه هو رجل سوء ، يريد أن يقول الناس هو صالح ، فكيف يقولون وقد حل من ربه محل الارديا ؟ فلا بد من قلوب المؤمنين أن تعرفه . وقال قتادة : إذا راءى العبد يقول الله : انظروا إلى عبدي كيف يستهزىء بي . وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه نظر إلى رجل وهو يطأطئ رقبته ، فقال : يا صاحب الرقبة أرفع رقبتك ، ليس الخشوع في الرقاب انما الخشوع في القلوب . وقيل : ان ابا امامة الباهلي رضي الله عنه اتى

---

(١) متفق عليه من حديث جندب بن عبدالله ونحوه من حديث ابن عمر عند الطبراني في الكبير ، والبيهقي في الشعب من رواية شيخ يكني ابا يزيد عنه ، وفي مسند احمد وغيره من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص (العراقي) .

(٢) رواه الحاكم من حديث معاذ والطبراني نحوه (العراقي) .

(٣) رواه احمد والبيهقي في الشعب من حديث محمود بن لبيد وله رؤية ورجاله ثقات ، ورواه الطبراني عنه عن رافع بن خديج (العراقي) .

(٤) ابن ابي الدنيا من رواية جبلة اليحصبي عن صحابي لم يسم واسناده ضعيف (عراقي) .

على رجل في المسجد وهو ساجد يبكي في سجوده ويدعو ، فقال له ابو أمامة : أنت ، أنت ، لو كان هذا في بيتك ! وقال محمد بن المبارك الصوري : أظهر السمت بالليل فإنه أشرف من إظهاره بالنهار ، ، لأن السمت بالنهار للمخلوقين ، والسمت بالليل لرب العالمين . وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه : للمرائي ثلاث علامات : يكسل اذا كان وحده ، وينشط اذا كان في الناس ، ويزيد في العمل اذا أثني عليه ، وينقص اذا ذم به . وقال الفضيل بن عياض رحمه الله : ترك العمل لأجل الناس رياء ، والعمل لأجل الناس شرك ، والإخلاص أن يعافيك الله منهما .

فنسأل الله المعونة والاخلاص في الأعمال والأقوال والحركات والسكنات انه جواد كريم .

(**موعظة**) عباد الله ! ان أيامكم قلائل ومواعظكم قواتل ، فليخبر الأواخر الأوائل ، وليستيقظ الغافل قبل سير القوافل ، يا من يوقن أنه لا شك راحل ، وما له زاد ولا رواحل ، يا من لج في لجة الهوى متى ترتقي إلى الساحل؟ هل انتبهت من رقاد شامل ، وحضرت المواسم بقلب غير غافل ، وقمت في الليل قيام عاقل ، وكتبت بالدموع سطور الرسائل ، تخفي بها زفرات الندم والوسائل ، وبعثتها في سفينة دمع سائل . لعلها ترمى على الساحل . وا أسفا لمغرور جهول غافل ، لقد أثقل بعد الكهولة بالذنب الكاهل ، وقد ضيع البطالة وبذل الجاهل ، وركن الى ركوب الهوى ركبة مائل ، يبني البنيان ويشيد المعاقل ، وهو عن ذكر قبره متشاغل ، ويدعي بعد هذا أنه عاقل . تالله لقد سبقه الابطال الى أعلى المنازل ، وهو يؤمل في بطالته فوز العامل ، وهيهات هيهات ما فاز باطل بطائل :

أيها المعجب فخرا ... بمقاصير البيوت
إنما الدنيا محل ... لقيام وقنوت
فغداً تنزل بيتاً ... ضيقاً بعد النحوت

بـــين أقوام سكوت ناطقـــات في الصموت
فارض في الدنيـا بثو ب ومن العيش بقـوت
واتخذ بيتاً ضعيفاً مثل بيت العنكبوت
ثم قل : يا نفس هـذا بيت مثواك فمـــوتي

الكبيرة الثامنة والثلاثون : التعلم للدنيا وكتمان العلم

قال الله تعالى : (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) يعني العلماء بالله عز وجل، قال ابن عباس: يريد إنما يخافني من خلقي من علم جبروتي وعزتي وسلطاني . وقال مجاهد والشعبي : العالم من خاف الله تعالى . وقـال الربيع بن أنس من لم يخش الله فليس بعالم . وقال الله تعالى :

(إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ) .

نزلت هذه الآية في علماء اليهود ، وأراد (بالبينات) الرجم والحـــدود والأحكام ، وبالهدى أمر محمد عليه الصلاة والسلام ، ونعته (من بعـد ما بيناه للناس) أي بني اسرائيل (في الكتاب) أي في التوراة ، (أولئك) يعني الذين يكتمون (يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) قـال ابن عباس : كل شيء لا الجن والأنس . وقال ابن مسعود : ما تلاعن اثنان من المسلمين إلا رجعت تلك اللعنة على اليهود والنصارى الذين يكتمون أمر محمد ﷺ وصفته . وقال الله تعالى :

﴿وإذْ أخذَ اللهُ ميثاقَ الَّذينَ أوتوا الكتابَ لتُبيِّنُنَّهُ للنَّاسِ ولا تكتمونَه فنبذوهُ وراءَ ظهورهمْ واشترَوْا به ثمناً قليلاً فبئسَ ما يشترُونَ﴾ .

قال الواحدي : نزلت هذه الآية في يهود المدينة ، أخذ الله ميثاقهم في التوراة ليبين شأن محمد ﷺ ونعته ومبعثه ولا يخفونه ، وهو قوله تعالى : (لتبيننه للناس ولا تكتمونه) ، وقال الحسن : هذا ميثاق الله تعالى على علماء اليهود أن يبينوا للناس ما في كتابهم ، وفيه ذكر رسول الله ﷺ وقوله (فنبذوه وراء ظهورهم) . قال ابن عباس : أي ألقوا ذلك الميثاق خلف ظهورهم ، (واشتروا به ثمناً قليلاً) ، يعني ما كانوا يأخذونه من سفلتهم برياستهم في العلم ، وقوله : (فبئس ما يشترون) . قال ابن عباس : قبح شراؤهم وخسروا . وقال رسول الله ﷺ : « من تعلم علم مما يبتغي به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضاً من الدنيا لم يجد عرف الجنة » يعني ريحها رواه[1] ابو داود وقد مر [2] حديث ابي هريرة في الثلاثة الذين يسحبون الى النار ، أحدهم الذي يقال له : إنما تعلمت ليقال عالم وقد قيل ، وقال ﷺ : « من ابتغى العلم ليباهي به العلماء أو ليماري به السفهاء أو تقبل أفئدة الناس اليه ، فإلى النار » . وفي لفظ « أدخله الله النار » أخرجه الترمذي [3] ، وقال [4] ﷺ : « من سئل عن علم فكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار . وكان [5] من دعاء رسول الله ﷺ : « أعوذ بك من علم

---

(١) وابن ماجه وابن حبان في صحيحه ، والحاكم وقال : على شرط مسلم قاله « المنذري » وقال المصنف في الصغرى : سنده صحيح .

(٢) أي في الباب الماضي .

(٣) بسند فيه إسحاق بن يحيى وهو واه قاله المصنف في صغراه .

(٤) باسناد صحيح رواه عطاء عن ابي هريرة ونحوه من حديث عبدالله بن عمرو وقال على شرطهما ، ولا أعلم له علة قاله المصنف في الصغرى .

(٥) مسلم والترمذي والنسائي من حديث زيد بن أرقم وتمامه (ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها (منذري) .

لا ينفع ». وقال [١] ﷺ « من تعلم علماً لم يعمل به لم يزده العلم إلا كبراً. وعن أبي أمامة [٢] رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ : « يجاء بالعالم السوء يوم القيامة فيقذف في النار فيدور بقصبه كما يدور الحمار بالرحا فيقال له بما لقيت هذا وإنما اهتدينا بك فيقول : كنت أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه [٣] » وقال هلال بن العلاء : طلب العلم شديد وحفظه أشد من طلبه والعمل به أشد من حفظه، والسلامة منه أشد من العمل به. فنسأل الله السلامة من كل بلاء والتوفيق لما يحب ويرضي إنه جواد كريم.

(موعظة) ابن آدم ! متى تذكر عواقب الأمور ؟ متى ترحل الرحال عن هذه القصور ؟ الى متى أنت في جميع ما تبني تدور ؟ أين من كان من قبلكم في المنازل والدور ؟ أين من ظن بسوء تدبيره انه لا يحور ؟ رحل والله الكل فاجتمعوا في القبور ؟ واستوطنوا أخشن المهاد إلى نفخ الصور، فاذا قاموا الى فصل القضاء والسماء تمور، كشفوا الحجاب المخفي وهتك المستور، وظهرت عجائب الأفعال وحصل ما في الصدور، ونصب الصراط فكم من قدم عثور، ووضعت عليه كلاليب لخطف كل مغرور، وأصبحت وجوه المتقين تشرق كالبدور. وباءوا بتجارة لن تبور، ودعا أهل الفجور بالويل والثبور، وجيء بالنار تقاد بالأزمة وهي تفور، إذ ألقوا فيها سمعوا لها شهيقاً وهي تفور، ليس في الدنيا لمن آمن بالبعث سرور، إنما يفرح بالدنيا جهول أو كفور.

إنما الدنيا متاع كل ما فيها غرور
فتذكر هول يوم السما فيه تمور

---

(١) حسنه الترمذي قاله المصنف في الصغرى، وقال المنذري رواه الترمذي وابن ماجه من رواية خالد بن دريك عن ابن عمر ولم يسمع منه ورجال اسنادهما ثقات.

(٢) رواه ابوداود والترمذي وحسنه، وابن حبان في صحيحه والحاكم بنحوه، وقال على شرط الشيخين. كلهم من حديث ابي هريرة (المنذري).

(٣) رواه ابن حبان ومسلم من حديث أسامة بن زيد، ورواه البيهقي وابن حبان من حديث أنس (المنذري) لما هنا من جعله من حديث ابي أمامة خطأ من الناسخ أو سبق قلم.

الكبيرة التاسعة والثلاثون : الخيانة

قال الله تعالى : (يا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا لا تَخونُوا اللهَ والرَّسُولَ وتَخونُوا أماناتِكُمْ وأَنتُمْ تَعْلَمُونَ) .

قال الواحدي رحمه الله تعالى : نزلت هذه الآية في أبي لبابة حين بعثه رسول الله ﷺ الى بني قريظة لما حاصرهم وكان أهله وولده فيهم ، فقالوا : يا أبا لبابة ما ترى لنا ان نزلنا على حكم سعد فينا ؟ فأشار ابو لبابة الى حلقه أي انه الذبح فلا تفعلوا ، فكانت تلك منه خيانة لله ورسوله. قال ابو لبابة : فما زالت قدماي من مكاني حتى عرفت اني خنت الله ورسوله ، وقوله : (وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون) عطف على النهي أي ولا تخونوا أماناتكم . قال ابن عباس : الأمانات الاعمال التي ائتمن الله عليها العباد ، يعني الفرائض يقول : لا تنقضوها . قال الكلبي : أما خيانة الله ورسوله فمعصيتهما ، وأما خيانة الأمانة : فكل واحد مؤتمن على ما افترضه الله عليه ، إن شاء خانها وإن شاء أداها لا يطلع عليه أحد إلا الله تعالى . وقوله (وأنتم تعلمون) أنها أمانة من غير شبهة ، وقال تعالى : (ان الله لا يهدي كيد الخائنين) : أي لا يرشد كيد من خان أمانته يعني أنه يفتضح في العاقبة بحرمان الهداية ، وقال [١] عليه الصلاة والسلام . « آية المنافق ثلاث إذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان » . وقال[٢] رسول الله ﷺ : « لا ايمان لمن لا أمانة له ولا دين لمن لا عهد له » . والخيانة قبيحة في كل شيء وبعضها شر من بعض ، وليس من خانك في فلس كمن خانك في أهلك ومالك وارتكب العظائم . وعن رسول الله ﷺ انه قال : « أد الأمانة إلى من

---

(١) رواه البخاري ومسلم من حديث ابي هريرة وزاد مسلم (وان صلى وصام وزعم أنه مسلم) وروى نحوه ابو يعلى من حديث أنس (المنذري) .

(٢) رواه أحمد والبزار والطبراني في الاوسط وابن حبان في صحيحه من حديث أنس ، والطبراني في الأوسط ، والصغير من حديث ابن عمر (المنذري).

ائتمنك ولا تخن من خانك . وفي الحديث[1] ايضاً : « يطبع المؤمن على كل شيء ليس الخيانة والكذب » وقال رسول الله ﷺ[2] « يقول الله أنا ثالث الشريكين ما لم يخن أحدهما صاحبه » ، وفيه أيضاً : « أول ما يرفع من الناس الأمانــة ، وآخر ما يبقى الصلاة ، ورب مصل لا خير فيه » . وقال[3] رسول الله ﷺ : اياكم والخيانة فانها بئست البطانة » ، وقال[4] عليــه الصلاة والسلام : « هكذا أهل النار وذكر منهم رجلاً لا يخفى[5] له طمع وان دق الا خانه » . وقال[6] ابن مسعود : « يؤتى يوم القيامة بصاحب الأمانة الذي خان فيها فيقال له : أد أمانتك ، فيقول :أني يا رب وقد ذهبت الدنيا ؟قال فتمثل له كهيئتها يوم أخذها في قعر جهنم ، ثم يقال له أنزل اليها فأخرجها ، قال فينزل اليها فيحملها على عاتقه فهي عليه اثقل من جبال الدنيا ، حتى اذا ظن انه ناج هوت وهوى في أثرها أبد الآبدين ثم قال : الصلاةامانة ، والوضوء امانة ، والغسل أمانة ، والوزن أمانة ، والكيل أمانة ، وأعظم ذلك الودائع » .

اللهم عاملنا بلطفك وتداركنا بعفوك .

(**موعظة**) عباد الله ! ما أشرف الأوقات وقد ضيعتموها ، وما أجهــل النفوس وقد أطعتموها ، وما أدق السؤال عن الأموال فانظروا كيف جمعتموها وما أحفظ الصحف بالأعمال فتدبروا ما أودعتموها ، قبل الرحيل عن القليــل

---

(١) رواه أحمد عن وكيع عن الأعمش،قال حدثت عن ابي أمامة (ترغيب) . ففيه إنقطاع بين الأعمش وأبي أمامة .

(٢) رواه ابو داود ، والحاكم وقال صحيح الاسناد .

(٣) رواه ابو داود والنسائي وابن ماجه من حديث أبي هريرة وأوله (اللهم اني أعوذ بك من الجوع فانه بئس الضجيع) الخ .. (المنذري) .

(٤) رواه مسلم في حديث طويل من حديث عياض بن حمار المجاشعي .

(٥) لا يخفى : أي لا يظهر ، والظهور والخفاء من الأضداد .

(٦) عزاه في (الترغيب) الى أحمد والبيهقي موقوفاً بنحو ما هنا ، قال : وذكر عبد الله ابن الامام أحمد في كتاب الزهد انه سأل أباه عنه فقال اسناده جيد .

والمناقشة عن النقير والقتيل قبل ان تنزلوا بطون اللحود ، وتصيروا طعاماً للدود في بيت بابه مسدود ، ولو قيل فيه للعاصي ما تختار لقال أعود ولا أعود:

أين أهل الديار من قوم نوح ثم عـاد من بعدهم وثمـود
بينما القـوم في النمارق والاستبـ رق أفضت إلى التراب الخدود
وصحيح أضحى يعود مريضاً وهو أدنى للموت ممن يعـود

الكبيرة الاربعون : المنان

قال الله تعالى (يا أيها الَّذينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقاتِكمْ بالْمنِّ والأذَى) .

قال الواحدي هو أن يمن بما أعطى ، وقال الكلبي بالمن على الله في صدقته والأذى لصاحبها ، وفي الصحيح[1] أن رسول الله ﷺ قال : « ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : المسبل ، والمنان ، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب » . المسبل هو الذي يسبل ازاره أو ثيـابه أو قميصه أو سراويله حتى تكون الى القدمين ، لأنه ﷺ قال[2] . « ما أسفل من الكعبين من الازار فهو في النار » وفي الحديث أيضاً : « ثلاثة لا يدخلون الجنة ، العاق لوالديه ، والمدمن الخمر ، والمنان » رواه النسائي[3] وفيـه[4] أيضاً : « لا

(١) يعني صحيح مسلم ، وهو عند الجماعة سوى البخاري من حديث أبي ذر رضي الله عنه (المنذري) .

(٢) رواه مالك وأبو داود وابن ماجه وابن حبـان في صحيحه في ضمن حديث كما في (الترغيب) .

(٣) رواه النسائي من حديث ابن عمر والبزار والحاكم وقال صحيح الاسناد وابن حبان في صحيحه (المنذري) .

(٤) رواه الترمذي وقال : حديث غريب (ترغيب) والخب بكسر الخاء المعجمة : هو الخداع الخبيث .

يدخل الجنة خب ولا بخيل ولا منان ، والخب هو المكر والخديعة ، والمنان هو الذي يعطي شيئاً أو يتصدق به ثم يمن به . وجاء عن النبي ﷺ أنه قال : إياكم والمن بالمعروف فانه يبطل الشكر ويمحق الأجر ، ثم تلا رسول الله ﷺ قول الله عز وجل : (يا أيها الذين آمنـوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى) . وسمع ابن سيرين رجلاً يقول لآخر : أحسنت اليك وفعلت وفعلت . فقال له ابن سيرين : أسكت فلا خير في المعروف اذا أحصي . وكان بعضهم يقول :من بمعروفه سقط من شكره ، ومن أعجب بعمله حبط أجره . وأنشد الشافعي رحمه الله تعالى :

لا تحملن مـن الأنام ... بأن يمنوا عليك منه
واختر لنفسك حظها ... واصبر فان الصبر جنه
منن الرجال على القلوب ... أشد مـن وقع الاسنه

وأنشد أيضاً بعضهم فقال :

وصاحب سلفت منه إلي يـد
أبطأ عليه مكافـاتي فعاداني
لما تيقن أن الدهر حاربني
أبدى النـدامة مما كان أولاني
أفسدت بالمن مـا قدمت من حسن
ليس الكـريم اذا اعطى بمنان

(موعظة) يا مبادراً بالخطايا ما أجهلك إلى متى تغتر بالذي أمهلك ، كأنه قد أهملك ؟ فكأنك بالموت وقد جـاء بك وأنهلك ، واذا الرحيل وقد أفزعك الملك ، وأسرك البلا بعد الهوى وعقلك ، وندمت على وزر عظيم قد أثقلك . يا مطمئناً بالفاني ما أكثر زللك ، ويا معرضاً عن النصح كأن النصح ما قيل لك ، أين حبيبك الذي كان وأين أنتقل ؟ أما وعظك التلف في جسده والمقل ، أين

كثير المال ، أين طويل الأمل ، أما خلا وحده في لحده بالعمل ، أين من جر ثوبه الخيلاء غافلا ورفل ؟ أما سافر به والى الآن مـا وصل ، أين من تنعم في قصره فكأنه في الدنيا ما كان وفي قبره لم يزل ، أين من تفوق وأحتفل ؟ غاب والله نجم سعوده وأفل . أين الأكاسرة والجبابرة العتاة الأول ، ملك أموالهم سواهم والدنيا دول .

الكبيرة الحادية والاربعون : التكذيب بالقدر

قال الله تعالى : (إنا كل شيء خلقناه بقدر) قال ابن الجوزي في تفسيره : في سبب نزولها قولان أحدهما ، أن مشركي مكة أتوا رسول الله صلى الله تعـالى عليه وآله وسلم يخاصمونه في القدر فنزلت هـذه الآية . انفرد باخراجه مسلم وروى[1] أبو أمامة أن هذه الآية في القدرية . والقول الثاني : أن أسقف نجران جاء إلى رسول الله ﷺ [2] فقال : يا محمد تزعم أن المعاصي بقدر وليس كذلك . فقال ﷺ : « أنتم خصماء الله » فنزلت هذه الآية :

(إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ . إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ) .

وروى[3] عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ قال : إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة أمر منادياً فنادى نداء يسمعه الأولون والآخرون : أين

---

(١) رواه ابن عدي وابن مردويه وابن عساكر وغيرهم بسند ضعيف قـال السيوطي في « الدر المنثور » .

(٢) أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس (السيوطي) .

(٣) أخرج نحوه ابن مردويه من حديث ابن عباس مرفوعاً ذكره السيوطي في (الدر المنثور).

خصماء الله ؟ فتقوم القدرية فيؤمر بهم إلى النار . يقول الله (ذوقوا مس سقر إنا كل شيء خلقناه بقدر) ، وإنما قيل لهم خصماء الله لأنهم يخاصمون في أنه لا يجوز أن يقدر المعصية على العبد ثم يعذبه عليها . وروى هشام بن حسان عن الحسن قال : والله لو أن قدريا صام حتى يصير كالحبل ، ثم صلى حتى يصير كالوتر لكبه الله على وجهه في سقر ، ثم قيل له ذق مس سقر إنا كل شيء خلقناه بقدر . وروى مسلم في صحيحه من حديث ابن عمر قال ، قال رسول الله ﷺ : « كل شيء بقدر حتى العجز والكيس » . وقال ابن عباس : كل شيء خلقناه بقدر مكتوب في اللوح المحفوظ قبل وقوعه قال الله تعالى :(والله خلقكم وما تعملون) قال ابن جرير : فيها وجهان، أحدهما : أن تكون بمعنى المصدر فيكون المعنى: والله خلقكم وعملكم والثاني : أن تكون بمعنى الذي فيكون المعنى : والله خلقكم وخلق الذي تعملونه بأيديكم من الأصنام ، وفي هذه الآية دليل على أن افعال العباد مخلوقة والله أعلم . وقال الله تعالى : (فألهمها فجورها وتقواها) الالهام ايقاع الشيء في النفس . قال سعيد بن جبير : ألزمها فجورها وتقواها . وقال ابن زايد : جعل ذلك فيها بتوفيقه إياها للتقوى وخذلانه إياها للفجور والله أعلم. وفي الحديث عن رسول الله ﷺ انه قال : « ان الله منّ على قوم فألهمهم الخير فأدخلهم في رحمته ، وابتلى قوماً فخذلهم وذمهم على أفعالهم ولم يستطيعوا غير ما ابتلاهم فعذبهم وهو عادل » (لا يسأل عما يفعل وهم يسألون) وعن[1] معاذ ابن جبل رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : « ما بعث الله نبياً قط وفي أمته قدرية ومرجئة ، ان الله لعن القدرية والمرجئة على لسان سبعين نبياً » وعن[2] عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « القدرية مجوس

---

(١) أورده المصنف في الصغرى له عن بقية عن أبي العلاء الدمشقي . عن محمد بن حجارة عن يزيد بن حصين عنه ثم قال فيه وفي غيره هذه الأحاديث لا تثبت لضعف روايتها .

(٢) أورد كذلك في الصغرى عن الحسن عن عائشة وقال فيه ما تقدم آنفاً من التضعيف ، وهو وما قبله عزاهما إلى كتاب السنة لابن أبي عاصم ، وقال فيها مقال ولا تثبت لضعف رواتها.

هذه الامـة » ، وعن ابن عمر[1] رضي الله عنهما قال ، قال رسول الله ﷺ : « لكل أمة مجوس ومجوس هذه الأمة الذين يزعمون أن لا قدر ، وأن الأمر أنف . قـال : فاذا لقيتهم فأخبرهم أني منهم بريء وانهم براء مني » ثم قال : « والذي نفسي بيده لو ان لأحدهم مثل أحد ذهباً فأنفقه في سبيل الله ما قُبل حتى يؤمن بالقـدر خيره وشره » ثم ذكر حديث جبريل وسؤاله النبي ﷺ قال : ما الايمان ؟ قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن بالقدر خيره وشره » .

قوله : « أن تؤمن بالله » الايمان بالله هو التصديق بأنه سبحانه وتعالى موجود موصوف بصفات الجلال والكمال ، منزه عن صفات النقص ، وانه فرد صمد خالق جميع المخلوقات ، متصرف فيها بما يشاء يفعل في ملكه ما يريد . والايمان بالملائكة هو التصديق بعبوديتهم لله :

(بل عبَادٌ مُكرَمونَ لا يَسْبِقُونَهُ بالقَولِ وهُمْ بأمرِ يَعمَلونَ) يَعلمُ مَا بَينَ أيْديهمْ وَما خَلْفَهُمْ ولا يَشْفَعُونَ إلَّا لمن ارْتَضَى وَهُمْ منْ خَشْيَته مُشْفِقونَ) .

والايمان بالرسل هو التصديق بأنهم صادقون فيما أخبروا به عن الله تعالى أيدهم الله بالمعجزات الدالة على صدقهم ، وأنهم بلّغوا عن الله تعالى رسالاته وبينوا للمكلفين ما أمرهم الله به ، وانه يجب إحترامهم ، وأن لا يفرق بين أحد منهم.

والايمان باليوم الآخر هو التصديق بيوم القيامة وما اشتمل عليه من الاعادة بعد الموت والنشر والحشر والحساب والميزان والصراط والجنـة والنار ، وانهما

---

(١) أخرج صدر حديث ابن عمر وأحمد في مسنده إلى قوله (وان الأمر أنف) أي مستأنف لم يقدره الله ولا قضاه بل العباد تقع أعمالهم بلا قدر سابق وبقيته كما في الدر المنثور « ان مرضوا فلا تعودوهم وان ماتوا فلا تشهدوهم » (وعجز الحديث قوله « فاذا لقيتهم . الخ » أخرجه مسلم في أول صحيحه .

دار ثوابه وعقابه للمحسنين والمسيئين إلى غير ذلك مما صح به النقل . والايمان بالقدر : هو التصديق بما تقدم ذكره ، وحاصله ما دل عليه قوله سبحانه (والله خلقكم وما تعلمون) وقوله (إنا كل شيء خلقناه بقدر) ، ومن ذلك قوله ﷺ في حديث ابن عباس : « واعلم ان الامة لو اجتمعوا على ان ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك الا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف » .

ومذهب السلف وأئمة الخلف أن من صدّق بهذه الامور تصديقاً جازماً لا ريب فيه ولا تردد كان مؤمناً حقاً ، سواء كان ذلك عن براهين قاطعة أو اعتقادات جازمة والله أعلم .

(فصل) أجمع سبعون رجلاً من التابعين وائمة المسلمين والسلف وفقهاء الأمصار على أن السنة التي توفي عليها رسول الله ﷺ أولها : الرضا بقضاء الله وقدره ، والتسليم لأمره ، والصبر تحت حكمه ، والأخذ بما أمر الله به ، والنهي عما نهى الله عنه ، وإخلاص العمل لله ، والايمان بالقدر خيره وشره ، وترك المراء والجدال والخصومات في الدين ، والمسح على الخفين ، والجهاد مع كل خليفة براً وفاجراً ، والصلاة على من مات من أهل القبلة .

والايمان : قول وعمل ونية ، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية ، والقرآن كلام الله نزل به جبريل على نبيه محمد ﷺ غير مخلوق ، والصبر تحت لواء السلطان على ما كان منه من عدل أو جور ، ولا نخرج على الامراء بالسيف وان جاروا ولا نكفّر أحداً من أهل القبلة وان عمل بالكبائر الا ان إستحلوها ، ولا نشهد لأحد من أهل القبلة بالجنة لخير أتى به الا من شهد له النبي ﷺ : والكف عما شجر بين أصحاب رسول الله ﷺ . وأفضل الخلق بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي رضي الله عنهم أجمعين ونترحم على جميع أزواج النبي ﷺ وأولاده وأصحابه رضي الله عنهم أجمعين .

(فائدة) فيها من كلام الناس ما هو كفر صرحت به العلماء منها: ما لو تسخر باسم من اسماء الله أو بأمره أو وعده أو وعيده · كفر ، ولو قال . لو أمرني الله بكذا مـا فعلت ، كفر ولو صارت القبـلة في هذه الجهة ما صليت اليها ، كفر . ولو قيل له : الا تترك الصـلاة فان الله يؤاخذك فقال لو آخذني بها مع مـا في من المرض والشدة لظلمني كفر . ولو قال : لو شهد عندي الانبيـاء والملائكة بكذا ما صدقت ، كفر . ولو قيل له قلم أظافرك فانها سنة فقـال لا أفعـل وان كانت سنة ، كفر . ولو قال فـلان في عيني كاليهودي ، كفر . ولو قال ان الله جلس للانصاف أو قام للانصاف ، كفر . وجاء في وجه: من قال لمسلم لا ختم الله لك بخير أو سلبك الايمان ، كفر . وجاء أيضاً ان من طلب يمين إنسان فأراد أن يحلف بالله فقال أريـد أن تحلف بالطلاق كفر . واختلفوا في من قال رؤيتي لك كرؤية الموت فقال بعضهم ، يكفر ولو قال . لو كان فلان نبياً ما آمنت به ، كفر . ولو قال ان كان ما قـاله صدقاً نجونا ، كفر . ولو صلى بغير وضوء استهزاء أو استحلالاً ، كفر . ولو تنازع رجلان فقال أحدهما لا حول ولا قوة إلا بالله فقال له الآخر لا حول ولا قوة إلا بالله لا تغني من جوع ، كفر . ولو سمع أذان المؤذن فقال انه يكذب ، كفر . ولوقال: لا أخاف القيامة ، كفر . ولو وضع متاعه فقال : سلمته إلى الله فقـال له رجل سلمته الى من لا يتبع السارق ، كفر . ولو جلس رجل على مكان مرتفع تشبيهاً بالخطيب فسألوه المسائل وهم يضحكون أو قال أحدهم قصعة ثريد خير من العلم، كفر . ولو ابتلي بمصائب فقال : أخذت مالي وولدي وماذا تفعل ، كفر . ولو ضرب ولده أو غلامه فقال له رجل ألست بمسلم ؟ فقال : لا — متعمداً — كفر. ولو تمنى أن لا يحرّم الله الزنا أو القتل أو الظلم ، كفر ولو شد على وسطه حبلاً فسئل عنه فقال هذا زنار فالاكثرون على انه يكفر . ولو قال معلم الصبيان : اليهود خير من المسلمين لأنهم يعطون معلمي صبيانهم ، كفر ولو قال النصراني خير من المجوسي ، كفر . ولو قيل لرجل ما الأيمان فقال لا أدري ، كفر . ومن ذلك ألفاظ مستكرهة مستنكرة وهي : لا دين لك ، لا ايمـان لك ، لا يقين لك ،

أنت فاجر ، أنت منافق ، أنت زنديق ، أنت فاسق . ومن ذا وأشباهه كله حرام ويخشى على العبد بها سلب الأيمان والخلود في النار .

فنسأل الله المنان بلطفه أن يتوفانا مسلمين على الكتاب والسنة انه أرحم الراحمين.

(**موعظة**) عباد الله ! أين الذين كنزوا الكنوز وجمعوا وغلوا من الشهوات وشبعوا ، وأملوا البقاء فما نالوا فيها ما طمعوا ، وفنيت أعمارهم بما غروا بـه وخدعوا ؟ نصب لهم شيطانهم أشراك الهوى فوقعوا ، وجاءهم ملك الموت فذلوا وخضعوا ، وأخرجهم من ديارهم فلا والله مـا رجعوا ، فهم مفترقون في القبور فاذا نفخ في الصور اجتمعوا .

وكيف قرت لأهل العلم أعينهم ... أو استلذوا لذيذ العيش أو هجعوا
والموت ينذرهم جهراً علانيـة ... لو كان للقوم أسماع لقـد سمعوا
والنار ضاحية لا بـد موردهم ... وليس يدرون من ينجو ومن يقـع
قد أمست الطير والأنعام آمنة ... والنون في البحر لا يخشى لها فزع
والآدمي بهـذا الكسب مرتهن ... له رقيب على الأسرار يطلـع
حتى يرى فيه يوم الجمع منفرداً ... وخصمه الجلد والأبصار والسمع
وإذ يقومون والأشهـاد قائمة ... والجن والأنس والأملاك قد خشعوا
وطارت الصحف في الأيدي منتشرة ... فيهـا السرائر والأخبار تطلع
فكيف بالناس والأنبـاء واقفة ... عما قليل وما تدري بمـا تقع
أفي الجنان وفوز لا انقطاع له ... أم في الجحيم فلا تبقي ولا تدع
تهـوي بسكانها طوراً وترفعهم ... إذا رجوا مخرجاً من غمها قمعوا
طال البكاء فـلم ينفع تضرعهم ... هيهات لا رقية تغني ولا جزع

الكبيرة الثانية والاربعون : التسمع على الناس وما يسرون

قال الله تعالى : (ولا تجسسوا) . قال ابن الجوزي رحمه الله : قرأ ابو زيد والحسن والضحاك وابن سيرين بالحاء . قال ابو عبيدة : التجسس والتحسس واحد – وهو البحث – ومنه الجاسوس . وقال يحيى بن أبي كثير : التجسس بالجيم عن عورات الناس ، وبالحاء الاستماع لحديث القوم . قال المفسرون : التجسس : البحث عن عيب المسلمين وعوراتهم . فالمعنى : لا يبحث أحدكم عن عيب أخيه ليطلع عليه اذا ستره الله . وقيل لابن مسعود : هذا الوليد بن عقبه تقطر لحيته خمراً قال: إنا نهينا عن التجسس فان يظهر لنا شيء نأخذ به .

وقال رسول الله ﷺ : « من استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون صُب في أذنيه الآنك يوم القيامة » . أخرجه البخاري ، والآنك : الرصاص المذاب. نعوذ بالله منه ، ونسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى انه جواد كريم .

(**موعظة**) عباد الله ! ان المنايا قد دقت واقتربت ، فالنفوس رهينة قد جمعت وتعبت كأنكم بأكف الردى قد أخذت وسلبت ، رب شمس طالعة على القبر قد غربت ، يا فراخ الفنا ! فخاخ البلى قد نصبت ، عباد الله : كل المعاصي قد سطرت و كتبت والنفوس رهينة بما جنت واكتسبت ، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت .يا من يغتر بالاماني والامال الكواذب ،ومبارز بالقبايح وما يدري من يحارب ، يا حاضر البدن غير أن القلب غائب ، أرضيت أن تفوتك الخيرات والرغائب ؟ يا من عمره يفنى في بمره ويسرى كالنجائب ، يا من شاب وما تاب هذا من العجائب ، يا عجباً كيف نام المطلوب وما غفل الطالب ؟!

الكبيرة الثالثة والاربعون : النمام

وهو من ينقل الحديث بين الناس على جهة الافساد بينهم . هذا بيانها :
وأما أحكامها فهي حرام باجماع المسلمين ، وقد تظاهرت على تحريمها الدلائل الشرعية من الكتاب والسنة قال الله تعالى :

(ولا تُطعْ كلَّ حلاَّف مَهين همَّاز مشَّاء بنَميم).

وفي الصحيحين[1] ان رسول الله ﷺ قال : « لا يدخل الجنة نمام » وفي الحديث[2] ان رسول الله ﷺ مر بقبرين قال : انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير، أما أنه كبير . أما أحدهما فكان لا يستبرىء من بوله ، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة . ثم أخذ جريدة رطبة فشقها إثنتين وغرز في كل قبر واحدة، وقال لعله أن يخفف عنهما ما لم ييبسا » .

وقوله : وما يعذبان في كبير أي ليس بكبير تركه عليهما ، أو ليس بكبير في زعمهما . ولهذا قال في رواية أخرى : « بلى انه كبير » وعن[3] أبي هريرة رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ « تجدون شر الناس ذا الوجهين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهؤلاء بوجه ، ومن كان ذا لسانين في الدنيا فان الله يجعل له لسانين من نار يوم القيامة » . ومعنى من كان ذا لسانين أي يتكلم مع هؤلاء بكلام وهؤلاء بكلام وهو بمعنى صاحب الوجهين قال الامام ابو حامد الغزالي رحمه الله: انما تطلق في الغالب على من ينم قول الغير الى المقول فيه بقوله فلان يقول فيك كذا. وليست النميمة مخصوصة بذلك بل حدها كشف ما يكره كشفه سواء كره المنقول عنه أو المنقول اليه أو ثالث ، وسواء أكان الكشف بالقول أو الكتابة أو الرمز أو

(١) وكذا رواه ابو داود والترمذي كلهم من حديث حزيفة بن اليمان رضي الله عنهما.
(٢) رواه الجماعه وابن خزيمة كلهم من حديث ابن عباس بهذا اللفظ .
(٣) رواه مالك والبخاري ومسلم . قاله وما قبله المنذري في الترغيب والترهيب .

الايماء أو نحوها ، وسواء كان من الأقوال أو الأعمال، وسواء كان عيباً أو غيره. وحقيقة النميمة افشاء السر وهتك الستر عما يكره كشفه . وينبغي للانسان أن يسكت عن كل ما رآه من أحوال الناس الا ما في حكايته فائدة للمسلمين أو دفع معصية . قال : وكل من حملت اليه نميمة وقيل له قال فيك فلان كذا وكذا لزمه ستة أحوال : (الأول) : أن لا يصدقه لأنه « نمام » فاسق وهو مردود الخبر . (الثاني) : أن ينهاه عن ذلك وينصحه ويقبح فعله . (الثالث) : أن يبغضه في الله عز وجل فانه بغيض عند الله والبغض في الله واجب . (الرابع) : ان لا يظن في المنقول عنه السوء لقوله تعالى : (إجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم) . (الخامس): أن لا يحمله ما حكي له على التجسس والبحث عن تحقق ذلك ، قال الله سبحانه وتعالى : (ولا تجسسوا) . (السادس) : ان لا يرضى لنفسه ما نهى النمام عنه فلا يحكي نميمته. وقد جاء أن رجلاً ذكر لعمر بن عبدالعزيز رجلاً بشيء فقال عمر : يا هذا ان شئت نظرنا في أمرك ، فان كنت صادقاً فأنت من أهل هذه الآية (ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) ، وان كنت كاذباً فأنت من أهل هذه الآية (هماز مشاء بنميم) ، وان شئت عفونا عنك . فقال : العفو يا أمير المؤمنين لا أعود اليه أبدا .

ورفع انسان رقعة إلى الصاحب[1] بن عباد رحمه الله يحثه فيها على أخذ مال اليتيم وكان له مال كثير فكتب على ظهر الرقعة : النميمة قبيحة وان كانت صحيحة ، والميت رحمه الله ، واليتيم جبره الله ، والمال ثمره الله ، والساعي لعنه الله .

وقال الحسن البصري: من نقل اليك حديثاً فاعلم أنه ينقل إلى غيرك حديثك وهذا مثل قول الناس : من نقل اليك نقل عنك فاحذره . وقال ابن المبارك : ولد الزنا لا يكتم الحديث أشار به إلى أن كل من لا يكتم الحديث ومشى بالنميمة

(١) وذكرها ابن ابي شامة في كتابه « الروضتين» في مناقب محمد بن زنكي رحمه الله .

دل على أنه ولد الزنا إستنباطاً من قول الله تعالى: (عتل بعد ذلك زنيم) ، والزنيم هو الدَّعي .

وروي أن بعض السلف الصالحين زار أخاً له وذكر له عن بعض إخوانه شيئاً يكرهه ، فقال له : يا أخي أطلت الغيبة وأتيتني بثلاث جنايات : بغضْت إليّ أخي ، وشغلت قلبي بسببه ، واتهمت نفسك الأمينة . وكان بعضهم يقول : من أخبرك بشتم عن أخيك فهو الشاتم لك . وجاء رجل إلى علي بن الحسين رضي الله عنهما فقال : ان فلاناً شتمك وقال عنك كذا وكذا ، فقال : اذهب بنا اليه ، فذهب معه وهو يرى أنه ينتصر لنفسه ، فلما وصل اليه قال : يا أخي ان كان ما قلت فيّ حقاً فغفر الله لي ، وان كان ما قلت فيّ باطلاً فغفر الله لك . وقيل في قول الله تعالى : « حمالة الحطب » يعني امرأة أبي لهب ، انهـا كانت تنقل الحديث بالنميمة . سمي النميمة حطباً لأنهـا سبب العداوة ، كما ان الحطب سبب لاشتعال النـار . ويقال عمل النمام أضر من عمل الشيطان لأن عمل الشيطان بالوسوسة وعمل النمام بالمواجهة .

(حكاية) روي أن رجلاً رأى غلاماً يباع وهو ينادى عليه ليس به عيب إلا أنه نمام فقط ، فاستخف بالعيب واشتراه ، فمكث عنده أياماً ثم قال لزوجة سيده : ان سيدي يريد أن يتزوج عليك أو يتسرى ، وقال انه لا يحبك فان أردت ان يعطف عليك ويترك مـا عزم عليه فاذا نام فخذي الموسى واحلقي شعرات من تحت لحيته واتركي الشعرات معك ، فقالت في نفسها : نعم . واشتغل قلب المرأة ، وعزمت على ذلك إذا نام زوجها ، ثم جاء إلى زوجها وقال سيدي : إن سيدتي زوجتك قد إتخذت لها صديقاً ومحباً غيرك ومالت اليه ، وتريـد أن تخلص منك ، وقد عزمت على ذبحك الليلة ، وان لم تصدقني فتناوم لهـا الليلة وانظر كيف تجيء اليك وفي يدها شيء تريد أن تذبحك به ، وصدقه سيده . فلما كان الليل جاءت المرأة بالموسى لتحلق الشعرات من تحت لحيته والرجل يتناوم لها فقال في نفسه : والله صدق الغلام بما قال ، فلما وضعت المرأة الموسى وأهوت

إلى حلقه قام وأخذ الموسى منها وذبحها به ، فجاء أهلها فرأوها مقتولة فقتلوه ، فوقع القتال بين الفريقين بشؤم ذلك العبد المشئوم . فلذلك سمى الله النمام فاسقاً في قوله تعالى :

(إنْ جاءكُمْ فاسِقٌ بِنَبأ فَتَبَيَّنوا أنْ تُصيبوا قَوْماً بِجَهالَة فَتُصْبِحُوا على ما فَعَلْتُم نادِمينَ).

(موعظة) يا من أسره الهوى فما يستطيع له فكاكا ، يا غافلا عن التلف وقد أدركه ادراكاً ، يا مغروراً بسلامته وقد نصب له الموت أشراكاً ، تفكر في إرتحالك وأنت على حالك فان لم تبك فتباكى .

بكيت فما تبكي شباب صباك ... كفاك نذير الشيب فيك كفاك
ألم تر أن الشيب قد قام ناعيا ... مكان الشباب الغض ثم نعاكا
ألم تر يوماً مر إلا كأنه ... باهلاكه للهالكين عناكا
ألا أيها الفاني وقد حان حينه ... أتطمع أن تبقى فلست هناكا
ستمضي ويبقى ما تراه كما ترى ... فينساك ما خلفته ، هو ذاكا
تموت كما مات الذين نسيتهم ... وتنسى ويهوى الحي بعد هواكا
كأنك قد أقصيت بعد تقرب ... اليك وان باك عليك بكاكا
كأن الذي يحثو عليك من الثرى ... يريد بما يحثو عليك رضاكا
كأن خطوب الدهر لم تجر ساعة ... عليك إذا الخطب الجليل أتاكا
ترى الأرض كم فيها رهون دفينة ... غلقن فلم يقبل لهن فكاكا

الكبيرة الرابعة والاربعون : اللعان

قال النبي ﷺ[١] : « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر » . وقال ﷺ : « لعن المؤمن كقتله » أخرجه البخاري[٢] . وفي صحيح مسلم[٣] عن رسول الله ﷺ أنه قال : « لا يكون اللعانون شفعاء ولا شهداء يوم القيامة » وقال عليه الصلاة والسلام[٤] : « لا ينبغي لصديق أن يكون لعاناً » . وفي الحديث : « ليس المؤمن بطعان ولا بلعان ولا بالفاحش ولا بالبذيء » . والبذيء : هو الذي يتكلم بالفحش ورديء الكلام . وعن رسول الله ﷺ قال : [٥] « ان العبد اذا لعن شيئاً صعدت اللعنة إلى السماء فتغلق ابواب السماء دونها ، ثم تهبط إلى الأرض فتغلق ابوابها دونها ، ثم تأخذ يميناً وشمالاً ، فاذا لم تجد مساغاً رجعت إلى الذي لعن إن كان أهلاً لذلك ، والا رجعت إلى قائلها . » وقد عاقب النبي ﷺ من لعنت ناقتها بأن سلبها إياها ، قال عمران بن حصين : بينما رسول الله ﷺ في بعض أسفاره وامرأة من الأنصار على ناقة فضجت فلعنتها ، فسمع ذلك رسول الله ﷺ فقال : « خذوا ما عليها ودعوها فانها ملعونة » . قال عمران فكأني أنظر اليها الآن تمشي في الناس ما يعرض لها أحد » أخرجه مسلم[٦] . وعن أبي هريرة[٧] رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال:

---

(١) أخرجه الجماعة إلا أبا داود ، من حديث ابن مسعود (ترغيب) .

(٢) رواه الجماعة سوى ابن ماجه من حديث ثابت بن الضحاك (ترغيب) .

(٣) من حديث ابي الدرداء وكذا ابو داود بدون لفظ يوم القيامة (ترغيب) .

(٤) رواه مسلم من حديث ابي هريرة ونحوه عند الحاكم وصححه (ترغيب) .

(٥) رواه ابو داود من حديث ابي الدرداء (ترغيب) ونحوه عند احمد من حديث ابن مسعود بسند جيد (المنذري) .

(٦) ونحوه عند احمد من حديث ابي هريرة وعند ابي يعلى وابن ابي الدنيا من حديث أنس في تخلية سبيل ما لعن بأسانيد جيدة (الترغيب) .

(٧) رواه البزار باسنادين أحدهما قوي وهو في بعض نسخ ابي داود بنحوه ، هذا وله شاهد من حديث البراء بن عازب عند الطبراني ، ومن حديث سعيد بن زيد عند احمد والبزار ورجال احمد ثقات (ترغيب) في موضعين احدهما : الترهيب من الغيبة والبهت ، والثاني الترغيب في صلة الرحم .

« ان أربى الربا استطالة المرء في عرض أخيـه المسلم » ، وعن عمرو بن قيس : قال إذا ركب الرجل دابته قالت : اللهم إجعله بي رفيقاً رحيما فاذا لعنها قالت: على أعصانا لله ورسوله لعنة الله عز وجل .

(فصل) فيجواز لعن أصحاب المعاصي غير المعينين المعروفين قال الله تعالى: (ألا لعنة الله على الظالمين). وقال: (ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين)؛ وثبت عن رسول الله ﷺ انه قال :« لعن الله آكل الربا وموكله وشاهده وكاتبه ». وإنه قال :« لعن الله المحلل والمحلل له » وانه قال : « لعن الله الواصلة والمستوصلة والواشمة والمستوشمة والنامصة والمتنمصة » . فالواصلة : هي التي تصل شعرها ، والمستوصلة: هي التي يوصل لها ، والنامصة: هي التي تنتف الشعر من الحاجبين، والمتنمصة : التي يفعل بها ذلك وانه ﷺ لعن الصالقة والحالقة والشاقـة . فالصالقة : هي التي ترفع صوتها عند المصيبة ، والحالقة هي التي تحلق شعرها عند المصيبة والشاقة هي التي تشق ثيابها عند المصيبة. وانه ﷺ لعن المصورين ،وانه لعن من غير منار الأرض أي حدودها ، وانه قال : « لعن الله من لعن والديه، ولعن من سب أمه ». وفي السنن انه قال:« لعن الله من أضل أعمى عن الطريق. ولعن الله من أتى بهيمة ، ولعن الله من عمل عمل قوم لوط » . وانـه لعن من أتى كاهناً ، أو اتى امرأة في دبرها، ولعن النائحة ومن حولها ، ولعن من أمّ قوماً وهم له كارهون ، ولعن الله امرأة باتت وزوجها عليها ساخط، ولعن رجلا سمع : حي على الصلاة ، حي على الفلاح ثم لم يجب . ولعن مـن ذبح لغير الله ، ولعن السارق ، ولعن من سب الصحابة ، ولعن المخنثين من الرجال والمترجلات من النساء ، ولعن المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال ولعن المرأة تلبس لبسة الرجل والرجـل يلبس لبسة المرأة ، ولعن من سل سخيمته على الطريق يعني تغوط على طريق النـاس ، ولعن السلتاء . والمرأة السلتاء : التي لا تخضب يديها ، والمرأة التي لا تكتحل ، ولعن من خبب امرأة على زوجها أو مملوكاً على سيده – يعني أفسدها أو أفسده – ولعن مـن أتى حائضاً أو امرأة في دبرها ، ولعن من أشار إلى أخيـه بحديدة ، ولعن مانع

الصدقة يعني الزكاة ، ولعن من انتسب إلى غير أبيه أو تولى غير مواليه ، ولعن من كوى دابة في وجهها ، ولعن الشافع والمشفع في حد من حدود الله إذا بلغ الحاكم ، ولعن المرأة اذا خرجت من دارها بغير اذن زوجها ، ولعنها اذا باتت هاجرة فراش زوجها حتى ترجع ، ولعن تارك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اذا امكنه ، ولعن الفاعل والمفعول به - يعني اللواط - ولعن الخمرة وشاربها وساقيها ومستقيها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه وآكل ثمنها والدال عليها . وقال ﷺ : « ستة لعنتهم لعنهم الله وكل نبي مجاب الدعوة : المكذب بقدر الله ، والزائد في كتاب الله ، والمتسلط بالجبروت ليعز من أذل الله ويذل من أعزه الله ، والمستحل لحرم الله ، والمستحل من عترتي ما حرم الله ، والتارك لسنتي . ولعن الزاني بامرأة جاره ، ولعن ناكح يده ، ولعن ناكح الأم وبنتها ،ولعن الراشي والمرتشي في الحكم والرائش يعني الساعي بينهما ، ولعن من كتم العلم ، ولعن المحتكر ،ولعن من أخفر مسلماً يعني خذله ولم ينصره ، ولعن الوالي إذا لم يكن فيه رحمة ، ولعن المتبتلين من الرجال الذين يقولون لا نتزوج، والمتبتلات من النساء ،ولعن راكب الفلاة وحده، ولعن من أتى بهيمة. نعوذ بالله من لعنته ولعنة رسوله .

(فصل) إعلم أن لعن المسلم المصون حرام باجماع المسلمين، ويجوز لعن اصحاب الاوصاف المذمومة كقولك: لعن الله الظالمين ، لعن الله الكافرين ، لعن الله اليهود والنصارى ، لعن الله الفاسقين ، لعن الله المصورين . ونحو ذلك كما تقدم ،واما لعن انسان بعينه ممن إتصف بشيء من المعاصي كيهودي أو نصراني أو ظالم أو زان أو سارق أو آكل ربا فظواهر الاحاديث إنه ليس بحرام. واشار الغزالي رحمه الله إلى تحريمه إلا في حق من علمنا انه مات على الكفر ، كأبي لهب وأبي جهل وفرعون وهامان وأشباههم ،قال : لأن اللعن هو الأبعاد عن رحمه الله وما ندري ما يختم به لهذا الفاسق والكافر. قال: واما الذين لعنهم رسول الله ﷺ بأعيانهم كما قال. « اللهم العن رعلا وذكوان وعصية عصوا الله ورسوا ». وهذه ثلاث قبائل من العرب فيجوز انه ﷺ علم موتهم على الكفر ،قال ويقرب من اللعن الدعاء على الانسان بالشر حتى

الدعاء على الظالم كقول الانسان لا أصح الله جسمه ولا سلمه الله وما جرى مجراه وكل ذلك مذموم ، وكذلك لعن جميع الحيوانات والجمادات فهذا كله مذموم ، قال بعض العلماء : من لعن من لا يستحق اللعن فليبادر بقوله إلا ان يكون لا يستحق .

(**فصل**) ويجوز للآمر بالمعروف والناهي عن المنكر وكل مؤدب ان يقول لمن يخاطبه في ذلك : ويلك ، أو يا ضعيف الحال ، أو يا قليل النظر لنفسه ، أو يا ظالم نفسه ، أو ما أشبه ذلك ، بحيث لا يتجاوز إلى الكذب ، ولا يكون فيه لفظ قذف صريح أو كناية أو تعريض ولو كان صادقاً في ذلك . وإنما يجوز ما قدمناه ويكون الغرض من ذلك التأديب والزجر ، ويكون الكلام أوقع في النفس والله أعلم .

اللهم نزه قلوبنا عن التعلق بمن دونك ، واجعلنا من قوم تحبهم ويحبونك ، واغفر لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين .

(**موعظة**) يا قليل الزاد والطريق بعيد ، يا مقبلاً على ما يضر تاركاً لما يفيد أتراك يخفي عليك الأمر الرشيد ، إلى متى تضيع الزمان وهو يحصى برقيب وعتيد :

مضى أمسك الماضي شهيداً معدلا   وأعقبه يوم عليك شهيد
فان كنت بالامس إقترفت إساءة   فبادر باحسان وانت حميد
ولا تبق فضل الصالحات إلى غد   فرب غد يأتي وانت فقيد
اذا ما المنايا أخطأتك وصادفت   حميك فأعلم أنها ستعود

الكبيرة الخامسة والاربعون : الغدر وعدم الوفاء بالعهد

قال الله تعالى : (وأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً)

قال الزّجاج : كل ما أمر الله به أو نهى عنه فهو من العهد . وقال الله تعالى:

(يا أَيُّهَا الذينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُود)

قال الواحدي : قال ابن عباس في رواية الوالبي (العهود) يعني ما أحل وما حرم وما فرض وما حد في القرآن . وقال الضحاك بالعهود التي أخذ الله على هذه الأمه ان يوفوا بها مما أحل وحرم وما فرض من الصلاة وسائل الفرائض والعهود وكذا العهود جمع عهد : العقد بمعنى المعقود وهو الذي أحكم ما فرض الله علينا فقد أحكم ذلك ، ولا سبيل إلى نقضه بحال . وقال مقاتل بن حيان : (أوفوا بالعقود) التي عهد الله اليكم في القرآن ، مما أمركم به من طاعته أن تعملوا بها ونهيه الذي نهاكم عنه وبالعهود الذي بينكم وبين المشركين وفيما يكون من العهد بين الناس والله أعلم . وقال النبي ﷺ : «أربع من كن فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها : اذا حدث كذب ، واذا ائتمن خان ، واذا عاهد غدر ، واذا خاصم فجر » مخرج في الصحيحين[1] وقال[2] رسول الله ﷺ : « لكل غادر لواء يوم القيامة يقال هذه غدرة فلان ابن فلان » وقال رسول الله ﷺ : « يقول الله عز وجل ثلاثة أنا خصمهم يوم القيامة : رجل أعطى بي ثم غدر ، ورجل باع حراً فأكل ثمنه ، ورجل إستأجر أجيراً فاستوفى منه العمل ولم يعطه أجره » . أخرجه البخاري[3] وقال رسول الله ﷺ : « من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة

---

(١) من حديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما (ترغيب) .

(٢) رواه مسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنه .

(٣) وكذا رواه ابن ماجه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه (ترغيب) .

ولا حجة له ، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية » أخرجه مسلم[1] . وقال رسول ﷺ[2] : « من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يأمن بالله واليوم الآخر ، وليأت إلى الناس الذي يحب ان يؤتى اليه ومن بايع اماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه ان استطاع ، فان جاء أحد ينازعه فاضربوا عنق الآخر » .

الكبيرة السادسة والاربعون : تصديق الكاهن والمنجم

قال الله تعالى : (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالبَصَرَ وَالفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولا) .

قال الواحدي في تفسير قوله تعالى : (ولا تقف ما ليس لك به علم) قال الكلبي : لا تقل ما ليس لك به علم . وقال قتادة : لا تقل سمعت ولم تسمع ورأيت ولم تر وعلمت ولم تعلم . والمعنى : لا تقولن في شيء بما لا تعلم (ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً) قال الوالبي عن ابن عباس : يسأل الله العباد فيم إستعملوها وفي هذا زجر عن النظر إلى ما لا يحل والاستماع إلى ما يحرم وارادة ما لا يجوز ، والله أعلم . وقال الله تعالى : (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من إرتضى من رسول) قال ابن الجوزي : عالم الغيب هو الله عز وجل وحده لا شريك له في ملكه فلا يظهر : أي فلا يطلع على غيبه الذي لا يعلمه أحد من الناس الا من إرتضى من رسول ، لأن الدليل على صدق الرسل إخبارهم بالغيب . والمعنى : ان من ارتضاه للرسالة أطلعه على ما شاء من الغيب ففي هذا دليل على ان من زعم ان النجوم تدل على الغيب فهو كافر والله أعلم .

---

(١) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما .

(٢) رواه مسلم من حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما .

وقال[١] رسول الله ﷺ : « من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما انزل على محمد ﷺ . وروينا في الصحيحين عن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه قال صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح في أثر سماء كانت من الليل، فلما إنصرف أقبل على الناس بوجهه فقال : « هل تدرون ماذا قال ربكم » ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : « أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر . فاما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب ، وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب » .

قال العلماء : ان قال مسلم مطرنا بنوء كذا يريد أن النوء هو الموجد والفاعل المحدث للمطر صار كافراً مرتداً بلا شك ، وان قال مريداً أنه علامة نزول المطر وينزل المطر عند هذه العلامة ونزوله بفعل الله خلقه لم يكفر ، واختلفوا في كراهته ، والمختار أنه مكروه لأنه من ألفاظ الكفار وهذا ظاهر الحديث .

(وقوله) : في أثر سماء – السماء هنا المطر ، والله أعلم . وقال رسول الله ﷺ : « من أتى عرافاً فصدقه بما يقول لم تقبل له صلاة أربعين يوماً » رواه مسلم[٢] وعن عائشة رضي الله عنها قالت : سأل رسول الله ﷺ أناس عن الكهان فقال : « ليس بشيء » . قالوا : يا رسول الله أليس قد قال كذا وكذا ؟ فقال رسول الله ﷺ : تلك الكلمة من الحق يحفظها الجني فيقرها في إذن وليه . « أي يلقيها » فيخلط معها مائة كذبة . مخرج في الصحيحين . وعن عائشة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « ان الملائكة تنزل في العنان – وهو السحاب – فتذكر الأمر قضي في السماء، فيسترق الشيطان السمع فيسمعه فيوحيه إلى الكهان فيكذبون معها مائة كذبة من عند أنفسهم » رواه البخاري.

---

(١) رواه ابو داود والترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة وفي أسانيدهم كلام ذكره المنذري في مختصره لسنن أبي داود ، ورواه الحاكم ، وقال : صحيح على شرطهما ، وله شاهد من حديث جابر عند البزار باسناد جيد ومن حديث أنس عند الطبراني بسند فيه رشدين بن سعد (ترغيب) .

(٢) رواه مسلم من حديث صفية بنت أبي عبيد عن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم .

وعن قبيصة بن أبي المخارق رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: « العيافة والطيرة والطرق من الجبت » رواه ابو داود وقال : الطرق : الزجر ، أي زجر الطير ، وهو أن يتيامن أو يتشاءم بطيرانه . فان طار إلى جهة اليمين تيمن ، وان طار إلى جهة اليسار تشاءم . قال أبو داود : العيافة الخط . قال الجوهري : الجبت كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر ونحو ذلك . وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد »، وقال علي بن أبي طالب: الكاهن ساحر والساحر كافر . فنسأل الله العافية والعصمة في الدنيا والآخرة .

(موعظة) : عباد الله تفكروا في سلفكم قبل تلفكم ، وانظروا في أموركم قبل حلول قبوركم ، فتأهبوا للرحيل قبل فوت تحويلكم ، أين الأقرن الأخوان ، أين من شيد الايوان ، رحلوا والله عن الأوطان ومزقت في اللحود تلك الاكفان هتف نذيرهم بأهل العرفان (كل من عليها فان) تقلبت بهم الأحوال. ولعب بهم في أيدي الليالي . وشغلوا عن الأولاد والأموال ، ونسيهم أحباؤهم بعد ليال . عانقوا التراب وفارقوا الأموال فلو أذن لأحدهم في المقال لقال :

من رآنا فليحدث نفسه	انه وقف على قرب زوال
وصروف الدهر لا يبقى لها	ولما تأتي به صم الجبال
رب ركب قد أناخوا حولنا	يشربون الخمر بالماء الزلال
والأباريق عليهم قدمت	وعتاق الخيل تردى بالجلال
عمروا دهراً بعيش ناعم	ابيض دهرهم غير محال
ثم أضحوا لعب الدهر بهم	وكذاك الدهر يودي بالرجال

الكبيرة السابعة والاربعون – نشوز المرأة على زوجها

قال الله تعالى : (وَاللاتي تخافُونَ نُشوزَهُنَّ فعظُوهُنَّ واهجُروهُنَّ في المَضاجع واضرِبُوهُنَّ فانْ أَطعنَكمْ فَلا تَبغُوا عَلَيْهِنَّ سبيلاً . إنَّ اللهَ كانَ عَلِيّاً كبيراً).

قال الواحدي رحمه الله تعالى : النشوز ههنا معصية الزوج وهو الترفع عليه بالخلاف . وقال عطاء : هو أن تتعطر له وتمنعه نفسها وتتغير عما كانت تفعله من الطواعية . (فعظوهن) بكتاب الله وذكروهن ما أمرهن الله به ، (واهجروهن في المضاجع) . قال ابن عباس هو ان يوليها ظهره على الفراش ولا يكلمها . وقال الشعبي ومجاهد : هو أن يهجر مضاجعتها فلا يضاجعها ، (واضربوهن) ضربا غير مبرح . وقال ابن عباس أدباً مثل اللكزة ، وللزوج ان يتلافى نشوز أمرأته بما اذن الله له مما ذكره الله في هذه الآية (فان اطعنكم) فيما يلتمس منهن (فلا تبغوا عليهن) .

قال ابن عباس : فلا تتجنوا عليهن العلل . وفي الصحيحين :[1] ان رسول الله ﷺ قال : « إذا دعا الرجل امرأته الى فراشه فلم تأت لعنتها الملائكة حتى تصبح » . وفي لفظ – فبات وهو عليها غضبان لعنتها الملائكة حتى تصبح – ولفظ الصحيحين ايضاً[2] : « إذا باتت المرأة هاجرة فراش زوجها فتأبى عليه إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها زوجها » .

وعن جابر[3] رضي الله عنه عن النبي ﷺ : « ثلاثة لا يقبل الله لهم صلاة ،

(١) من حديث أبي هريرة وكذا رواه ابو داود والنسائي (الترغيب) .

(٢) وكذا النسائي من حديث ابي هريرة أيضاً (المنذري).

(٣) رواه الطبراني في الاوسط من رواية عبدالله بن محمد بن عقيل ، ورواه ابن خزيمة وابن حبان في صحيحيهما من رواية زهير بن محمد (الترغيب) ، وابن عقيل مختلف فيه لسوء حفظه وكذا زهير بن محمد التميمي .

ولا ترفع لهم إلى السماء حسنة : العبد الآبق حتى يرجع إلى مواليه فيضع يده في أيديهم ، والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى عنها ، والسكران حتى يصحو » .

وعن الحسن[1] قال حدثني من سمع النبي ﷺ يقول : « أول ما تسأل عنه المرأة يوم القيامة عن صلاتها وعن بعلها » . وفي الحديث :[2] ان رسول الله ﷺ قال : « لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تصوم وزوجها شاهد إلا باذنه ولا تأذن في بيته إلا باذنه » أخرجه البخاري . ومعنى شاهد أي حاضر غير غائب وذلك في صوم التطوع فلا تصوم حتى تستأذنه لأجل وجوب حقه وطاعته وقال ﷺ : لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لاحد لامرت المرأة أن تسجد لزوجها » رواه الترمذي[3] . وقالت عمة حصين بن محصن وذكرت زوجها للنبي ﷺ فقال : « انظري من أين أنت منه فانه جنتك ونارك » أخرجه النسائي ، وعن عبد الله ابن عمرو[4] رضي الله عنهما قال ، قال رسول الله ﷺ : لا ينظر الله إلى إمرأة لا تشكر لزوجها وهي لا تستغني عنه » . وجاء عنه[5] ﷺ انه قال : « اذا خرجت المرأة من بيت زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع أو تتوب ، وقال[6] رسول الله ﷺ : « أيما إمرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة » .

---

(١) رواه أبو الشيخ في « ثواب الاعمال » من حديث أنس زاد في آخر : وعن بعلها كيف عملت اليه (منتخب كنز العمال) .

(٢) من حديث ابي هريرة وكذا مسلم وغيرهما .

(٣) من حديث ابي هريرة وقال حسن صحيح ، وله شاهد من حديث عائشة عند ابن ماجه وقيس بن سعيد عند ابي داود وابن ابي أوفى عند ابن ماجه وابن حبان ومعاذ عند الحاكم (الترغيب) .

(٤) رواه النسائي باسناد صحيح . قاله المصنف في رسالته الصغرى في الكبائر ، وزاد في (الترغيب) البزار والحاكم وصححه .

(٥) رواه الطبراني من حديث ابن عباس ، وأشار المنذري لضعفه ولفظه : « ولا تخرج من بيته إلا بأذنه فإن فعلت لعنتها ملائكة السماء وملائكة الرحمة وملائكة العذاب حتى ترجع » (ترغيب) .

(٦) رواه ابن ماجه والترمذي وحسنه ، والحاكم وصححه ، كلهم من حديث مساور الحميري عن أمه عن أم سلمة (ترغيب) .

فالواجب على المرأة أن تطلب رضا زوجها وتجتنب سخطه ولا تمتنع منه متى ارادها لقول النبي ﷺ : « إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلتأته وان كانت على التنور » . قال العلماء : الا أن يكون لها عذر من حيض أو نفاس فلا يحل لها أن تجيئه ، ولا يحل للرجل أيضاً أن يطلب ذلك منها في حال الحيض والنفاس ، ولا يجامعها حتى تغتسل ، لقول الله تعالى : (فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن) أي لا تقربوا جماعهن حتى يطهرن . قال ابن قتيبة : يطهرن ينقطع عنهن الدم ، فاذا تطهرن أي اغتسلن بالماء ، والله أعلم. ولما تقدم من قول النبي ﷺ : « من أتى حائضاً أو امرأة من دبرها فقد كفر بما أنزل على محمد » . وفي حديث آخر : « ملعون من أتى حائضاً أو إمرأة في دبرها » . والنفاس مثل الحيض إلى الأربعين ، فلا يحل للمرأة أن تطيع زوجها إذا اراد اتيانها في حال الحيض والنفاس ، وتطيعه فيما عدا ذلك ، وينبغي للمرأة أن تعرف انها كالمملوك للزوج فلا تتصرف في نفسها ولا في ماله إلا باذنه وتقدم حقه على حقها ، وحقوق أقاربه على حقوق أقاربها ، وتكون مستعدة لتمتعه بها بجميع أسباب النظافة ، ولا تفتخر عليه بجمالها ، ولا تعيبه بقبح إن كان فيه .

قال الأصمعي[١] : دخلت البادية فاذا إمرأة حسناء لها بعل قبيح فقلت لها : كيف ترضين لنفسك أن تكوني تحت مثل هذا ؟ فقالت : اسمع يا هذا ، لعله أحسن فيما بينه وبين الله خالقه فجعلني ثوابه ولعلي أسأت فجعله عقوبتي .

وقالت عائشة رضي الله عنها : يا معشر النساء لو تعلمن بحق ازواجكن عليكن لجعلت المرأة منكن تمسح الغبار عن قدمي زوجها بخد وجهها .

وقال ﷺ : [٢]« نساؤكم من أهل الجنة الودود التي إذا آذت أو أوذيت

---

(١) رواه الترمذي وحسنه ، والنسائي وابن حبان في صحيحه من حديث طلق بن علي (ترغيب) .

(٢) رواه الطبراني من حديث أنس ورواته محتج بهم في الصحيح إلا ابراهيم بن زياد القرشي لم يقف المنذري فيه على جرح ولا تعديل . قال : وقد روي هذا المتن من حديث ابن عباس وكعب بن عجرة وغيرهما (ترغيب) .

أتت زوجها حتى تضع يدها في كفه فتقول : لا أذوق غمضاً حتى ترضى

ويجب على المرأة أيضاً دوام الحياء من زوجها ، وغض طرفها قدامه ، والطاعة لأمره ، والسكوت عند كلامه ، والقيام عند قدومه ، والابتعاد عن جميع ما يسخطه ، والقيام معه عند خروجه ، وعرض نفسها عليه عند نومه ، وترك الخيانة له في غيبته في فراشه وماله وبيته ، وطيب الرائحة وتعاهد الفم بالسواك وبالمسك والطيب ، ودوام الزينة بحضرته ، وتركها الغيبة ، واكرام أهله واقاربه وترى القليل منه كثيراً .

(**فصل**) في فضل المرأة الطائعة لزوجها وشدة عذاب العاصية ينبغي للمرأة الخائفة من الله تعالى أن تجتهد لطاعة الله وطاعة زوجها وتطلب رضاه جهدها ، فهو جنتها ونارها . لقول[1] النبي ﷺ : « أيما إمرأة ماتت وزوجها راض عنها دخلت الجنة » ، وفي الحديث[2] أيضاً : « إذا صلت المرأة خمسها ، وصامت شهرها ، وأطاعت بعلها فلتدخل من أي أبواب الجنة شاءت » .

وروي عنه ﷺ أنه قال: « يستغفر للمرأة المطيعة لزوجها الطير في الهواء ، والحيتان في الماء ، والملائكة في السماء ، والشمس والقمر ما دامت في رضا زوجها . وأيما إمرأة عصت زوجها فعليها لعنة الله والملائكة والناس أجمعين . وأيما إمرأة كلحت في وجه زوجها فهي في سخط الله إلى أن تضاحكه وتسترضيه . وأيما إمرأة خرجت من دارها بغير إذن زوجها لعنتها الملائكة حتى ترجع .

وجاء عن رسول الله ﷺ ايضاً قال: « أربع من النساء في الجنة ، وأربع في النار . فاما الأربع اللواتي في الجنة :فامرأة عفيفة طائعة لله ولزوجها ، ولود صابرة قانعة باليسير مع زوجها ، ذات حياء . إن غاب عنها حفظت نفسها وماله ،

---

(١) تقدم تخريجه آنفاً .
(٢) رواه احمد والطبراني من حديث عبد الرحمن بن عوف بلفظ « قيل لها أدخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت » ورواة احمد رواة الصحيح خلا ابن لهيعة وحديثه حسن في المتابعات (ترغيب) .

وان حضر أمسكت لسانها عنه ، والرابعة[١] إمرأة ماتعنها زوجها ولها أولاد صغار فحبست نفسها على أولادها وربتهم وأحسنت اليهم ولم تتزوج خشية ان يضيعوا . وأما الأربع اللواتي في النـــار من النساء : فامرأة بذيئة اللسان على زوجها أي طويلة اللسان على زوجها أي طويلة اللسان فاحشة الكلام إن غـاب عنها زوجها لم تصن نفسها وان حضر آذته بلسانها . والثانية : إمرأة تكلف زوجها ما لا يطيق . والثالثة : إمرأة لا تستر نفسها من الرجال وتخرج من بيتها متبرجة . والرابعة : إمرأة ليس لها هم إلا الأكل والشرب والنوم وليس لها رغبة في الصلاة ولا في طاعة الله ولا طاعة رسوله ولا في طاعـة زوجها . فالمرأة اذا كانت بهذه الصفة وتخرج من بيتها بغير إذن زوجها كانت ملعونة من أهل النار الا أن تتوب الى الله ، وقال النبي ﷺ[٢] : «إطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء» وذلك بسبب قـــلة طاعتهن لله ورسوله ولازواجهن وكثرة تبرجهن ، والتبرج اذا أرادت الخروج لبست أفخر ثيابها وتجملت وتحسنت وخرجت تفتن الناس بنفسها فان سلمت هي بنفسها لم يسلم الناس منها . ولهذا قال النبي ﷺ : «المرأة عورة فاذا خرجت من بيتها إستشرفها الشيطان» .

وأعظم ما تكون المرأة من الله ما كانت في بيتها ، وفي الحديث أيضاً المرأة عورة فاحبسوها في البيوت ، فان المرأة اذا خرجت إلى الطريق قال لها أهلها : أين تريدين ؟ قالت : أعود مريضاً ، أشيع جنازة ، فلا يزال بها الشيطان حتى تخرج عن دارها . وما التمست المرأة رضا الله بمثل أن تقعد في بيتها وتعبد ربها وتطيع بعلها . وقال علي رضي الله عنه لزوجته فاطمة رضي الله عنها : يا فاطمة ما خير للمرأة ؟ قالت : أن لا ترى الرجال ولا يروها . وكان علي رضي الله عنه يقول : ألا تستحون ، ألا تغارون ؟ يترك أحدكم إمرأته تخرج بين الرجال تنظر

---

(١) (تلبيه) هكذا لم يذكر قبل الرابعة ثانية ولا ثالثة .

(٢) مخرج في الصحيحين من حديث عائشة رضى الله عنها .

اليهم وينظرون اليها ! وكانت عائشة[1] وحفصة رضي الله عنهما يوماً عند النبي ﷺ جالستين ، فدخل ابن أم مكتوم وكان أعمى فقال النبي ﷺ احتجبا منه ، فقالتا : يا رسول الله أليس هو أعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا ؟ فقال ﷺ: أفعمياوان أنتما ألستما تبصرانه ؟ »

فكما أنه ينبغي للرجل أن يغض طرفه عن النساء ، فكذلك ينبغي للمرأة أن تغض طرفها عن الرجال ، كما تقدم من قول فاطمة رضي الله عنها : ان خير ما للمرأة أن لا ترى الرجال ولا يروها . فان اضطرت للخروج لزيارة والديها وأقاربها ولاجل حمام ونحوه مما لا بد لها منه ، فلتخرج باذن زوجها غير متبرجة في ملحفة وسخة في ثياب بيتها ، وتغض طرفها في مشيتها ، وتنظر إلى الأرض لا يميناً ولا شمالاً ، فان لم تفعل ذلك والا كانت عاصية . وقد حكي أن امرأة كانت من المتبرجات في الدنيا ، وكانت تخرج من بيتها متبرجة ، فماتت فرآها بعض أهلها في المنام وقد عرضت على الله عز وجل في ثياب رقاق ، فهبت ريح فكشفتها فأعرض الله عنها ، وقال : خذوا بها ذات الشمال الى النار فانها كانت من المتبرجات في الدنيا.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : دخلت على النبي ﷺ أنا وفاطمة رضي الله عنها ووجدناه يبكي بكاء شديداً ، فقلت له : فداك أبي وأمي يا رسول الله ، ما الذي أبكاك ؟ قال : يا علي ليلة أسرى بي إلى السماء رأيت نساء من أمتي يعذبن بأنواع العذاب ، فبكيت لما رأيت من شدة عذابهن ، ورأيت امرأة معلقة

---

(١) رواه ابو داود والنسائي والترمذي وقال : حسن صحيح من حديث نبهان مولى أم سلمة قال : كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم وعنده ميمونة، فأقبل ابن أم مكتوم وذلك بعد ان أمرنا بالحجاب الخ .. قال ابو داود : هذا لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم خاصة ، ألا ترى إلى إعتداد فاطمة بنت قيس عند ابن أم مكتوم قد قال لها النبي صلى الله عليه وسلم : إعتدي عند ابن أم مكتوم فانه رجل أعمى ، تضعين ثيابك عنده قال الحافظ في التلخيص : وهذا جمع حسن ، وبه جمع المنذري في حواشيه واستحسنه شيخنا يعني العراقي اهـ . من سنن ابي داود وشرحها (عون المعبود) .

بشعرها يغلي دماغها ، ورأيت امرأة معلقة بلسانها والحميم يصب في حلقها ، ورأيت امرأة قد شدت رجلاها إلى ثدييها ويداها إلى ناصيتها ، ورأيت امرأة معلقة بثدييها ، ورأيت امرأة رأسها رأس خنزير وبدنها بدن حمار عليها الف الف لون من العذاب ، ورأيت امرأة على صورة الكلب والنار تدخل من فيها وتخرج من دبرها والملائكة يضربون رأسها بمقامع من نار .

فقامت فاطمة رضي الله عنها وقالت : حبيبي وقرة عيني ما كان أعمال هؤلاء حتى وضع عليهن العذاب ؟ فقال ﷺ : يا بنية أما المعلقة بشعرها فانها كانت لا تغطي شعرها من الرجال ، وأما التي كانت معلقة بلسانها فانها كانت تؤذي زوجها ، وأما المعلقة بثدييها فانها كانت تفسد فراش زوجها ، وأما التي تشد رجلاها الى ثدييها ويداها إلى ناصيتها وقد سلط عليها الحيات والعقارب فانها كانت لا تنظف بدنها من الجنابة والحيض وتستهزىء بالصلاة .

وأما التي رأسها رأس خنزير وبدنها بدن حمار فانها كانت نمامة كذابة

وأما التي على صورة الكلب والنار تدخل من فيها وتخرج من دبرها فانها كانت منانة حسادة .

وعن[١] معاذ بن جبل رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : « لا تؤذي المرأة زوجها في الدنيا الا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك الله . ويابنية[٢] الويل لامرأة تعصي زوجها » .

(**فصل**) : وإذا كانت المرأة مأمورة بطاعة زوجها وبطلب رضاه ، فالزوج أيضاً مأمور بالاحسان اليها واللطف بها ، والصبر على ما يبدو منها من سوء خلق وغيره ، وايصالها حقها من النفقة والكسوة والعشرة الجميلة لقول الله تعالى : (وعاشروهن بالمعروف) ولقول النبي ﷺ : [٣] « استوصوا بالنساء ، إلا ان

---

(١) رواه ابن ماجه والترمذي وقال حديث حسن ، وآخره بعد قوله « قاتلك الله فانما هو عندك دخيل يوشك ان يفارقك الينا » .

(٢) وقوله يا بنية الويل الخ ليس من حديث معاذ ولعله من حديث علي وفاطمة السابق .

(٣) رواه ابن ماجه والترمذي وقال حسن صحيح وهو من حديث عمرو بن الاحوص الجشمي أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع الخ (ترغيب) .

لكم على نسائكم حقاً ولنسائكم عليكم حقاً . فحقهن عليكم أن تحسنوا اليهن في كسوتهن وطعامهن ، وحقكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم من تكرهون ، ولا يأذن في بيوتكم لمن تكرهون » . وقوله ﷺ : « عوان » أي أسيرات جمع عانية وهي الأسيرة ، شبه رسول الله ﷺ المرأة في دخولها تحت حكم الرجل بالاسير .

وقال[1] ﷺ : « خيركم خيركم لأهله » ، وفي رواية « خيركم ألطفكم بأهله » وكان رسول الله ﷺ شديد اللطف بالنساء . وقال ﷺ : « أيما رجل صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله الأجر مثل ما أعطى أيوب عليه السلام على بلائه ، وأيما امرأة صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها الله من الأجر مثل ما أعطى آسية بنت مزاحم امرأة فرعون » .

وقد روي أن رجلاً جاء إلى عمر رضي الله عنه يشكو خلق زوجته ، فوقف على باب عمر ينتظر خروجه ، فسمع امرأة عمر تستطيل عليه بلسانها وتخاصمه وعمر ساكت لا يرد عليها ، فانصرف الرجل راجعاً وقال : إن كان هذا حال عمر مع شدته وصلابته – وهو أمير المؤمنين – فكيف حالي ؟ فخرج عمر فرآه مولياً عن بابه فناداه وقال : ما حاجتك يا رجل ؟ فقال يا أمير المؤمنين جئت أشكو اليك سوء خلق امرأتي واستطالتها علي فسمعت زوجتك كذلك فرجعت وقلت : إذا كان حال أمير المؤمنين مع زوجته فكيف حالي ؟ فقال عمر : يا أخي اني احتملتها لحقوق لها علي : انها طباخة لطعامي ، خبازة لخبزي ، غسالة لثيابي ، مرضعة لولدي .. وليس ذلك كله بواجب عليها ، ويسكن قلبي بها عن الحرام فأنا أحتملها لذلك . فقال الرجل : يا أمير المؤمنين وكذلك زوجتي قال عمر : فاحتملها يا أخي فانما هي مدة يسيرة .

وحكي أن بعض الصالحين كان له أخ في الله وكان من الصالحين يزوره في كل

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها وله شاهد من حديث ابن عباس عند ابن ماجه والحاكم وصححه ، ومن حديث ابي هريرة عند الترمذي وابن حبان وصححه الترمذي (ترغيب) .

سنة مرة ، فجاء لزيارته فطرق الباب ، فقالت امرأته : من ؟ فقال : أخـــو زوجك في الله جئت لزيارته ، فقالت: راح يحتطب لا رده الله ولا سلّمه وفعل به وفعل وجعلت تذمذم عليه فبينما هو واقف على الباب وإذا بأخيه قد أقبل من نحو الجبل وقد حمل حزمة الحطب على ظهر أسـد وهو يسوقه بين يديه ، فجاء فسلم على أخيه ورحب به ، ودخل المنزل وأدخل الحطب وقال للاسد : اذهب بارك الله فيك ، ثم ادخل أخاه والمرأة على حالها تذمذم وتأخذ بلسانها وزوجها لا يرد عليها ، فأكل مع أخيه شيئاً ثم ودعه وانصرف وهو متعجب من صـــبر أخيه على تلك المرأة . قال : فلما كان العام الثاني جاء أخوه لزيارته على عادته فطرق الباب فقالت امرأته : من بالباب ؟قال أخو زوجك فلان في الله ،فقالت مرحباً بك وأهلاً وسهلاً ، أجلس فانه سيأتي ان شاء الله بخير وعافية . قـال : فتعجب من لطف كلامها وأدبها ، إذ جاء أخوه وهو يحمـل الحطب على ظهره فتعجب أيضاً لذلك ، فجاء فسلم عليه ودخـــل الدار وأدخله وأحضرت المرأة طعاماً لهما وجعلت تدعو لهما بكلام لطيف ، فلما اراد أن يفارقه قال : يا أخي اخبرني عما اريد أن اسألك عنه . قال : وما هو يا اخي ؟ قال : عام اول اتيتك فسمعت كلام امرأة بذيئة اللسان قليلة الأدب تذم كثيراً ورأيتـك قد اتيت من نحو الجبل والحطب على ظهر الاسد وهو مسخر بين يديك ، ورأيت العام كلام المرأة لطيفاً لا تذمذم ورأيتك قد أتيت بالحطب على ظهرك فما السبب ؟ قال يا أخي : توفيت تلك المرأة الشرسة وكنت صابراً على خلقها وما يبدو منها . كنت معها في تعب وانا أحتملها ، فكان الله قد سخر لي الأسد الذي رأيت يحمل عني الحطب بصبري عليها واحتمالي لها ، فلما توفيت تزوجت هذه المرأة الصالحة وانا في راحة معها فانقطع عني الأسد ، فاحتجت ان أحمل الحطب على ظهري لاجل راحتي مع هذه المرأة المباركة الطائعة . فنسأل الله ان يرزقنا الصبر على ما يحب ويرضى ، انه جواد كريم .

الكبيرة الثامنة والاربعون : التصوير في الثياب والحيطان والحجر والدراهم وسائر الاشياء سواء كانت من شمع او عجين او حديد او نحاس أو صوف او غير ذلك ، والامر باتلافها .

قال الله تعالى : (إنَّ الَّذينَ يُؤْذُونَ اللهَ ورَسُولَهُ لَعَنهُمُ اللهُ في الدُّنيَا والآخرَةِ وأعدَّ لَهُمْ عذَاباً مُهيناً) .

قال عكرمة : هم الذين يصنعون الصور ، وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال، قال رسول الله ﷺ : « ان الذين يصنعون الصور يعذبون يوم القيامة ، يقال لهم : أحيوا ما خلقتم » مخرج في الصحيحين . وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قدم رسول ﷺ من سفر وقد سترت سهوة لي بقرام فيه تماثيل فلما رآه رسول الله ﷺ تلون وجهه وقال : « يا عائشة : أشد الناس عذاباً يوم القيامة الذين يضاهئون بخلق الله عز وجل » . قالت عائشة رضي الله عنها : فقطعته فجعلت منه وسادتين . مخرج في الصحيحين . القرام بكسر القاف وهو الستر ، والسهوة كالصفة تكون بين يدى البيت . وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: « كل مصور في النار ، يجعل له بكل صورة صورها نفس يعذب في نار جهنم » مخرج في الصحيحين ، وعنه[1] رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من صور صورة في الدنيا كلف ان ينفخ فيها الروح يوم القيامة وليس بنافخ فيها أبداً »وعنه ﷺ أنه قال : « يقول الله عز وجل :ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي ، فليخلقوا حبة ، أو ليخلقوا شعيرة ، أو ليخلقوا ذرة » مخرج في الصحيحين .

وقال[2] ﷺ : « يخرج عنق من النار يوم القيامة فيقول : اني وكلت بثلاثة :

---

(١) رواه البخاري وفيه قصة ا هـ (ترغيب) .
(٢) رواه الترمذي من حديث أبي هريرة وقال حسن صحيح (ترغيب) .

بكل من دعا مع الله إلهاً آخر ، وبكل جبار عنيد ، وبالمصورين » .

وقال رسول الله ﷺ : « لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة » مخرج في الصحيحين .

وفي سنن أبي داود عن علي بن ابي طالب قال : قال رسول الله ﷺ : « لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة ولا جنب » . وقال الخطابي رحمه الله تعالى قوله ﷺ : « لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة ولا جنب » يريد الملائكة الذين ينزلون بالرحمة والبركة دون الملائكة الذين هم الحفظة ، فانهم لا يفارقون الجنب وغير الجنب ، وقد قيل : انه لم يرد الجنب الذي أصابته الجنابة فأخر الاغتسال إلى أوان حضور الصلاة ، ولكنه الذي يجنب ولا يغتسل ويتهاون بالغسل ويتخذه عاده . فان النبي ﷺ كان يطوف على نسائه بغسل واحد ، وفي هذا تأخير الاغتسال عن أول وقت وجوبه

وقالت[1] عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله ﷺ ينام وهو جنب ولا يمس ماء .

وأما الكلب فهو أن يقتني كلبا لا لزرع ولا لضرع ولا صيد ، فأما إذا اضطر اليه فلا حرج للحاجة اليه في بعض الأمور ، أو لحراسة داره إذا اضطر اليه ، فلا حرج عليه ان شاء الله .

وأما الصور فهي كل مصور من ذوات الأرواح ، سواء كانت لها أشخاص منتصبة أو كانت منقوشة في سقف أو جدار أو موضوعة في نمط ، أو منسوجة في ثوب أو مكان ، فان قضية العموم تأتي عليه فليجتنب ، وبالله التوفيق .

ويجب اتلاف الصور لمن قدر على اتلافها وازالتها . روى مسلم[2] في صحيحه عن حيان بن حصين قال : قال لي علي بن أبي طالب رضي الله عنه : ألا أبعثك

---

(١) رواه الترمذي وأعله .

(٢) وكذا ابو داود والترمذي ، وحيان بن حصين هو ابو الهياج الاسدي .

على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ ؟ ان لا تدع صورة الا طمستها ، ولا قبراً مشرفاً إلا سويته .

فنسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى ، انه جواد كريم .

الكبيرة التاسعة والاربعون : اللطم والنياحة وشق الثوب وحلق الرأس ونتفه والدعاء بالويل والثبور عند المصيبة

روينا في صحيح البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية » .

وروينا في صحيحهما عن ابي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ : « بريء من الصالقة والحالقة والشاقة » الصالقة : التي ترفع صوتها بالنياحة ، والحالقة : التي تحلق شعرها وتنتفه عند المصيبة ، والشاقة : التي تشق ثيابها عند المصيبة ، وكل هذا حرام باتفاق العلماء ، وكذلك يحرم نشر الشعر ولطم الخدود وخمش الوجه ، والدعاء بالويل والثبور .

وعن أم عطية رضي الله عنها قالت : أخذ علينا رسول الله ﷺ في البيعة ان لا ننوح. رواه البخاري ، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ « اثنتان في الناس هما بهم كفر : الطعن في الانساب والنياحة على الميت » رواه مسلم

وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : لعن رسول الله ﷺ النائحة والمستمعة . رواه ابو داود . وعن[1] ابي بردة قال : وجع ابو موسى الأشعري فغشي عليه ورأسه في حجر امرأة من أهله فأقبلت تصيح برنة ، فلم يستطع أن يرد عليها ، فلما أفاق قال : أنا بريء مما بريء منه رسول الله ﷺ ، ان رسول

---

(١) رواه البخاري وابن ماجه والنسائي « الترغيب » .

الله ﷺ بريء من الصالقة والحالقة والشاقة

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال : أغمي علـى عبد الله بن رواحة فجعلت اخته تعدد عليه فتقول : واكذا واكذا ، فقال حين أفاق : مـا قلت شيئاً إلا قيل لي انت كذا انت كذا ، أخرجه البخاري[1] .

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال : «الميت يعذب في قبره بما نيح عليه».

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : ما من ميت يموت فيقوم باكيهم فيقول: واسيداه واجبلاه ، واكذا واكذا ، ونحو ذلك إلا وكل بـه ملكان يلهزانه : أهكذا أنت ؟ أخرجه الترمذي[2] .

وقال ﷺ[3] : النائحة اذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب » . وقـال ﷺ : انما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين : صوت عند نغمة ولهو ولعب ومزامير شيطان ، وصوت عند مصيبة خمش في وجوه وشق في جيوب ورنـة شيطان . وقال الحسن : صوتان ملعونان مزمار عند نغمة ورنة عند مصيبة .

وقال[4] رسول الله ﷺ : ان هذه النوائح يجعلن صفين في النار فينبحن في أهل النار كما تنبح الكلاب . وعن الأوزاعي : ان عمر ابن الخطاب سمع صوت بكاء فدخل ومعه غيره ، فمال عليهن ضرباً حتى بلغ النائحـة فضربها حتى سقط خمارها ، وقال : أضرب فانها نائحة ولا حرمـة لها ، انها لا تبكي بشجوكم انها تهريق دموعها لأخذ دراهمكم ، وانها تؤذي موتاكم في قبورهم ، وأحياكم في دورهم لأنها تنهي عن الصبر وقد أمر الله به ، وتأمر بالجزع وقد نهى الله عنه .

وأعلم ان النياحة : رفع صوت بالندب : تعديد النائحة بصوتها محاسن الميت وقيل : هو البكاء عليه مع ذكر محاسنه .

(١) وزاد : فلما مات لم تبك عليه (ترغيب) .
(٢) وقال حديث حسن غريب ، وكذا رواه ابن ماجه (ترغيب) .
(٣) رواه مسلم وابن ماجه من حديث ابي مالك الاشعري .
(٤) رواه الطبراني في الاوسط من حديث ابي هريرة ، وأشار المنذري إلى ضعفه .

قال العلماء : ويحرم رفع الصوت بافراط بالبكاء ، وأمـا البكاء على الميت من غير ندب ولا نياحة فليس بحرام . روينا في صحيح البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله ﷺ عاد سعد بن عبادة ومعه عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن مسعود رضي الله عنهم، فبكى رسول الله ﷺ فلمـا رأى القوم بكاء رسول الله ﷺ بكوا . فقال : « ألا تسمعون ان الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ، ولكن يعذب بهذا أو يرحم » وأشار إلى لسانه وروينا في صحيحيهما عن اسامة بن زيد ان رسول الله ﷺ ، فقال سعد: ما هذا يا رسول الله ؟ قال: « هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، وانما يرحم الله من عباده الرحماء » . وروينا في صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ دخل على ابنه ابراهيم وهو يجود بنفسه فجعلت عين رسول الله ﷺ تذرفان ، فقال له عبد الرحمن بن عوف: وأنت يا رسول الله ؟ قال : يا ابن عوف « انها رحمة » ، ثم أتبعها بأخرى فقال : « ان العين لتدمع والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وأنا بفراقك يا ابراهيم لمحزونون » .

وأمـا الاحاديث الصحيحة : ان الميت يعذب ببكاء أهله عليه فليست على ظاهرها واطلاقها بل هي مؤولة ، واختلف العلماء في تأويلها على أقوال أظهرها والله أعلم انها محمولة على أن يكون له سبب في البكاء إما أن يكون قد اوصاهم به أو غير ذلك .

قال أصحاب الشافعي : ويجوز قبل الموت وبعده ولكن قبله أولى للحديث الصحيح : « فاذا وجبت فلا تبكين باكية » ، وقد نص الشافعي والأصحاب أنه يكره البكاء بعد الموت كراهة تنزيه ولا يحرم ، وتأولوا حديث « فلاتبكين باكية » على الكراهة والله أعلم .

(فصل) وانما كان للنائحة هذا العذاب واللعنة لأنها تأمر بالجزع وتنهى عن الصبر ، والله ورسوله قد أمر بالصبر والاحتساب ، ونهيا عن الجزع والسخط . قال الله تعالى: (يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين)

قال عطاء عن ابن عباس يقول : إني معكم أنصركم ولا أخذلكم قال الله تعالى : (ولنبلونكم) أي لنعاملنكم معاملة المبتلي لأن الله يعلم عاقبة الأمور فلا يحتاج إلى الابتلاء ليعلم العاقبة ولكنه يعاملهم معاملة من يبتلي ، فمن صبر أثابه على صبره ومن لم يصبر لم يستحق الثواب ، وقول الله (بشيء من الخوف والجوع) قال ابن عباس : يعني خوف العدو ، والجوع يعني المجاعة والقحط ، (ونقص من الأموال) يعني الخسران والنقصان في المال وهلاك المواشي ، (والأنفس) بالموت والقتل والمرض والشيب ، (والثمرات) يعني الجوائح ، وأن لا تخرج الثمرة كما كانت تخرج » . ثم ختم الآية بتبشير الصابرين ليدل على ان من صبر على هذه المصائب كان على وعد الثواب من الله تعالى فقال تعالى : « وبشر الصابرين » ، ثم نعتهم فقال : « الذين إذا أصابتهم مصيبة » أي نالتهم نكبة مما ذكر ، ولا يقال فيما اصيب بخير مصيبة (قالوا إنا لله) عبيد الله فيصنع بنا ما يشاء (وإنا اليه راجعون) بالهلاك وبالفناء ، ومعنى الرجوع إلى الله الرجوع إلى انفراده بالحكم ، إذ قد ملك في الدنيا قوماً الحكم ، فاذا زال حكم العباد رجع الأمر إلى الله عز وجل .

وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال : « ما من مصيبة يصاب بها المؤمن الا كفّر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها » رواه مسلم[1] وعن[2] علقمة ابن مرثد بن سابط عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ : « من أصيب بمصيبة فليذكر مصيبته بي فانها أعظم المصائب » . وقال[3] رسول الله ﷺ : « إذا مات ولد العبد يقول الله للملائكة قبضتم ولد عبدي ؟ فيقولون : حمدك واسترجع . فيقول الله تعالى : ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد » ، وعن رسول الله ﷺ قال : يقول الله تعالى ما لعبدي عندي جزاء إذا قبضت صفيه من أهل

---

(١) وكذا وشاهده عندهما من حديث ابي سعيد الخدري (الترغيب)

(٢) رواه الطبراني في الكبير وفيه ابو بردة عمرو بن يزيد وثقه ابن حبان وضعفه غيره (مجمع الزوائد)

(٣) رواه الترمذي وابن حبان وقال الترمذي حسن غريب (ترغيب)

الدنيا ثم احتسب الا الجنة » رواه البخاري .

وقال عليه الصلاة والسلام : « من سعادة بني آدم رضاه بما قضى الله ، ومن شقاوة ابن آدم سخطه بما قضى الله تعالى » وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : إذا قبض ملك الموت عليه السلام روح المؤمن قام على الباب ولأهل البيت ضجة ، فمنهم الصاكة وجهها ، ومنهم الناشرة شعرها ، ومنهم الداعية بويلها . فيقول ملك الموت عليه السلام : « مم هذا الجزع ومم هذا الفزع ؟ فوالله ما انتقصت لأحد منكم عمراً ، ولا ذهبت لأحد منكم برزق ، ولا ظلمت لأحد منكم شيئاً فان كانت شكايتكم وسخطكم علي فاني والله مأمور ، وان كان على ميتكم فانه مقهور ، وان كان على ربكم فأنتم به كافرون ، وان لي بكم عودة بعد عودة حتى لا أبقي منكم أحداً . » قال رسول الله ﷺ : والذي نفسي بيده لو يرون مكانه ويسمعون كلامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على أنفسهم » .

(**فصل في التعزية**) عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال « من عزى مصاباً فله مثل أجره » رواه الترمذي[1] .

وعن ابي بردة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال لفاطمة رضي الله عنهما : « من عزى ثكلى كسي برداً من الجنة » رواه الترمذي[2] .

وعن [3] عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال لفاطمة رضي الله عنها : ما أخرجك يا فاطمة من بيتك ؟ قالت : أتيت أهل هذا البيت فترحمت اليهم ميتهم وعزيتهم به .

وعن عمرو[4] بن حزم عن النبي ﷺ : « ما من مؤمن يعزي أخاه بمصيبة الا كساه الله من حلل الكرامة يوم القيامة » .

(١ و ٢) وقال في كليهما حديث غريب، وزاد في الأول أنه روي موقوفاً (الترغيب) .

(٣) رواه أبو داود والنسائي بسند فيه ربيعة بن سيف المعافري من أهل مصر فيه كلام لا يقدح في حسن الاسناد (ترغيب) .

(٤) رواه ابن ماجه وسكت عليه (المنذري) .

واعلم رحمك الله أن التعزية هي التصبير ، وذكر مـــا يسلي صاحب الميت ويخفف حزنه ويهون مصيبته ، وهي مستحبة لأنها مشتملة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهي أيضاً داخلة في قول الله تعالى : (وتعاونوا على البر والتقوى). وهذا من أحسن ما يستدل به في التعزية .

وأعلم أن التعزية « هي الأمر بالصبر » مستحبة قبل الدفن وبعده . قـــال أصحاب الشافعي : من حين يموت الميت وتبقى بعد الدفن إلى ثلاثة أيام . قال أصحابنا وتكره التعزيـــة بعد ثلاثة أيام ، لأن التعزية تسكن قلب المصاب ، والغالب سكون قلبه بعد الثلاثة فلا يجدد له الحزن ، هكذا قاله الجماهير من أصحابنا . وقال ابو العباس من أصحابنا : لا بأس بالتعزية بعد ثلاثة أيام بـــل تبقى ابداً وان طال الزمان. قال النووى رحمه الله. والمختار أنها لا تفعل بعد ثلاثة أيام الا في صورتين استثناها أصحابنا ، وهما اذا كان المعزي أو صاحب المصيبة غائباً حال الدفن واتفق رجوعه بعد ثلاثة أيام ، والتعزية بعد الدفن أفضل منها قبله ، لأن أهل الميت مشغولون بتجهيزه ، ولأن وحشتهم بعد دفنه لفراقه أكثر هذا إذا لم ير منهم جزعاً ، فان رآه قدم التعزية ليسكنهم ، والله أعلم .

ويكره الجلوس للتعزية ، يعني ان يجتمع أهل الميت في بيت ليقصدهم من أراد التعزية ، ولفظ التعزية مشهور وأحسن ما يعزى به ما روينا في الصحيحين عن اسامة بن زيد رضي الله عنه قال : أرسلت إحدى بنات رسول الله ﷺ للرسول تدعوه وتخبره أن ابناً لها في الموت فقال عليه الصلاة والسلام للرسول : « ارجع اليها فأخبرها ان لله ما أخذ وله ما أعطي، وكل شيء عنده بأجل مسمى ، فمرها فلتصبر ولتحتسب » وذكر تمام الحديث . قال النووى رحمه الله : فهذا الحديث من أعظم قواعد الاسلام المشتملة على مهمات كثيرة من أصول الدين وفروعـــه والاداب، والصبر على النوازل كلها، والهموم والأسقام ، وغير ذلك من الأغراض .

ومعنى قوله ﷺ : « ان لله ما أخذ » ان العالم كله ملك لله ، لم يأخذ مـــا هو لكم بل هو أخذ ما هو له عندكم في معنى العارية . وقوله : « وله ما أعطي »

ما وهبه لكم ليس خارجاً عن ملكه ، بل هو له سبحانه يفعل فيه ما يشاء «وكل شيء عنده بأجل مسمى » ، فلا تجزعوا فان من قبضه فقد انقضى أجله المسمى فمحال تأخيره أو تقديمه عنه ، فاذا علمتم هذا كله فاصبروا واحتسبوا ما نزل بكم . والله أعلم .

وعن[1] معاوية بن أياس عن أبيه رضي الله عنه عن النبي ﷺ : انه فقد رجلاً من أصحابه فسأل عنه ، فقالوا : يا رسول الله ابنه الذي رأيته هلك ، فلقيه النبي ﷺ فسأله عن ابنه فأخبره انه هلك ، فعزاه عليه ثم قال : يا فلان « إيما كان أحب اليك ان تمتع به عمرك أو لا تأتي غداً باباً من أبواب الجنة إلا وجدته قد سبقك اليه يفتحه لك ؟ فقال : يا نبي الله يسبقني إلى الجنة يفتحها لي وهو أحب إلي . قال : فذلك لك . فقيل : يا رسول الله هذا له خاصة أم للمسلمين عامة ؟ قال « بل للمسلمين عامة » وعن أبي موسى[2] عن النبي ﷺ انه خرج الى البقيع فأتى امرأة جاثية على قبر تبكي فقال لها : « يا أمة الله إتقي الله واصبري » . قالت : يا عبد الله إني أنا الحرى الثكلى. قال: « يا أمة الله إتقي الله واصبري » قالت : يا عبدالله لو كنت مصاباً عذرتني قال : « يا أمة الله إتقي الله وأصبري » قالت : يا عبد الله قد اسمعتني فانصرف . قال : فانصرف عنها رسول الله ﷺ ، وبصر بها رجل من المسلمين فأتاها فسألها .ما قال لك الرجل؟ فاخبرته بما قال وبما ردت عليه ، فقال لها : أتعرفينه ؟ قالت : لا والله . قال : ويحك ذلك رسول الله ﷺ ، فبادرت تسعى حتى أدركته ، فقالت : يا رسول الله أصبر . قال (انما الصبر عند الصدمة الأولى) أي انما يحمل الصبر عند مفاجأة المصيبة ، وأما فيما بعد فيقع السلو طبعاً . وفي صحيح مسلم : مات إبن

---

(١) رواه احمد ورجاله رجال الصحيح والنسائي وابن حبان في صحيحه باختصار(ترغيب)

(٢) رواه ابو يعلي في مسنده من حديث ابي هريرة وابي موسى وفي سنده بكر بن الأسود الناجي وهو ضعيف قاله الهيثمي في مجمع الزوائد ، وأصله في الصحيحين من حديث أنس مختصراً وصحابته ابو هريرة لا أبو موسى كما في الهيثمي وفتح الباري في شرح حديث أنس « إنما الصبر عند الصدمة الأولى » في كتاب الجنائز في صحيح البخاري .

لأبي طلحة من أم سليم ، فقالت لأهله :لا تحدثوا أبا طلحة حتى أكون أنا احدثه، فجاء ابو طلحة فقربت اليــه عشاء فأكل وشرب ثم تصنعت له أحسن ما كانت تتصنع قبل ذلك فوقع بها ، فلمــا رأت انه قد شبع وأصاب منها قالت : يا أبا طلحة أرأيت لو ان قوماً أعاروا عاريتهم أهل بيت فطلبوا عاريتهم الهم أن يمنعوهم ؟ قال لا ، قالت أم سليم : فاحتسب ابنك . قال : فغضب ابو طلحة ، فقال : تركتني حتى اذا تلطخت اخبرتيني بابني ، والله لا تغلبيني على الصبر ، فانطلق حتى أتى رسول الله ﷺ فأخبره بما كان ، فقال رسول الله ﷺ : «بارك الله لكما في ليلتكما» . فذكر الحديث . وفي الحديث[1] : «مــا أعطي احــداً عطاء خيراً وأوسع من الصبر» . وقــال علي رضي الله عنه للاشعث بن قيس : إنك ان صبرت ايماناً واحتساباً وإلا ســلوت كما تسلو البهائم . وكتب حكيم إلى رجل قد أصيب بمصيبة : انك قد ذهب منك ما رزئت به فلا يذهبن عنك مــا عرضت عنه وهو الأجر . وقال آخر : العاقل يصنع أول يوم من أيام المصيبة ما يفعله الجاهل بعد خمسة أيام ، قلت : قد علم ان مر الزمان يسلي المصاب ، فلذلك أمر الشارع بالصبر عند الصدمة الأولى ، وبلغ الشافعي رضي الله عنه ان عبــد الرحمن بن مهدي رحمه الله مات له ابن فجزع عليه عبد الرحمن جزعــاً شديداً ، فبعث الية الشافعي رحمه الله يقول : يا أخي عز نفسك بما تعزي بــــه غيرك واستقبح من فعلك ما تستقبحه من فعل غيرك ، وأعلم ان امضى المصائب فقــد سرور وحرمان أجر ، فكيف إذا اجتمعا مع اكتساب وزر ؟ فتناول حظك يا أخي إذا قرب منك قبل ان تطلبه وقد نأى عنك ، ألهمك الله عند المصائب صبراً واحرز لنا ولك بالصبر اجراً ، وكتب اليه يقول :

إني معزيك لا أني على ثقة — من الحياة ولكن سنة الدين
فما المعزي ببــــاق بعد ميته — ولا المعزى ولو عاشا الى حين

---

(١) رواه البخاري ، ضمن حديث طويل (ترغيب) .

وكتب رجل إلى بعض اخوانه يعزيه بابنه : اما بعد فان الولد على والده ما عاش حزن وفتنه ، فاذا قدمه فصلاة ورحمة ، فلا تحزن على ما فاتك من حزنه وفتنة ، ولا تضيع ما عوضك الله تعالى من صلاته ورحمته

وقال موسى بن المهدي لابراهيم بن سلمة وعزاه بابنه : أسرك وهو بلية وفتنة وأحزنك وهو صلاة ورحمة ؟

وعزى رجل رجلاً فقال : ان من كان لك في الآخرة أجراً خير ممن كان في الدنيا سروراً وفرحاً .

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما انه دفن إبناً له ثم ضحك عند القبر ، فقيل له : أتضحك عند القبر ؟ فقال : اردت أن ارغم الشيطان . وعن ابن جريج رحمه الله قال : من لم يتعرض مصيبته بالأجر والاحتساب سلا كما تسلو البهائم ، وعن حميد الأعرج قال : رأيت سعيد بن جبير رحمه الله يقول في ابنه ونظر اليه : اني أعلم خير خلة فيك ، قيل وما هي ؟ قال : يموت فأحتسبه .

وعن الحسن البصري رحمه الله : ان رجلاً حزن على ولد له وشكا ذلك اليه فقال الحسن كان ابنك يغيب عنك ؟ قال : نعم كان غيبته أكثر من حضوره ، قال : فاتركه غائباً فانه لم يغب عنك غيبة إلا لك فيها أجر أعظم من هذه . فقال : يا أبا سعيد هونت علي وجدي على إبني .

ودخل عمر بن عبد العزيز على ابنه في وجعه فقال : يا بني كيف تجدك ؟ قال : أجدني في الحق .. قال : يا بني لان تكون في ميزاني أحب إلي من أن أكون في ميزانك . قال : يا أبت لان يكون ما تحب أحب إلي من أن يكون ما أحب .

ومات ابن الامام الشافعي فانشد يقول :

وما الدهر إلا هكذا فاصطبر له رزيــة مال أو فراق حبيب

ووقعت في رجل عروة الآكلة فقطعها من الساق ولم يمسكه أحد وهو شيخ كبير ولم يدع ورده تلك الليلة . الا إنه قال : (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) وتمثل بهذه الأبيات .

لعمري ما أهويت كفي لريبة ولا نقلتني نحو فاحشة رجلي
ولا قادني سمعي ولا بصري لها ولا دلني رأيي عليها ولا عقلي
وأعلم أني لم تصبني مصيبة من الدهر الا قد أصابت فتى قبلي

وقال رضي الله عنه : اللهم ان كنت ابتليت فقد عافيت ، وان كنت أخذت فقد أبقيت ، أخذت عضواً وابقيت اعضاء وأخذت إبناً وابقيت ابناء .

وقدم على الوليد في تلك الليلة رجل أعمى من بني عبس فسأله عن عينيه فقال : بت ليلة في بطن واد ولم أعلم في الأرض عبسياً يزيد ماله على مالي ، فطرقنا سيل فذهب ما كان لي من مال وأهل وولد غير بعير وصبي ، وكان البعير صعباً فند (أي شرد) فاتبعته ، فما جاوزت الصبي إلا بيسير حتى سمعت صوته فرجعت فاذا رأس الصبي في بطنه فقتله ، ثم اتبعت البعير لاخذه فنفحني برجله فأصاب وجهي فحطمه وأذهب عيني ؛ فأصبحت لا أهل لي ولا مال ولا ولد ولا بعير .

فقال الوليد : انطلقوا به إلى عروة ليعلم ان في الأرض من هو أشد منه بلاء.

وذكر ان عثمان رضي الله عنه لما ضرب جعل يقول والدماء تسيل على لحيته : لا إله إلا أنت سبحانك اني كنت من الظالمين ، اللهم اني استعين بك عليهم ، واستعينك على جميع أموري ، وأسألك الصبر على ما ابتليتني .

وقال المدائني : رأيت بالبادية امرأة لم أر جلداً أنضر منها ولا أحسن وجهاً منها ، فقلت : تالله ان فعل هذا بك الاعتدال والسرور ، فقالت : كلا والله اني لبدع أحزان وخلف هموم وسأخبرك : كان لي زوج ، وكان لي منه إبنان ، فذبح أبوهما شاة في يوم الأضحى والصبيان يلعبان ، فقال الأكبر للأصغر : أتريد ان أريك كيف ذبح أبي الشاة قال : نعم . فذبحه ، فلما نظر الى الدم جزع ففزع

نحو الجبل فأكله الذئب ، فخرج ابوه في طلبه فتاه أبوه فمات عطشاً فأفردني الدهر . فقلت لها : وكيف انت والصبر ؟ فقالت : لو دام لي لدمت له ولكنه كان جرحاً فاندمل .

وعن[1] ابن عباس رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من كان له فرطان[2] من أمتي دخل الجنة » يعني ولدين .

قالت عائشة رضي الله عنها : بأبي أنت وأمي فمن كان له فرط ؟ قال ﷺ : « ومن كان له فرط يا موفقة » . قلت : فمن لم يكن له فرط من أمتك ؟ قال أنا فرط أمتي لم يصابوا بمثلي .

وعن أبي عبيدة رضي الله عنه عن ابيه[3] قال : قال رسول الله ﷺ : « من قدّم ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث كانوا له حصناً من النار » . فقال ابو الدرداء: قدّمت اثنين ، قال: (واثنين) : قال أبي بن كعب سيد القراء قدّمت واحداً. قال ﷺ : (وواحداً ولكن ذلك في أول صدمة) . وعن وكيع قال : كان لابراهيم الحربي ابن وكان له عشرة سنة قد حفظ القرآن وتفقه من الفقه والحديث شيئاً كثيراً ، فمات فجئت أعزيه قال لي : كنت اشتهي موت ابني هذا . قلت: يا أبا اسحاق انت عالم الدنيا تقول مثل هذا ؟ قد انجب وحفظ القرآن وتفقه الفقه والحديث . قال : نعم رأيت في المنام كأن القيامة قد قامت وكأن صبياناً في أيديهم قلال ماء يستقبلون الناس يسقونهم ، وكان اليوم يوم حار شديد حره، قال ، فقلت لاحدهم : اسقني من هذا الماء . قال : فنظر إلي ، وقال لي : ليس أنت أبي : فقلت : ومن أنتم ؟ نحن الصبيان الذين متنا في الاسلام وخلفنا آباءنا نستقبلهم فنسقيهم الماء ، قال : فلهذا تمنيت موته .

---

(١) الترمذي وقال حسن غريب (ترغيب) .

(٢) الفرط بفتح الفاء والراء . الذي مات قبل البلوغ ذكراً كان أو انثى وجمعه افراط (منذري) .

(٣) ابو عبدالله بن مسعود والحديث أخرجه ابن ماجه واشار المنذري إلى ضعفه وليس في آخره قوله « ولكن ذلك في أول صدمة » .

وروى مسلم عن أبي حسان قال ، قلت لأبي هريرة رضي الله عنه حدثنا بحديث تطيب به أنفسنا عن موتانا ، قال : نعم ، صغارهم دعاميص[1] الجنة يتلقى أحدهم أباه أو قال أبويه ، فيأخذ بثوبه أو قال بيده فلا ينتهي حتى يدخله الجنة .

وعن مالك بن دينار رحمه الله تعالى قال : كنت في أول أمري مكباً على اللهو وشرب الخمر ، فاشتريت جارية وتسريت بها وولدت لي بنتاً فأحببتها حباً شديداً ، إلى أن دبت ومشت فكنت إذا جلست لشرب الخمر جاءت وجذبتني عليه فأهرقته بين يدي ، فلما بلغت من العمر سنتين ماتت فأكمدني حزنها . قال : فلما كان ليلة النصف من شعبان بت وأنا ثمل من الخمر ، فرأيت في النوم كأن القيامة قد قامت وخرجت من قبري ، وإذا بتنين قد تبعني يريد أكلي – والتنين الحية العظيمة – قال : فهربت منه فتبعني ، وصار كلما أسرعت يهرع خلفي وأنا خائف منه ، فمررت في طريقي على شيخ نقي الثياب ضعيف ، فقلت ، يا شيخ بالله أجرني من هذا التنين الذي يريد أكلي واهلاكي . فقال : يا ولدي أنا شيخ كبير وهذا أقوى مني ولا طاقة لي به ، ولكن مر وأسرع فلعل الله أن ينجيك منه . قال : فأسرعت في الهرب وهو ورائي ، فأشرفت على طبقات النار وهي تفور ، فكدت أن أهوي فيها ، واذا قائل يقول : لست من أهلي فرجعت هارباً ، والتنين في أثري ، فأشرفت على جبل مستنير وفيه طاقات وعليها أبواب وستور وإذا بقائل يقول : أدركوا هذا البائس قبل أن يدركه عدوه فتحت الأبواب ورفعت الستور وأشرقت علي منها أطفال بوجوه كالأقمار وإذا ابنتي معهم ، فلما رأتني نزلت إلى كفة من نور ، وضربت بيدها اليمنى إلى التنين فولى هارباً ، وجلست في حجري وقالت يا أبت (ألم يأن للذين آمنوا أن

(١) دعاميص بفتح الدال : جمع دعموص بضمها دويبة صغيرة يضرب لونها إلى السواد تكون في الغدرات إذا نشفت شبه بها الطفل في الجنة لصغر سنه وسرعة حركته ، وقيل : اسم للرجل الزوار للملوك الكثير الدخول عليهم لا يتوقف على اذن منهم ولا يخاف أين ذهب من ديارهم ، شبه به الطفل لكثرة ذهابه في الجنة حيث شاء ، لا يمنع من بيت فيها ولا موضع (ترغيب) .

تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق) . فقلت : يا بنية وأنتم تعرفون القرآن ؟ قالت : نحن أعرف به منكم . قلت : يا بنية ما تصنعون ههنا ؟ قالت : نحن من مات من اطفال المسلمين أسكنا ههنا الى يوم القيامة ننتظركم تقدمون علينا . فقلت : يا بنية ما هذا التنين الذي يطاردني ويريد اهلاكي ؟ قالت : يا أبت ذلك عملك السوء قويته فأراد اهلاكك ، فقلت : ومن ذلك الشيخ الضعيف الذي رأيته ؟ قالت : ذلك عملك الصالح أضعفته حتى لم يكن له طاقة بعملك السوء فتب الى الله ولا تكن من الهالكين ، قال ثم ارتفعت عني واستيقظت فتبت الى الله من ساعتي .

فانظر رحمك الله الى بركة الذرية اذا ماتوا صغاراً ذكوراً كانوا أو اناثاً ، وانما يحصل للوالدين النفع بها في الآخرة اذا صبروا واحتسبوا وقالوا : الحمد لله إنا لله وإنا اليه راجعون ، فيحصل لهم ما وعد الله تعالى بقوله : (الذين اذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله) أي نحن وأموالنا يصنع بنا ما يشاء (وإنا اليه راجعون) اقرار بالهلاك والفناء .

وعن ثوبان رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « ما أصاب عبداً مصيبة الا باحدى خلتين ، اما بذنب لم يكن الله ليغفر له الا بتلك المصيبة . أو بدرجة لم يكن الله يبلغه إياها إلا بتلك المصيبة .

وقال سعيد بن جبير : لقد أعطيت هذه الأمة عند المصيبة ما لم تعط الأنبياء قبلهم (إنا لله وإنا اليه راجعون) ، ولو أعطيته الأنبياء عليهم السلام لأعطيه يعقوب عليه السلام إذ يقول (يا أسفي على يوسف) .

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من قال عند المصيبة (إنا لله وانا اليه راجعون) اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيراً منها الا آجره الله وأخلف له خيراً منها » . قالت : فلما توفي ابو سلمة قالت: من خير من أبي سلمة ؟ ثم قلتها فأخلفني الله رسول الله ﷺ . رواه مسلم .

وعن الشعبي أن شريحاً قال : اني لاصاب المصيبة فأحمد الله عليها أربع مرات:

أحمده إذ لم يكن أعظم منها ، وأحمده اذ رزقني الصبر عليها ، وأحمده إذ وفقني للاسترجاع لما أرجو من الثواب ، وأحمده اذ لم يجعلها في ديني . وقوله (أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة) الصلوات من الله الرحمة والمغفرة (وأولئك هم المهتدون) يريد الذين اهتدوا للترجيع وقيل الى الجنة والثواب .

وعن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : نعم العدلان ونعم العلاوة (أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة) نعم العدلان (واولئك هم المهتدون) نعم العلاوة .

وأما اذا سخط صاحب المصيبة ودعا بالويل والثبور ، او لطم خداً ، او شق جيباً ، او نشر شعراً أو حلقة او قطعه او نتفه ، فله السخط من الله تعالى وعليه اللعنة رجلاً كان او امرأة .

وقد روي أيضاً ان الضرب على الفخذ عند المصيبة يحبط الاجر ، وقد روي ان من اصابته مصيبة فخرق عليها ثوباً أو لطم خداً أو شق جيباً أو نتف شعراً فكأنما رمحاً يريد أن يحارب ربه . وقد تقدم ان الله عز وجل لا يعذب ببكاء العين ولا بحزن القلب ، ولكن يعذب بهذا – يعني ما يقوله صاحب المصيبة بلسانه ، يعني من الندب والنياحة . وقد تقدم ان الميت يعذب في قبره بما نيح عليه اذا قالت النائحة : وأعضداه ، واناصراه ، واكاسياه ، جبذ الميت وقيل له أنت عضدها ؟ أنت ناصرها ؟ أنت كاسيها ؟ فالنواح حرام لأنه مهيج للحزن ودافع عن الصبر ، وفيه مخالفة التسليم للقضاء ، والاذعان لأمر الله تعالى .

حكاية : قال صالح المري : كنت ذات ليلة جمعة بين المقابر فنمت ، واذا بالقبور قد شققت وخرج الأموات منها وجلسوا حلقاً حلقاً ، ونزلت عليهم أطباق مغطية ، واذا فيهم شاب يعذب بأنواع العذاب من بينهم . قال : فتقدمت اليه وقلت يا شاب ما شأنك تعذب من بين هؤلاء القوم ؟ فقال : يا صالح بالله عليك بلغ بما آمرك به وأدِّ الامانة وارحم غربتي ، لعل الله عز وجل ان يجعل لي على يديك مخرجاً : اني لما مت ولي والدة جمعت النوادب والنوائح يندبن علي

ويلحن كل يوم ، فأنا معذب بذلك ، النار عن يميني وعن شمالي وخلفي وأمامي لسوء مقال أمي ، فلا جزاها الله عني خيراً، ثم بكى حتى بكيت لبكائه ثم قال: يا صالح بالله عليك اذهب اليها فهي في المكان الفلاني وعلم لي المكان ، وقل لها لم تعذبي ولدك يا أمـــاه ، ربيتني ومن الاسواء وقيتني ، فلما مت في العـــذاب رميتني .

يا اماه لو رأيتني : الأغلال في عنقي والقيد في قدمي ، وملائكة العـذاب تضربني وتنهرني ، فلو رأيت سوء حالي لرحمتيني ، وإن لم تتركي ما انت عليه من الندب والنياحة ، الله بيني وبينك يوم تشقق سماء عن سماء، ويبرز الخلائق لفصل القضاء . قال صالح : فاستيقظت فزعاً ، ومكثت في مكاني قلقاً الى الفجر فلما اصبحت دخلت البلد ولم يكن لي هم الا الدار التي لأمّ الصبي الشاب ، فاستدللت عليها فأتيتها ، فإذا بالباب مسود ، وصوت النوادب والنوائح خارج من الدار . فطرقت الباب فخرجت إلي عجوز ، فقالت : ما تريد يا هذا ؟ فقلت : أريد أم الشاب الذي مات فقالت : وما تصنع بها هي مشغولة بحزنها. فقلت : أرسليها إلي ، معي رسالة من ولدها . فدخلت فأخبرتها ، فخرجت أم وعليها ثياب سود ووجهها قد اسود من كثرة البكاء واللطم، فقالت لي: من انت ؟ قلت : انا صالح المري جرى لي البارحة في المقابر مع ولدك كذا وكذا ، رأيته في العـــذاب وهو يقول : يا أمي ربيتيني ومن الأسواء وقيتيني ، فلما مت في العذاب رميتيني، وإن لم تتركي ما انت عليه الله بيني وبينك يوم تشقق سماء عن سماء . فلما سمعت ذلك غشي عليها وسقطت الى الارض ، فلما أفاقت بكت بـكاء شديداً ، وقالت : يا ولدي يعز علي ، ولو علمت ذلك بحالك مـــا فعلت ، وانا تائبة الى الله تعالى من ذلك ، ثم دخلت وصرفت النوائح ولبست غـــير تلك الثياب ، وأخرجت إلي كيساً فيه دراهم كثيرة ، وقالت : يا صالح تصدق بهذه عن ولدي . قال صالح : فودعتها ودعوت لها وانصرفت وتصدقت عن ولدها بتلك الدراهم ، فلما كان ليلة الجمعة الأخرى أتيت المقابر على عادتي فنمت ، فرأيت اهل القبور قدخرجوا من قبورهم وجلسوا على عادتهم ، وأتتهم الأطباق ، وإذ ذاك الشاب ضاحك فرح

مسرور فجاءه أيضاً طبق فأخذه ، فلما رآني جاء إلي فقال : يا صالح جزاك الله عني خيراً ، خفف الله عني العذاب، وذلك بترك أمي ما كانت تفعل ، وجاءني ما تصدقت به عني . قال صالح : فقلت وما هذه الأطباق ؟ فقال : هذه هدايا الأحياء لأمواتهم من الصدقة والقراءة والدعاء ينزل عليهم كل ليلة جمعة يقال له هذه هدية فلان اليك فارجع الى أمي واقرئها مني السلام ، وقل لها جزاها الله عني خيراً،قد وصل إلي ما تصدقت به عني وانت عندي عن قريب فاستعدي. قال صالح: ثم استيقظت وأتيت بعد أيام الى دار أم الشاب. واذا بنعش موضوع على الباب ، فقلت : لمن هذا ؟ فقالوا : لأم الشاب ، فحضرت الصلاة عليها ودفنت الى جانب ولدها بتلك المقبرة فدعوت لها وانصرفت .

فنسأل الله ان يتوفانا مسلمين ، ويلحقنا بالصالحين ، ويعصمنا من النار ، انه جواد كريم ، رؤوف رحيم .

الكبيرة الخمسون : البغي

قال الله تعالى : (إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) .

وقال النبي ﷺ [1] : « ان الله أوحى إلي ان تواضعوا حتى لا يبغي أحد على احد ولا يفخر احد على احد » رواه مسلم .

وفي الاثر : لو بغى جبل على جبل لجعل الله الباغي منهما دكاً .

وقال ﷺ [2] : « ما من ذنب اجدر ان يجعل الله لصاحبه العقوبة في الدنيا مع ما يدخره له في الآخره من البغي وقطيعة الرحم » .

---

(١) ابو داود وابن ماجه من حديث عياض بن حمار رضي الله عنه(ترغيب).

(٢) رواه ابن ماجه والترمذي وقال حسن صحيح ، والحاكم وقال : صحيح الاسناد من حديث ابي بكر (ترغيب) .

وقد خسف الله بقارون الارض حين بغى على قومه ، فقـد أخبر الله تعالى عنه بقوله : (ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم) الى قوله : (فخسفنا به وبداره الارض) الآية . قال ابن الجوزي رحمه الله : في بغي قـارون أقوال (أحدها) انه جعل للبغية جعلاً على ان تقذف موسى عليه السلام بنفسهافعلت، فاستحلفها موسى على ما قالت فأخبرته بقصتها مع قارون وكان هذا بغيه قاله ابن عباس ، (والثاني) انه بغى بالكفر بالله عز وجل قاله الضحاك . (والثالث) بالكفر قاله قتادة ، (والرابع) انه اطال ثيابه شبراً قاله عطـــاء الخرساني ، انه كان يخدم فرعون فاعتدى على بني اسرائيل فظلمهم حكاه الماوردي .

قوله : (فخسفنا به وبداره الارض) الآية ، لمـا أمر قارون البغية بقذف موسى على ما سبق شرحه غضب موسى فدعا عليه فأوحى الله اليه : اني قـــد أمرت الارض ان تطيعك فمرها ، فقال موسى : يا ارض خذيه ، فأخذته حتى غيبت سريره. فلما رأى قارون ذلك ناشد موسى بالرحم، فقال : يا ارض خذيه. فأخذته حتى غيبت قدميه ، فما زال يقول : يا ارض خذيه حتى غيبته . فأوحى الله اليه : يا موسى وعزتي وجلالي لو استغاث بي لأغثته ! قال ابن عباس فخسفت به الارض الى الارض السفـــلى . قال سمرة ابن جندب : انه كل يوم يخسف به قامة . قال مقاتل : فلما هلك قارون قال بنو اسرائيل إنما أهلكه موسى ليأخذ ماله وداره فخسف الله بداره وماله بعد ثلاثة أيام .

(فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله) اي يمنعونه من الله (وما كان من المنتصرين) اي من الممتنعين مما أنزل به ، والله أعلم .

اللهم انك اذا قبلت سلمت ، واذا أعرضت أسلمت ، واذا وفقت ألهمت، واذا خذلت إتهمت .

اللهم اذهب ظلمة ذنوبنا بنور معرفتك وهداك ، واجعلنا ممن أقبلت عليه فأعرض عمن سواك ، واغفر لنا ولوالدينا وسائر المسلمين آمين

الكبيرة الحادية والخمسون : الاستطالة على الضعيف والمملوك والجارية والزوجة والدابة

لأن الله تعالى قد أمر بالإحسان اليهم بقوله تعالى :

واعْبُدُوا اللهَ ولا تُشْرِكُوا به شَيْئاً وَبالْوالدَين إحساناً وَبذِي القُرْبى واليَتَامى والمَساكينَ وَالجَارِ ذي القُرْبى وَالجارِ الجُنُب وَالصَّاحبِ بالجَنْبِ وَابْنِ السَّبيلِ وَمَا مَلَكَت ايمانُكُم إن اللهَ لا يُحِبُّ مَن كان مُختالاً فَخوراً) .

قال الواحدي : في قوله تعالى (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً) : أخبرنا احمد بن محمد بن ابراهيم المهرجاني باسناده عن[1] معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: كنت رديف النبي ﷺ على حمار ، فقال : يا معاذ ، قلت : لبيك وسعديك يا رسول الله . قال : « هل تدري ما حق الله على العباد وما حق العباد على الله؟» قلت: الله ورسوله أعلم، قال : «فان حق الله على العباد ان يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، وحق العباد على الله ان لا يعذب من لا يشرك به شيئاً» .

وعن ابن مسعود [2] رضي الله عنه قال : أتى النبي ﷺ اعرابي فقال : يا نبي الله أوصني ، قال : « لا تشرك بالله شيئاً وان قطّعت وحرّقت ، ولا تدع الصلاة لوقتها فانها ذمة الله ، ولا تشرب الخمر فانها مفتاح كل شر » .

---

(١) هذا الحديث في الصحيحين وغيرهما من طرق متعددة ، ونقله المؤلف عن الواحدي عن الضعاف والمناكير وهو على طرف الثمام في دواوين الاسلام الشهيرة .

(٢) ذكر المنذري في ترغيبه أحاديث نحو هذا الحديث أقربها منه حديث معاذ عند احمد والطبراني ، قال : واسناد احمد صحيح لو سلم من الانقطاع بين عبد الرحمن بن جبير بن نفير ومعاذ فانه لم يسمع منه ، ومنها حديث عند الطبراني في الاوسط ولا بأس باسناده في المتابعات ، وحديث اميمة مولاته حق عند الطبراني بسند فيه يزيد بن سنان الرهاوي ، وحديث ابي الدرداء عند ابن ماجه والبيهقي بسند فيه شهر بن حوشب (ترغيب) .

قوله : (وبالوالدين احساناً) يريد البر بهما مع اللطف ولين الجانب ، ولا يغلظ لهما الجواب ، ولا يحد النظر اليهما ، ولا يرفع صوته عليهما ، بل يكون بين أيديهما مثل العبد بين يدي السيد تذللاً لهما . قوله : (وبذي القربى) قال يصلهم ويتعطف عليهم ، (واليتامى) يرفق بهم ويدنيهم ويمسح رؤوسهم ، (والمساكين) ببذل يسير ورد جميل ، (والجار ذي القربى) يعني الذي بينك وبينه قرابة فله حق القرابة وحق الجوار وحق الاسلام ، (والجار الجنب) هو الذي ليس بينك وبينه قرابة يقال رجل جنب إذا كان غريباً متباعداً أهله ، وقوم أجانب والجنابة : البعد . عن عائشة[1] رضي الله عنها ان النبي ﷺ قال : « ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه . وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : « ان الجار ليتعلق بالجار يوم القيامة يقول : يا رب أوسعت على أخي هذا واقترب علي ، أمسي طاوياً ويمسى هذا شبعان ، ثم أغلق بابه عني وحرمني ما قد أوسعت به عليه » .

(والصاحب بالجنب) قال ابن عباس ومجاهد : هو الرفيق في السفر له حق الجوار وحق الصحبة . (وابن السبيل) : هو الضعيف يجب اقراؤه إلى ان يبلغ حيث يريد ، وقال ابن عباس : هو عابر السبيل تؤويه وتطعمه حتى يرحل عنك . (وما ملكت ايمانكم) : يريد المملوك يحسن رزقه ويعفو عنه فيما يخطىء قوله : (ان الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً) ، قال ابن عباس : يريد بالمختال العظيم في نفسه الذي لا يقوم بحقوق الله ، والفخور هو الذي يفخر على عباد الله بما خوله الله من كرامته وما أعطاه من نعمه. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : « بينا رجل شاب ممن كان قبلكم يمشي في حلة مختالاً فخوراً إذ ابتلعته الأرض فهو يتجلجل فيها حتى تقوم الساعة » . وعن أسامة قال : سمعت

---

(١) رواه ابو داود وابن ماجة من حديث عائشة ورواه البخاري ومسلم والترمذي من حديث ابن عمر ، ورواه احمد باسناد جيد رواته رواة الصحيح من حديث رجل من الانصار (ترغيب) .

ابن عمر يقول[1] : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من جرّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة » هذا ما ذكره الواحدي .

وكان رسول الله ﷺ عند خروجه من الدنيا في آخر مرضه يوصي بالصلاة ، وبالاحسان إلى المملوك ، ويقول : الله الله الصلاة وما ملكت أيمانكم »[2] .

وفي الحديث : « حسن الملكة يمن وسوء الملكة شؤم » وقال رسول الله ﷺ : « لا يدخل الجنة سيء الملكة »[3] .

قال ابو مسعود رضي الله عنه : كنت اضرب مملوكاً لي بالسوط فسمعت صوتاً من ورائي « اعلم أبا مسعود ان الله أقدر عليك منك على هذا الغلام » قال ، قلت : يا رسول الله لا أضرب مملوكاً لي بعده ابدا . وفي رواية سقط السوط من يدي من هيبة رسول الله ﷺ ، وفي رواية : فقلت هو حر لوجه الله ، فقال : « اما انك لو لم تفعل للفحتك النار يوم القيامة » ، رواه مسلم . وروى مسلم أيضاً من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : « من ضرب غلاماً له حداً لم يأته أو لطمه فكفارته ان يعتقه » ، ومن حديث حكيم بن حزام قال : قال رسول الله ﷺ : « ان الله يعذب الذين يعذبون الناس في الدنيا » .

وفي الحديث[4] من ضرب بسوط ظلماً اقتص منه يوم القيامة ، وقيل[5] رسول الله ﷺ كم نعفو عن الخادم ؟ « قال : في اليوم سبعين مرة » .

وكان[6] في يد النبي ﷺ يوماً سواك فدعا خادماً له فابطأ عليه فقال : « لولا

---

(١) رواه البخاري ومسلم وابو داود والنسائي .

(٢) رواه ابو داود وابن ماجه من حديث علي بن ابي طالب رضي الله عنه .

(٣) رواه احمد وابو داود عن بعض بني رافع بن مكيث عنه ولم يسمعه منه ، ورواه ابو داود عن الحارث بن رافع بن مكيث عن النبي مرسلا (ترغيب) .

(٤) رواه البزار والطبراني باسناد حسن (ترغيب) .

(٥) رواه أبو داود والترمذي وقال حسن غريب ، في بعض النسخ الترمذي حسن صحيح من حديث عبدالله بن عمر (ترغيب) .

(٦) رواه احمد بأسانيد احدها جيد والطبراني كلاهما من حديث أم سلمة .

القصاص لضربتك بهذا السواك » ، وكان لأبي هريرة رضي الله عنه جارية زنجية فرفع يوماً عليها السوط فقال : لولا القصاص لاغشيتكيه ولكن سأبيعك لمن يوفيني ثمنك ، اذهبي فأنت حرة لوجه الله .

وجاءت[1] امرأة الى النبي ﷺ فقالت يا رسول الله اني قلت لأمتي يا زانية، قال . وهل رأيت عليها ذلك ؟ قالت : لا . أما أنها ستستقيد منك يوم القيامة فرجعت الى جاريتها فأعطتها سوطاً ،وقالت : أجلديني . فأبت الجارية فاعتقتها ثم رجعت إلى النبي ﷺ فأخبرته بعتقها فقال : « عسى » أي عسى أن يكفر عتقك لها ما قذفتها به .

وفي الصحيحين[2] ان رسول الله ﷺ قال : « من قذف مملوكه وهو بريء مما قاله جلد يوم القيامة حداً إلا ان يكون كما قال.وفي الحديث [3] « للمملوك طعامه وكسوته ولا يكلف ما لا يطيق » ، وكان[4] ﷺ يوصيهم عند خروجه من الدنيا ويقول : « الله الله في الصلاة وما ملكت ايمانكم ، أطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تكتسون ، ولا تكلفوهم من العمل ما لا يطيقون ، فان كلفتموهم فأعينوهم ولا تعذبوا خلق الله ، فانه ملككم اياهم ولو شاء لملكهم اياكم » .

ودخل جماعة على سلمان الفارسي رضي الله عنه وهو أمير على المدائن فوجدوه يعجن عجين أهله ، فقالوا له : ألا تترك الجارية تعجن ؟ فقال رضي الله عنه : انا

---

(١) رواه الحاكم وقال صحيح الاسناد ، وتعقبه المنذري بأن فيه الملك بن هرون متروك : ان عبدالله بن عمرو بن العاص زار عمة له فقذفت جاريتها الخ .. بنحو مما هنا .

(٢) من حديث ابي هريرة وكذا روايات ، وقال حديث حسن صحيح (ترغيب) .

(٣) رواه مسلم من حديث أبي هريرة - وزاد ابن حبان في صحيحه وقال « كلفتموهم فأعينوهم ولا تعذبوا عباد الله خلقاً أمثالكم » (الترغيب) .

(٤) روى الطبراني نحوه من حديث زيد بن حارثة وفي سنده عاصم ابن عبد الله مشاه بعضهم وصحح له الترمذي والحاكم ولا يضر في المتابعات (الترغيب) وله شاهد من حديث علي عند أبي داود ، وعن أم سلمة عند ابن ماجه بسند ضعيف ، ومن حديث كعب بن مالك عند الطبراني من طريق عبيدالله بن زحر عن علي بن يزيد وقد وثقاه ولا بأس بهما في المتابعات.

أرسلناها في عمل فكرهنا أن نجمع عليها عملاً آخر . وقال بعض السلف : لا تضرب المملوك في كل ذنب ولكن احفظ له ذلك ، فاذا عصى الله فاضربه على معصية الله وذكره الذنوب التي بينك وبينه .

(فصل) ومن أعظم الاساءة إلى المملوك والجارية التفريق بينه وبين ولده ، أو بينه وبين أخيه لما جاء عن[1] النبي ﷺ انه قال : من فرق بين والدة وولدها فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة . قال علي كرم الله وجهه : وهب لي رسول الله ﷺ غلامين أخوين فبعث أحدهما ، فقال رسول الله ﷺ : « رده رده » . ومن ذلك ان يجوّع المملوك والجارية والدابة . يقول[2] رسول الله ﷺ « كفى بالمرء اثماً ان يحبس عمن يملك قوته » ، ومن ذلك أن يضرب الدابة ضرباً وجيعاً أو يحبسها ولا يقوم بكفايتها ، أو يحملها فوق طاقتها فقد روي في تفسير قول الله تعالى : (وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم) الآية قيل : يؤتى بهم والناس وقوف يوم القيامة فيقضي بينهم ، حتى انه ليؤخذ للشاة الجلحاء من الشاة القرناء حتى يقاد للذرة من الذرة ، ثم يقال لهم : كونوا تراباً ، فهنالك يقول الكافر : يا ليتني كنت تراباً . وهذا من الدليل على القضاء بين البهائم وبينها وبين بني آدم ، حتى ان الانسان لو ضرب دابة بغير حق أو جوعها أو عطشها أو كلفها فوق طاقتها فانها تقتص منه يوم القيامة بقدر ما ظلمها أو جوعها والدليل على ذلك ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : «عذبت امرأة في هرة ربطتها حتى ماتت جوعاً لا هي أطعمتها وسقتها إذ حبستها ، ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض » أي من حشراتها .

وفي الصحيح[3] انه ﷺ رأى امرأة معلقة في النار والهرة تخدشها في وجهها

---

(١) رواه الترمذي من حديث ابي ايوب وقال حديث حسن غريب والدارقطني ، والحاكم وقال : صحيح الاسناد .

(٢) رواه مسلم من حديث عبدالله بن عمرو (ترغيب) .

(٣) رواه البخاري في صحيحه من حديث اسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما (ترغيب).

وصدرها وهي تعذبها كما عذبتها في الدنيا بالحبس والجوع ، وهذا عـام في سائر الحيوان ، وكذلك إذا حملها فوق طاقتها تقتص منه يوم القيامـة لما ثبت في الصحيحين ان رسول الله ﷺ قال : بينما رجل يسوق بقرة إذ ركبها فضربها ، فقالت : إنا لم نخلق لهذا انما خلقنا للحرث . فهذه بقرة أنطقها الله في الدنيـا تدافع عن نفسها بانها لا تؤذى ولا تستعمل في غير ما خلقت له ، فمن كلفها غير طاقتها أو ضربها بغير حق فيوم القيامة تقتص منه بقدر ضربه وتعذيبه .

قال أبو سليمان الداراني : ركبت مرة حماراً فضربته مرتين أو ثلاثاً ، فرفع رأسه ونظر إلي وقال يا أبا سليمان هو القصاص يوم القيامـة فان شئت فأقلل وان شئت فأكثر : قال : فقلت لا أضرب شيئاً بعده أبداً . ومر ابن عمر[١] بصبيان من قريش قد نصبوا طيراً وهم يرمونه وقـد جعلوا لصاحبه كل خاطئة من نبلهم ، فلمـا رأوا ابن عمر تفرقوا فقال من فعل هذا ؟ لعن الله من فعل هذا ان رسول الله ﷺ لعن من اتخذ شيئاً فيه الروح غرضاً . والغرض كالهدف وما يرمى اليه . ونهى رسول الله ﷺ ان تصبر البهائم يعني أن تحبس للقتل ، وان كان ممـا اذن الشرع بقتله كالحية والعقرب والفأرة والكلب العقور ، قتله بأول دفعـة ولا يعذبه لقوله عليه الصلاة والسلام[٢] « اذا قتلتم فاحسنوا القتلة وإذا ذبحتم فاحسنوا الذبحة ، وليحدّ أحدكم شفرته وليرح ذبيحته » .

وكذلك لا يحرقه بالنار لما ثبت في الحديث الصحيح[٣] ان رسول الله ﷺ

---

(١) رواه مسلم من حديث ابن عمر .

(٢) رواه مسلم والترمذي في جامعه من حديث شداد بن أوس وقال حديث حسن صحيح كذا في الأطراف للمزي ، وقال في المنتقى رواه احمد ومسلم والنسائي .

(٣) يعني صحيح البخاري من حديث أبي هريرة ، ويفيد كلام العسقلاني في الفتح أنـه في الترمذي وابي داود والرجلان المكني عنهما بفلان وفلان هما هبار بن الاسود ورفيقه نخسا بعير زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقت هجرتها من مكة بعـد غزوة بدر فسقطت عن راحلتها ومرضت والقصة مشهورة في ابن اسحق ، افاده العسقلاني في شرح الحديث من كتاب الجهاد من الفتح .

قال « اني كنت أمرتكم أن تحرقوا فلاناً وفلاناً بالنار »، وان النار لا يعذب بها الا الله فان وجدتموهما فاقتلوهما .

قال ابن مسعود : كنا مع رسول الله ﷺ في سفره فانطلق لحاجته فرأينا حمرة[1] معها فرخان فأخذنا فرخيها ، فجاءت الحمرة فجعلت ترفرف ، فجاء النبي ﷺ وقال : « من فجع هذه بولدها ؟ ردوا عليها ولديها » ، ورأى رسول الله ﷺ قرية نمل — أي مكان نمل — قد احرقناها فقال: من حرق هذه ؟ قلنا: نحن ، فقال عليه الصلاة والسلام : « انه لا ينبغي لأحد أن يعذب بالنار الا ربها ». وفيه من النهي عن القتل والتعذيب بالنار حتى في القملة والبرغوث وغيرهما.

(فصل) ويكره قتل الحيوان عبثاً لما روي[2] عن النبي ﷺ انه قال : « من قتل عصفوراً عبثاً عج إلى الله يوم القيامة ، وقال: يا رب سل هذا لِمَ قتلني عبثاً ولم يقتلني لمنفعة ؟ » .

ويكره صيد الطير أيام فراخه لما روي ذلك في الأثر ، ويكره ذبح الحيوان بين يدى أمه لما روي عن ابراهيم بن أدهم رحمه الله ، قال : ذبح رجل عجلاً بين يدي أمه فأيبس الله يده .

(فصل) في فضل عتق المملوك . عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال « من أعتق رقبة مؤمنة أعتق الله بكل عضو من أعضائه عضواً من أعضائه من النار حتى يعتق فرجه بفرجه » أخرجه البخاري .

وعن أبي امامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ : « أيما امرىء مسلم اعتق امرأ مسلماً كان فكاكاً له من النار يجزى كل عضو منه عضواً منه ، وأيما امرىء مسلم أعتق امرأتين مسلمتين كانتا فكاكه من النار يجزى كل عضوين منهما عضواً منه ، وأيما امرأة مسلمة أعتقت امرأة مسلمة الا كانت فكاكها من النار يجزى كل عضو منها » رواه الترمذي وصححه .

اللهم اجعلنا من حزبك المفلحين وعبادك الصالحين .

---

(١) رواه ابو داود في سننه من حديث عبد الله أي ابن مسعود ، والحمرة: طائر صغير كالعصفور .
(٢) رواه النسائي وابن حبان في صحيحه من حديث الشريد رضى الله عنه .

الكبيرة الثانية والخمسون : اذى الجار

ثبت في الصحيحين[1] ان رسول الله ﷺ قال : « والله لا يؤمن والله لا يؤمن قيل من يا رسول الله ؟ قال من لا يأمن جاره بوائقه » . أي غوائله وشروره ، وفي رواية[2] : « لا يدخل الجنة من لا يؤمن جاره بوائقه » . وسئل[3] رسول الله ﷺ عن أعظم الذنب عند الله فذكر ثلاث خلال : « ان تجعل لله نداً وهو خلقك ، وان تقتل ولدك خشية أن يطعم معك ، وان تزني بحليلة جارك » . وفي الحديث :[4] « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره » . والجيران ثلاثة : جار مسلم قريب له حق الجوار وحق الاسلام وحق القرابة ، وجار مسلم له حق الجوار وحق الاسلام . والجار الكافر له حق الجوار .

وكان ابن عمر[5] رضي الله عنهما له جار يهودي ، فكان إذا ذبح الشاة يقول : احملوا إلى جارنا اليهودي منها . وروي[6] ان الجار الفقير يتعلق بالجار الغني يوم القيامة ، ويقول : يا رب سل هذا لِمَ منعني معروفه واغلق عني بابه .

وينبغي للجار أن يحمل اذى الجار ، فهو من جملة الاحسان اليه . جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال : يا رسول دلني على عمل إذا قمت به دخلت الجنة . فقال :

---

(١) من حديث ابي هريرة وكذا احمد وزاد قالوا يا رسول الله وما بوائقه ؟ قال « شره » (ترغيب)

(٢) هي لمسلم من رواية ابي هريرة .

(٣) رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي كلهم من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه . والحليلة بفتح الحاء المهملة هي الزوجة (ترغيب).

(٤) رواه البخاري ومسلم من حديث ابي هريرة وبقيته في أكرام الضيف والسكوت إلا عن خير .

(٥) رواه ابو داود والترمذي وقال حسن صحيح ، وقال في آخره : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت ان سيورثه » . قال (المنذري) وقد روى هذا المتن – يعني المرفوع – من طرق كثيرة وعن جماعة كثيرة من الصحابة (ترغيب)

(٦) رواه الاصبهاني في (الترغيب والترهيب) من حديث ابن عمر وأشار المنذري إلى ضعفه

كن محسناً » ، فقال : يا رسول الله كيف أعلم اني محسن ؟ قال : « سل جيرانك فان قالوا انك محسن فأنت محسن ، وان قالوا انك مسيء فأنت مسيء » ذكره البيهقي من رواية أبي هريرة ، وجاء[1] عن النبي ﷺ انه قال : « من أغلق بابه عن جاره مخافة على أهله وماله فليس بمؤمن ، وليس بمؤمن من لا يأمن جاره بوائقه » . وقيل : [2] لأن يزني الرجل بعشر نسوة أيسر من أن يزني بامرأة جاره ، ولأن يسرق الرجل من عشرة أبيات أيسر من أن يسرق من بيت جاره . وفي سنن ابي داود من رواية ابي هريرة رضي الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ يشكوه جاره فقال له « اذهب فاصبر » ، فأتاه مرتين أو ثلاثاً ثم « قال اذهب فاطرح متاعك على الطريق » ففعل ، فجعل الناس يمرون بـه ، ويسألونه عن حاله فيخبرهم خبره مع جاره ، فجعلوا يلعنون جاره ويقولون : فعل الله بـه وفعل ويدعون عليه ، فجاء اليه جاره وقال : يا أخي ارجع إلى منزلك فانك لن ترى ما تكره ابداً .

وأن يحتمل أذى جاره وان كان ذمياً ، فقد روي عن سهل بن عبد الله التستري رحمه الله انه كان له جار ذمي ، وكان قد انبثق من كنيفه إلى بيت في دار سهل بثق ، فكان سهل يضع كل يوم الجفنة تحت ذلك البثق فيجتمع ما يسقط

(١) رواه الخرائطي في مكارم الاخلاق من حديث عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عبد الله بن عمرو بن العاص وبقيته : « اتدري ما حق الجار ؟ اذا استعانك أعنته ، واذا استقرضك اقرضته ، واذا افتقر عدت عليه ، واذا مرض عدته ، واذا أصابه خير هنأته ، واذا أصابتـه مصيبة عزيته ، واذا مات اتبعت جنازته ، ولا تستطل عليه بالبنيان فتحجب عنه الريـح إلا باذنه ، ولا تؤذه بقتار ريح قدرك إلا أن تغرف له منها ، وان اشتريت فاكهة فاهد له ، فان لم تفعل فأدخلها سراً ، ولا يخرج بها ولدك ليغظ بها ولده » قال (المنذري) : ولعل قوله « اتدري ما حق الجار الخ » من كلام الراوي غير مرفوع ، والحديث على كل اشار المنذري إلى ضعفه بقوله في أوله وروى وهي احدى علامات الضعف عنده وسكت عليه في آخره وهي العلامة الثانية للضعف الشامل للوضع .

(٢) رواه أحمد ورواتـه ثقات والطبراني في الكبير والاوسط مـن حديث المقداد بن الاسود (ترغيب) .

فيه من كنيف المجوسي ويطرحه بالليل حيث لا يراه أحد فمكث رحمه الله على هذه الحال زماناً طويلاً الى أن حضرت سهلا الوفاة ، فاستدعى جاره المجوسي وقال له : ادخل ذلك البيت وأنظر ما فيه ، فدخل فرأى ذلك البثق والقذر يسقط منه في الجفنة ، فقال ما هذا الذي أرى ؟ قال سهل : هذا منذ زمان طويل يسقط من دارك إلى هذا البيت وأنا أتلقاه بالنهار وألقيه بالليل ، ولولا أنه حضرني أجلي ، وأنا أخاف أن لا تتسع اخلاق غيري لذلك والا لم أخبرك فافعل ما ترى ، فقال المجوسي : أيها الشيخ أنت تعاملني بهذه المعاملة منذ زمان طويل وأنا مقيم على كفري؟مد يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، ثم مات سهل رحمه الله .

فنسأل الله ان يهدينا وإياكم لأحسن الأخلاق والأعمال والأقوال ، وأن يحسن عاقبتنا انه جواد كريم رؤوف رحيم .

الكبيرة الثالثة والخمسون : أذى المسلمين وشتمهم

قال الله تعالى: (والَّذينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمنينَ والْمُؤْمنَات بغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احتَملُوا بُهتَاناً وإثْماً مُبيناً) وقال تعالى (يَا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ من قَوْمٍ عَسَى أنْ يَكُونُوا خَيْراً منْهُم ولاَ نِساءٌ من نساءٍ عسَى أنْ يَكُنَّ خَيْراً منْهُنَّ ولاَ تَلْمزُوا أنفُسَكُم ولا تَنَابَزُوا بالألْقاب بئْسَ الاسْمُ الفُسوقُ بَعدَ الإيمان ومَنْ لَمْ يَتُبْ فأولَئِكَ هُم الظالمونَ) وقال تعالى (ولا تَجَسَّسُوا ولاَ يَغْتَبْ بَعْضُكم بَعْضاً) .

وقال ﷺ :[١] « ان من شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة من ودعه الناس أو تركه الناس اتقاء فحشه » . وقال ﷺ : « عباد الله ان الله وضع الحرج الا من افترض بعرض أخيه فذلك الذي حرج أو هلك » .

وفي الحديث « كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه[٢] » وقال عليه الصلاة والسلام[٣] « المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يحقره ، بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم » وفيه[٤] أيضاً « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر » .

وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال : قيل يا رسول الله ان فلانة تصلي الليل وتصوم النهار وتؤذي جيرانها بلسانها فقال : « لا خير فيها هي في النار » صححه الحاكم[٥] . وفي الحديث[٦] أيضاً : « اذكروا محاسن موتاكم وكفوا عن مساوئهم » وقال [٧] رسول الله ﷺ « من دعا رجلاً بالكفر أو قال يا عدو الله وليس كذلك إلا حار عليه » . وقال [٨] عليه الصلاة والسلام : « مررت ليلة أسرى بي بقوم لهم أظفار من النحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم ، فقلت : من هؤلاء يا جبريل ؟ فقال : « هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم » .

(فصل) في الترهيب من الافساد والتحريش بين المؤمنين وبين البهائم والدواب : صح عن النبي ﷺ انه قال : « ان الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون

---

(١) متفق عليه من حديث عائشة ولفظه للبخاري في كتاب الادب من صحيحه .
(٢) رواه مسلم والترمذي من حديث لابي هريرة (ترغيب) .
(٣) رواه مسلم وغيره عن ابي هريرة (ترغيب) .
(٤) متفق عليه من حديث ابن مسعود قاله العراقي في تخريج الاحياء .
(٥) وابن حبان وأحمد والبزار .
(٦) صححه الحاكم قاله المصنف في رسالته الصغرى .
(٧) رواه البخاري ومسلم من حديث لابي ذر ومعنى « حار » رجع (ترغيب) .
(٨) رواه ابو داود من حديث أنس ، وذكر أن بعضهم رواه مرسلا (ترغيب) وقال العراقي والمسند أصح .

في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم » ، فكل من حرش بين اثنين من بني آدم ونقل بينهما ما يؤذي أحدهما فهو نمام من حزب الشيطان من أشر الناس ، كما قال [١] النبي ﷺ « ألا أخبركم بشراركم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : « شراركم المشاءون بالنميمة ، المفسدون بين الأحبة ، الباغون للبرءاء العنت » والعنت المشقة . وصح [٢] عن رسول الله ﷺ انه قال : « لا يدخل الجنة نمام » ، والنمام هو الذي ينقل الحديث بين الناس وبين اثنين بما يؤذي أحدهما أو يوحش قلبه على صاحبه او صديقه بأن يقول له : قال عنك فلان كذا وكذا وفعل كذا وكذا ، إلا ان يكون في ذلك مصلحة او فائدة ، كتحذيره من شر يحدث أو يترتب . واما التحريش بين البهائم والدواب والطير وغيرهما ، فحرام كمناقرة الديوك ونطاح الكباش وتحريش الكلاب بعضها علي بعض وما اشبه ذلك ، وقد نهى رسول الله ﷺ عن ذلك فمن فعل ذلك فهو عاص لله ورسوله. ومن ذلك إفساد قلب المرأة على زوجها ، والعبد على سيده . لما روى [٣] ان رسول الله ﷺ قال : « ملعون من خبب امرأة على زوجها أو عبداً على سيده » نعوذ بالله من ذلك .

(**فصل**) في الترغيب في الاصلاح بين الناس ، قال الله تعالى : (لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف أو اصلاح بين الناس. ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجراً عظيماً) . قال مجاهد : هذه الآية عامة بين الناس ، يريد أنه لا خير فيما يتناجى فيه الناس ويخوضون فيه من الحديث إلا ما كان من أعمال الخير ، وهو قوله (إلا من أمر بصدقة) ثم حذف المضاف (او معروف) ، قال ابن عباس : بصلة الرحم وبطاعة الله ، ويقال لأعمال البر كلها معروف لان العقول تعرفها . قوله تعالى : (او إصلاح بين الناس)

---

(١) رواه احمد من حديث عبد الرحمن بن غنم وفي سنده شهر بن حوشب فيه كلام معروف وبقية رجاله محتج بهم في الصحيح (ترغيب) .

(٢) متفق عليه من حديث حذيفة (عراقي) .

(٣) رواه أبو داود بلفظ « ليس منا من خبب » الخ من حديث أبي هريرة ، والنسائي وابن حبان وله شاهد من حديث بريدة عند أحمد والبزار ، ابن حبان ومن حديث جابر عند مسلم ، ومعنى خبب : خدع وأفسد (ترغيب) .

هذا مما حث عليه رسول الله ﷺ فقال لأبي أيوب الانصاري [1] ألا أدلك على صدقة هي خير لك من حمر النعم قال : بلى يا رسول الله . قال : تصلح بين الناس اذا تفاسدوا وتقرب بينهم اذا تباعدوا » وروت أم حبيبة [2] رضي الله عنها ان النبي ﷺ قال : « كلام ابن آدم كله عليه لا له إلا ما كان من أمر بمعروف أو نهي عن منكر أو ذكر لله » .

وروي ان رجلاً قال لسفيان : ما أشد هذا الحديث، قال سفيان : ألم تسمع الى قول الله تعالى: (لا خير في كثير من نجواهم إلا من أمر بصدقة أو معروف) الآية . فهذا هو بعينه .

ثم علم سبحانه ان ذلك انما ينفع من ابتغى به ما عند الله قال الله تعالى : (ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه اجراً عظيما) أي ثواباً لا حد له .

وفي الحديث « ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فينمي خيراً أو يقول خيراً » رواه البخاري . وقالت أم كلثوم[3] . ولم أسمعه ﷺ يرخص في شيء مما يقول الناس الا في ثلاثة أشياء : في الحرب والاصلاح بين الناس وحديث الرجل زوجته وحديث المرأة زوجها . وعن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ بلغه أن بني عمرو بن عوف كان بينهم شر ، فخرج رسول الله ﷺ يصلح بينهم في اناس معه من أصحابه رواه البخاري .

وعن ابي هريرة[4] رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : « ما عمل شيء أفضل من مشي إلى الصلاة أو اصلاح ذات البين وحلف جائز بين المسلمين »

---

(١) رواه البزار والطبراني من حديث أنس ، وأشار (الترغيب) إلى ضعفه اذ صدره بلفظ روى وسكت عليه في آخره وذلك علامة الضعف عنده .

(٢) رواه ابن ماجه وابن ابي الدنيا والترمذي وقال غريب لا يعرف إلا من حديث محمد ابن يزيد بن حنيش . قال المنذري : ورواته ثقات وفي محمد بن يزيد كلام قريب وهو لا يقدح وهو شيخ صالح (ترغيب) .

(٣) رواه مسلم من حديثها (العراقي) .

(٤) رواه الاصبهاني وأشار المنذري إلى ضعفه .

وقال[1] رسول الله ﷺ : «من أصلح بين اثنين أصلح الله أمره وأعطاه بكل كلمة تكلم بها عتق رقبة ورجع مغفوراً له ما تقدم من ذنبه » . وبالله التوفيق .

اللهم عاملنا بلطفك وتداركنا بعفوك يا ارحم الراحمين .

الكبيرة الرابعة والخمسون
اذية عباد الله والتطول عليهم

قال الله تعالى : (والَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدْ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وإِثْماً مُبِيناً) وقال الله تعالى (وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ من الْمُؤْمِنِينَ).

وعن ابي هريرة[2] رضي الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : ان الله تعالى قال : « من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب » ، وفي رواية : فقد بارزني بالمحاربة أي أعلمته أني محارب له . وفي الحديث ان أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر فقالوا : ما أخذت سيوف الله من عدو الله مأخذها ، فقال ابو بكر رضي الله عنه : أتقولون هذا لشيخ قريش وسيدهم ؟ فأتى النبي ﷺ فأخبره ، فقال : يا أبا بكر لعلك أغضبتهم ، لقد أغضبت ربك . فأتاهم أبوبكر رضي الله عنه فقال : يا أخوتاه أغضبتكم ؟ قالوا : لا ، يغفر الله لك يا أخي . وقولهم مأخذها : أي لم تستوف حقها منه .

(**فصل**) في قوله تعالى :

(وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ والْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ) .

---

(١) رواه الاصبهاني من حديث أنس وهو حديث غريب جداً (المنذري) .

(٢) رواه البخاري وفي سنده خالد بن مخلد القطواني .

الآيات . وهذه الآيات في تفضيل الفقراء ، وسبب نزولها ان النبي ﷺ أول من آمن به الفقراء ، وكذلك كل نبي أرسل أول من آمن به الفقراء ، فكان رسول الله ﷺ يجلس مع فقراء أصحابه مثل سلمان وصهيب وبلال وعمار بن ياسر رضي الله عنهم ، فأراد المشركون أن يحتالوا عليه في طرد الفقراء لما سمعوا ان علامة الرسل أن يكون أول أتباعهم الفقراء ، فجاء بعض رؤساء المشركين فقالوا : يا محمد اطرد الفقراء عنك ، فان نفوسنا تأنف أن تجالسهم ، فلو طردتهم عنك لآمن بك أشرف الناس ورؤساؤهم فأنزل الله تعالى :

(وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ) .

فلما أيس المشركون من طردهم قالوا : يا محمد إن لم تطردهم فاجعل لنا يوماً ولهم يوماً فأنزل الله تعالى :

(وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) .

أي لا تتعداهم ولا تتجاوز بنظرك رغبة عنهم وطلباً لصحبة ابناء الدنيا .

(وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ) .

ثم ضرب لهم مثل الغني والفقير بقوله (واضرب لهم مثلاً رجلين) (واضرب لهم مثل الحياة الدنيا) فكان رسول الله ﷺ يعظم الفقراء ويكرمهم .

ولما هاجر رسول الله ﷺ الى المدينة هاجروا معه فكانوا في صفة المسجد مقيمين متبتلين فسموا أصحاب الصفة ، فكان ينتمي اليهم من يهاجر من فقراء

حتى كثروا رضي الله عنهم . هؤلاء شاهدوا مـا أعد الله لأوليائه من الاحسان وعاينوه بنور الايمان فلم يعلقوا قلوبهم بشيء من الأكوان بل قالوا : إياك نعبد ولك نخضع ونسجد وبك نهتدي ونسترشد ، وعليك نتوكل ونعتمد وبذكرك نتنعم ونفرح ، وفي ميدان ودك نرتع ونسرح ولـك نعمل ونكدح وعن بابك أبداً لا نبرح ، فحينئذ عمر لهم سبيله وخاطب فيهم رسوله فقال : (ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة) الآية ، أي : ولا تطرد قوماً أمسوا على ذكر ربهم يتقلبون ، وإن أصبحوا فلبابه ينقلبون . لا تطرد قومـاً المساجد مأواهم والله مطلوبهم ومولاهم ، والجوع طعامهم والسهر إذا نام الناس أدامهم ، والفقر والفاقة شعارهم ، والمسكنة والحيـاء دثارهم . ربطوا خيل عزمهم على باب مولاهم ، وبسطوا وجوههم في محاريب نجواهم ، فالفقر عام وخاص ، فالعام الحاجة الى الله تعالى وهذا وصف كل مخلوق مؤمن وكافر ، وهو معنى قوله تعالى (يا أيهـا الناس أنتم الفقراء الى الله) الآية ، والخاص وصف أولياء الله وأحبائه خلو اليدين من الدنيا وخلو القلب من التعلق بها ، اشتغالاً بالله عز وجل وشوقاً اليه ، وأنساً بالفراغ والخلوة مع الله عز وجل .

اللهم أذقنا حلاوة مناجاتك ، وأن تسلك بنا طريق مرضاتك ، واقطع عنا كل ما يبعدنا من حضرتك ، ويسر لنا ما يسرته لأهل محبتك ، واغفر لنـا ولوالدينا وللمسلمين . .

الكبيرة الخامسة والخمسون : اسبال الازار والثوب واللباس والسراويل تعززاً وعجباً وفخراً وخيلاء

قال الله تعالى :

(ولا تمش في الأرض مرحاً إنّ الله لا يحبّ كلّ مختال فخور) .

وقال[١] النبي ﷺ : « ما أسفل من الكعبين من الأزار فهو في النـــار » وقال[٢] عليه الصلاة والسلام « لا ينظر الله إلى من جر ازاره بطراً ». وقال[٣] عليه الصلاة والسلام : « ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة ولا ينظر اليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : المسبل والمنان والمنفق سلعته بالحلف الكاذب » .

وفي الحديث أيضاً : « بينما رجل يمشي في حلة تعجبه نفسه مرجل رأسه يختال في مشيه إذ خسف به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة » .

وقال عليه الصلاة والسلام[٤] « من جر ثوبـــه خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة » ، وقال[٥] ﷺ : « الاسبال في الازار والعمامة من جر شيئاً منها خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة » .

وقال عليه[٦] الصلاة والسلام : « ازرة المؤمن إلى نصف ساقيـه ولا حرج عليه فيما بينه وبين الكعبين ، ما كان أسفل من الكعبين فهو في النار » .

وهذا عام في السراويل والثوب والجبة والقباء والفرجية وغيرها من اللباس. فنسأل الله العافية ، وعن[٧] ابي هريرة رضي الله عنه قال : « بينما رجل يصلي مسبلاً ازاره قال له رسول الله : اذهب فتوضأ ، ثم جاء فقال اذهب فتوضأ فقال

---

(١) رواه البخاري من حديث ابي هريرة (الترغيب) .

(٢) رواه مالك والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه من حديث ابن عمر بلفظ: « لا ينظر الله يوم القيامة إلى من جر ثوبه خيلاء » وله شاهد في حديث ابي سعيد الخدري عند مالك والنسائي وأبي داود وابن ماجة وابن حبان ومن حديث أبي هريرة عند مالك والبخاري ومسلم وابن ماجه (الترغيب) .

(٣) رواه مسلم وابو داود والترمذي والنسائي من حديث ابي ذر الغفاري رضي الله عنه ، والمسبل : يطول ثوبه يرسله إلى الارض كأنه يفعله تجبراً وخيلاء (ترغيب) .

(٤) تقدم أنه رواه مالك والبخاري ومسلم والنسائي وابن ماجه من حديث ابن عمر .

(٥) رواه ابو داود والنسائي وابن ماجه من حديث ابن عمر وفي سنده عبـــد العزيز بن أبي داود والجمهور على توثيقه (ترغيب) .

(٦) رواه النسائي من حديث أبي هريرة وشاهده من حديث أنس عند أحمد ورواته رواة الصحيح (الترغيب) .

(٧) رواه ابو داود وفي سنده أبو جعفر المدني قال المنذري: ان كان محمد بن الحسن فروايته عن أبي هريرة مرسلة وان كان غيره فلا أعرفه (ترغيب) .

له رجل يا رسول الله مالك أمرته أن يتوضأ ؟ ثم سكت عنه فقال : انه كان يصلي وهو مسبل ازاره ، ولا يقبل الله صلاة رجل مسبلاً ازاره ».

ولما قال ﷺ[1] : « من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله اليه يوم القيامة » ، فقال ابو بكر رضي الله عنه : يا رسول الله ان ازاري يسترخي الا أن أتعاهده ، فقال له رسول الله ﷺ : انك لست ممن يفعله خيلاء .

اللهم عاملنا بلطفك الحسن الجميل برحمتك يا أرحم الراحمين .

الكبيرة السادسة والخمسون
لبس الحرير والذهب للرجال

في الصحيحين[2] ان رسول الله ﷺ قال: « من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة » وهذا عام في الجند وغيرهم لقوله ﷺ[3] : حرم لبس الحرير والذهب على ذكور أمتي ».

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال : نهانا رسول الله ﷺ أن نشرب في آنية الذهب والفضة وأن نأكل فيها ، وعن لبس الحرير والديباج وان نجلس عليها ، أخرجه البخاري .

فمن استحل لبس الحرير من الرجال فهو كافر ، وانما رخص فيه الشارع ﷺ لمن به حكة أو جرب أو غيره ، وللمقاتلين عند لقاء العدو . وأما لبس الحرير للزينة في حق الرجال فحرام باجماع المسلمين ؛ سواء كان قباء أو قبطياً أو كلوثة وكذلك إذا كان الأكثر حريراً كان حراماً ، وكذلك الذهب لبسه حرام على الرجال ، سواء كان خاتماً أو حياصة أو سقط سيف حرام لبسه وعمله . وقد

---

(١) رواه البخاري ومسلم وابو داود والنسائي (المنذري) .
(٢) وكذا الترمذي والنسائي كلهم من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه (ترغيب) .
(٣) ابو داود والنسائي من حديث علي رضي الله عنه بنحوه .

رأى النبي ﷺ[1] في يد رجل خاتماً من ذهب فنزعه وقال : « يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعلها في يده » ، وكذلك طراز الذهب وكلوثة الزركش حرام على الرجال . واختلف العلماء في جواز الباس الصبي الحرير والذهب فرخص فيه قوم ومنع آخرون لعموم قوله ﷺ[2] عن الحرير والذهب : « هذان حرام على ذكور أمتي حل لاناثهم » ، فدخل الصبي في النهي ، وهذا مذهب الامام أحمد وآخرين رحمهم الله .

فنسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى انه جواد كريم .

الكبيرة السابعة والخمسون : اباق العبد

روى مسلم في صحيحه[3] أن رسول الله ﷺ قال : « إذا أبق العبد لم تقبل له صلاة » وقال ﷺ[4] : « أيما عبد أبق فقد برئت منه الذمة » وروى[5] ابن خزيمة في صحيحه من حديث جابر قال ، قال رسول الله ﷺ : « ثلاثة لا يقبل الله لهم صلاة ولا يصعد لهم إلى السماء حسنة : العبد الآبق حتى يرجع إلى مولاه ، والمرأة الساخط عليها زوجها حتى يرضى ، والسكران حتى يصحو » . وعن[6] فضالة بن عبيد مرفوعاً : ثلاثة لا يسأل عنهم : رجل فارق الجماعة وعصى امامه وعبد آبق ومات عاصياً ، وامرأة غاب عنها زوجها وقد كفاها المؤونة فتبرجت بعده — أي أظهرت محاسنها كما يفعل أهل الجاهلية وهم ما بين عيسى ومحمد ﷺ. كذا ذكره الواحدي رحمه الله .

---

(١) رواه مسلم من حديث ابن عباس .

(٢) تقدم أن حديث علي عند أبي داود والنسائي .

(٣) من حديث جرير رضي الله عنه (الترغيب) .

(٤) رواه مسلم من حديث جرير أيضاً .

(٥) بسند فيه زهير بن محمد فيه كلام هين ورواه الطبراني في الأوسط رواية من عبد الله ابن محمد بن عقيل (المنذري) .

(٦) رواه ابن حبان في صحيحه بلفظ « فخانته بعده » بدل « تبرجت » وكذا الطبراني والحاكم ولفظ الحاكم « تبرجت » بدل « خانت » وعنده « وأمة أو آبق من سيده » (ترغيب) .

مثل من يقول : بسم الشيطان أو الصنم أو باسم الشيخ فلان . قال الله تعالى (ولا تأكلوا مِمَّا لَمْ يُذْكَر إسْمُ الله عَليْه).

قال ابن عباس : يريد الميتة والمنخنقة إلى قوله : (ومـا ذبح على النصب) وقال الكلبي : ما لم يذكر اسم الله عليه أو يذبح لغير الله تعالى . وقال عطاء : ينهي عن ذبائح كانت تذبحها قريش والعرب على الأوثان وقوله : (انه لفسق) يعني : وان كل ما لم يذكر اسم الله عليه من الميتة فسق أو خروج عن الحـــق والدين (وان الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم) أي يوسوس الشيطان لوليه فيلقي في قلبه الجدال بالباطل ، وهو أن المشركين جادلوا المؤمنين في الميتة قال ابن عباس : أوحى الشيطان إلى أوليـائه من الأنس كيف تعبدون شيئاً لا تأكلون ما يقتل وأنتم تأكلون ما قتلتم ؟ فأنزل الله هذه الآية (وان اطعتموهم) يعني في استحلال الميتة (انكم لمشركون) ، قال الزجاج : وفي هذا دليل على أن كل من أحل شيئاً مما حرم الله أو حرم شيئاً مما أحل الله فهو مشترك .

فان قيل : كيف أبحتم ذبيحة المسلم إذا ترك التسمية والآية كالنص في التحريم؟ قلت : ان المفسرين فسروا ما لم يذكر اسم الله عليه في هذه الآية بالميتة ولم يحمله أحد على ذبيحة المسلم إذا ترك التسمية وفي الآية أشياء تدل أن الآية في تحريم الميتة ومنها قوله (وانه لفسق) ولا يفسق آكل ذبيحة المسلم التارك للتسمية .

ومنها قوله (وان الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم) والمناظرة انما كانت في الميتة باجماع من المفسرين لا في ذبيحة تارك التسمية من المسلمين ، ومنها قوله (وان أطعتموهم انكم لمشركون) والشرك في استحلال الميتة لا في استحلال الذبيحة التي لم يذكر اسمُ الله عليها .

وقد أخبرنا أبو منصور باسناده عن أبي هريرة[1] رضي الله عنه قال : سأل

(١) رواه الطبراني في الأوسط وفيه مروان بن سالم الغفاري وهو متروك (مجمع الزوائد).

رجل رسول الله ﷺ فقال: أرأيت الرجل منا يذبح وينسى أن يسمي الله تعالى؟ فقال النبي ﷺ « اسم الله على فم كل مسلم » .

وأخبرنا أبو منصور أيضاً باسناده عن[1] ابن عباس ان النبي ﷺ قال : « يكفيه اسمه وان نسي يسمي حين يذبح فليسم ويذكر الله ثم ليأكل » .

واخبرنا عمرو بن أبي عمرو باسناده عن عائشة[2] رضي الله عنها أن قوماً قالوا : يا رسول الله ان قوماً يأتونا باللحم لا ندري أذكر اسم الله عليه أم لا ؟ فقال رسول الله ﷺ : « سموا عليه وكلوا » ، هذا آخر كلام الواحدي رحمه الله وقد تقدم قوله ﷺ : « لعن الله من ذبح لغير الله » .

الكبيرة التاسعة والخمسون
فيمن ادعى إلى غير ابيه وهو يعلم

عن سعد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ « من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم انه غير ابيه فالجنة عليه حرام » رواه البخاري .

وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « لا ترغبوا عن آبائكم فمن رغب عن أبيه فهو كافر » رواه البخاري .

وفيه أيضاً « من ادعى إلى غير ابيه فعليه لعنة الله » . وعن زيد بن شريك[3] قال : رأيت علياً رضي الله عنه يخطب على المنبر فسمعته يقول : والله ما عندنا من كتاب نقرؤه الا كتاب الله تعالى وما في هذه الصحيفة فنشرها ، فاذا فيها أسنان الابل وشيء من الجراحات ، وفيها : قال رسول الله ﷺ « المدينة حرام

---

(١) رواه الدرقطني وفيه راو سيء الحفظ وهو محمد بن سنان صدوق ضعيف الحفظ ورواه عبد الرزاق بسند صحيح إلى بن عباس موقوفاً عليه من كلام (بلوغ المرام وشرحه سبل السلام).

(٢) رواه مالك والبخاري .

(٣) صوابه يزيد وهو والد ابراهيم التيمي .

ما بين عير إلى ثور ، فمن أحدث فيهـــا حدثاً ، أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله يوم القيـامة منه صرفاً ولا عدلاً ، ومن تولى غير مواليه فعليه مثل ذلك ، وذمة المسلمين واحدة » رواه البخاري . وعن أبي ذر انه سمع النبي ﷺ يقول: « ليس منا رجلا ادعى إلى غير أبيه وهو يعلمه الا كفر ، ومن ادعى ما ليس له فليس منا وليتبوأ مقعده من النار ، ومن دعـا رجلاً بالكفر أو قال يا عدو الله وليس كذلك الا حار عليه » أي رجع عليه ، وروراه مسلم. فنسأل الله العفو والعافية والتوفيق لما يحب ويرضى انه جواد كريم.

الكبيرة الستون : الجدل والمراء واللدد

قال الله تعالى : (ومِنَ النَّاسِ مَنْ يُعجِبُكَ قولُه في الْحيَاةِ الدُّنيا ويُشْهِدُ اللهَ على مَا في قَلْبِه وهُوَ ألدُّ الخصَام وإذا تَوَلَّى سَعَى في الأرْضِ لِيُفسدَ فيهَا ويُهلِكَ الْحَرثَ والنَّسْلْ والله لاَ يُحبُّ الفَسادَ) .

ومما يذم من الألفاظ : المراء ، والجدال ، والخصومة .

قال الامام « حجـــة الاسلام » الغزالي رحمه الله : « المراء طعنك في كلام لاظهار خلل فيه لغير غرض سوى تحقير قائله وأظهار مزيتك عليه . وقال : وأما الجدال فعبارة عن أمر يتعلق باظهار المذاهب وتقريرها . قال : وأمـا الخصومة فلجاج في الكلام ليستوفي بـه مقصوداً من مال أو غيره وتارة يكون ابتداء وتارة يكون اعتراضاً والمراء لا يكون إلا اعتراضاً . هذا كلام الغزالي .

وقال النووي رحمه الله : اعلم ان الجدال قد يكون بحق وقد يكون بباطل، قال الله تعالى (ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن) ، وقال تعـالى : (وجادلهم بالتي هي أحسن) ، وقال الله تعالى (ما يجادل في آيات الله الا الذين

كفروا) ، قال : فان كان الجدال للوقوف على الحق وتقريره كان محموداً ، وان كان في مدافعة الحق أو كان جدالاً بغير علم كان مذموماً ، وعلى هذا التفصيل تنزل النصوص الواردة في اباحته وذمه . والمجادلة والجدال بمعنى واحد . قال بعضهم : ما رأيت شيئاً اذهب للدين ولا أنقص للمروءة ولا أشغل للقلب من الخصومة .

(فان قلت) لا بد للانسان من الخصومة لاستيفاء حقوقه ، (فالجواب) ما أجاب به الغزالي رحمه الله : اعلم أن الذم المتأكد انما هو لمن خاصم بالباطل وبغير علم كوكيل القاضي فانه يتوكل في الخصومة قبل أن يعرف الحق في أي جانب هو فيخاصم بغير علم .

ويدخل في الذم أيضاً من يطلب حقه لأنه لا يقتصر على قدر الحاجة بل يظهر اللدد والكذب والايذاء والتسليط على خصمه ، كذلك من خلط بالخصومة كلمات تؤذي وليس له اليها حاجة في تحصيل حقه ، كذلك من يحمله على الخصومة محض العناد لقهر الخصم وكسره فهذا هو المذموم .

وأما المظلوم الذي ينصر حجته بطريق الشرع من غير لدد وأسراف وزيادة لجاج على الحاجة من غير قصد عناد ولا ايذاء ، ففعل هذا ليس حراماً ولكن الأولى تركه ما وجد اليه سبيلا ، لأن ضبط اللسان في الخصومة على حد الاعتدال متعذر ، والخصومة توغر الصدور وتهيج الغضب ، وإذا هاج الغضب حصل الحقد بينهما حتى يفرح كل واحد منهما بمساءة الآخر ويحزن لمسرته ويطلق لسانه في عرضه . فمن خاصم فقد تعرض لهذه الآفات ، وأقل ما فيها اشتغال القلب حتى انه يكون في صلاته ، وخاطره متعلق بالمحاججة والخصومة فلا تبقى حاله على الاستقامة والخصومة مبدأ الشر وكذا الجدال والمراء فينبغي للانسان ألا يفتح عليه باب الخصومة الا لضرورة لا بد منها .

روينا في كتاب للترمذي [1] عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال

(١) وقال حديث غريب (ترغيب) .

رسول الله ﷺ : « كفى بك اثماً ان لا تزال مخاصماً »

وجاء عن علي رضي الله عنه قال : ان الخصومة لها قحم . قلت القحم بضم القاف وفتح الحاء المهملة وهي: المهالك.

(فصل) عن أبي هريرة[١] رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط حتى ينزع » .

وعن أبي أمامة[٢] رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه الا أوتوا الجدال ثم تلا (ما ضربوه لك إلا جدلاً) الآية .

وقال ﷺ :[٣] « أخوف ما أخاف عليكم زلة عالم وجدال منافق في القرآن ودنيا تقطع أعناقكم » رواه ابن عمر .

وقال النبي[٤] ﷺ : « المراء في القرآن كفر » .

(فصل) : يكره التغيير في الكلام بالتشدق ، وتكلف السجع الفصاحة بالمقدمات التي يعتادها المتفاصحون ، فكل ذلك من التكلف المذموم ، بل ينبغي أن يقصد في مخاطبته لفظاً يفهمه جلياً ولا يثقله .

روينا في كتاب الترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : ان الله يبغض البليغ من الرجال الذي يتخلل بلسانه كما تتخلل البقرة » . قال الترمذي : حديث حسن وروينا فيه أيضاً عن جابر رضي

---

(١) رواه ابن ابي الدنيا والاصبهاني في (الترغيب) وفيه وجاء أبو يحيى ضعفه الجمهور (العراقي) .

(٢) رواه يزيد بن الترمذي من حديث أبي أمامة وصححه (العراقي) وجعله في الترغيب من سند أبي هريرة وعزاه الترمذي إلى ابن ابي الدنيا في الصمت .

(٣) رواه يزيد بن أبي زياد عن مجاهد عن ابن عمر قاله المصنف في الصغرى معلقة بلفظ يروى ، وله شاهد من حديث معاذ عند الطبراني في معاجمه الثلاثة وفيه عبد الحكم بن منصور متروك وله طريق أخرى في الاوسط فيها انقطاع (مجمع الزوائد) .

(٤) رواه أبو داود وابن حبان في صحيحه من حديث أبي هريرة ورواه الطبراني وغيره من حديث زيد بن ثابت (ترغيب) .

الله عنه ان رسول الله ﷺ قال : « ان من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنكم أخلاقاً ، وان من أبغضكم إلي وأبعدكم مني مجلساً يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون . قالوا : يا رسول الله قد علمنا الثرثارون والمتشدقون ، فما المتفيهقون ؟ قال : المتكبرون » قال الترمذي حديث حسن قال : والثرثار هو كثير الكلام ، والمتشدق من يتطاول على الناس في الكلام ويبذو عليهم .

واعلم أنه لا يدخل في الذم تحسين الفاظ الخطب والمواعظ إذا لم يكن فيها افراط وأغراب ، الا ان المقصود منها تهييج القلوب إلى طاعة الله تعالى ولحسن اللفظ في هذا أثر ظاهر ، والله أعلم .

الكبيرة الحادية والستون : منع فضل الماء

قال الله تعالى :

(قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ) .

قال النبي[1] ﷺ : « لا تمنعوا فضل الماء لتمنعوا به الكلأ » .

وقال عليه الصلاة والسلام[2] : (من منع فضل مائه وفضل كلئه منعه الله فضله يوم القيامة) .

وقال رسول الله ﷺ : « ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم : رجل على فضل ماء بفلاة يمنعه ابن السبيل ، ورجل بايع اماماً لا يبايعه الا للدنيا فان أعطاه منها وفى له وان لم يعطه منها لم يف له ، ورجل بايع رجلا بسلعة بعد العصر فحلف له بالله لاخذتها بكذا وكذا

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة (منتقى الاخبار) .
(٢) رواه أحمد من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده .

فصدقه وهو على غير ذلك » أخرجاه في الصحيحين وزاد البخاري : « ورجل منع فضل مائه فيقول الله اليوم أمنعك فضلي كما منعت فضل ما لم تعمل يداك ».

الكبيرة الثانية والستون
نقص الكيل والزراع وما أشبه ذلك

قال الله تعالى : (ويل للمطففين) يعني الذين ينقصون الناس ويبخسون حقوقهم في الكيل والوزن . قوله : (الذين إذا اكتالوا على الناس يستوفون) يعني يستوفون حقوقهم منها قال الزجاج : المعنى إذا اكتالوا من الناس استوفوا عليهم وكذلك إذا اتزنوا ولم يذكر (إذا اتزنوا) لأن الكيل والوزن بهما الشراء والبيع فيما يكال ويوزن فأحدهما يدل على الآخر . (وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون) أي ينقصون في الكيل والوزن. وقال السدي : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وبها رجل يقال له ابو جهينة له مكيالان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر فأنزل الله هذه الآية .

وعن ابن عباس(١) رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ « خمس بخمس »، قالوا يا رسول الله وما خمس بخمس ؟ قال : ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم ، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر ، وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا أنزل الله بهم الطاعون« يعني كثرة الموت » ، ولا طففوا الكيل إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ، ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم المطر » (ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون) قال الزجاج : المعنى لو ظنوا انهم مبعوثون ما نقصوا في الكيل والوزن (ليوم عظيم) أي يوم القيامة . (يوم يقوم الناس) من قبورهم (لرب العالمين) أي لأمره ولجزائه وحسابه ، وهم يقومون بين يديه

---

(١) رواه الطبراني في الكبير وسنده قريب من الحسن وله شواهد (المنذري) وشواهد من حديث ابن عمر عند البزار وبريدة عند الحاكم والنسائي والبيهقي الخ .

لفصل القضاء . وعن مالك بن دينار قال دخل علي جار لي وقد نزل بـه الموت وهو يقول : جبلين من نار ، جبلين من نار. قال قلت : ما تقول؟ . قال يا أبا يحيى كان لي مكيالان كنت أكيل بأحدهما وأكتال بالآخر وقال مالك بن دينار : فقمت فجعلت أضرب أحدهما بالآخر ، فقال : يا أبا يحيى كلما ضربت أحدهما بالآخر ازداد الأمر عظماً وشدة فمات في مرضه .

والمطفف : هو الذي ينقص الكيل والوزن مطففاً لأنـه لا يكاد يسرق إلا الشيء الطفيف ، وذلك ضرب من السرقة والخيانة وأكل الحرام . ثم وعد الله من فعل ذلك بويل وهو شدة العذاب وقيل واد في جهنم لو سيرت فيـه جبال الدنيا لذابت من شدة حره . وقال بعض السلف : أشهد على كل كيال أو وزان بالنار لأنه لا يكاد يسلم إلا من عصم الله ، وقال بعضهم : دخلت على مريض وقد نزل به الموت فجعلت ألقنه الشهادة ولسانه لا ينطق بها ؟ فلما أفـاق قلت له : يا أخي ما لي ألقنك الشهادة ولسانك لا ينطق بها ؟ قال يا أخي لسان الميزان على لساني يمنعني من النطق بها . فقلت له : بالله أكنت تزن ناقصاً ؟ قال : لا والله ولكن ما كنت أقف مدة لاختبر صحة ميزاني . فهذا حال من لا يعتبر صحة ميزانه فكيف حال من يزن ناقصاً ؟!

وقال نافع : كان ابن عمر يمر بالبائع فيقول : اتق الله وأوف الكيل والوزن، فان المطففين يوقفون حتى ان العرق ليلجمهم إلى انصاف آذانهم ، وكذا التاجر إذا شدّ يده في الذراع وقت البيع وأرخى وقت الشراء ، وكان بعض السلف يقول : ويل لمن يبيع بحبة يعطيها ناقصة جنة عرضها السماوات والأرض ، وويح لمن يشتري الويل بحبة يأخذهـا زائدة ، فنسأل الله العفو والعافية من كل بلاء ومحنة انه جواد كريم .

الكبيرة الثالثة والستون : الأمن من مكر الله

قال الله تعالى (حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة) أي أخذهم عذابنا من حيث لا يشعرون قال الحسن: من وسّع الله عليه فلم ير أنه يُمكر به فلا رأي له ، ومن قتّر عليه فلم ير انه يُنظر اليه فلا رأي له ثم قرأ هذه الآية :

(حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ) .

وقال : مُكر بالقوم ورب الكعبة أعطوا حاجتهم ثم أُخذوا .

وعن عقبة[1] بن عامر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « اذا رأيت الله يعطي العبد ما يحب وهو مقيم على معصيته فانما ذلك منه استدراج ثم قرأ :

(فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ .)

الابلاس : اليأس من النجاة عند ورود الهلكة ، وقال ابن عباس : أيسو من كل خير . وقال الزجاج : المبلس الشديد الحسرة اليائس الحزين .

وفي الأثر : انه لما مكر بابليس – وكان من الملائكة – طفق جبريل وميكال يبكيان ، فقال الله عز وجل لهما : مالكما تبكيان ؟ قالا : يا رب ما نأمن مكرك فقال الله تعالى « هكذا كونا لا تأمنا مكري » . وكان[2] النبي ﷺ يكثر أن يقول : يا مقلب القلوب ثبت قلوبنا على دينك » فقيل له يا رسول الله أتخاف علينا ؟ فقال رسول الله ﷺ : « ان القلوب بين اصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء » .

---

(١) رواه الطبراني في الاوسط عن شيخه الوليد بن العباس المصري وهو ضعيف (مجمع الزوائد)

(٢) رواه الترمذي في جامعه من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه وقال حديث حسن صحيح ، وفي الباب عن النواس بن سمعان وأم سلمة رضي الله عنها وعائشة وأبي ذر رضي الله عنهم.

وفي الحديث الصحيح[1] « ان الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها » . وفي صحيح البخاري عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : « ان الرجل ليعمل بعمل أهل النار وانه من أهل الجنة ، ويعمل الرجل بعمل أهل الجنة وانه من أهل النار ، وانما الأعمال بالخواتيم » .

وقد قص الله تعالى في كتابه العزيز قصة بلعام وانه سلب الإيمان بعد العلم والمعرفة ، وكذلك برصيصا العابد مات على الكفر ، وروي أنه كان رجل بمصر ملتزم المسجد للاذان والصلاة ، وعليه بهاء العبادة وأنوار الطاعة ، فرقي يوماً المنارة على عادته للاذان ، وكان تحت المنارة دار لنصراني ذمي فاطلع فيها فرأى ابنة صاحب الدار – وكانت جميلة – فافتتن بها وترك الآذان ونزل اليها فقالت له : ما شأنك وما تريد ؟ فقال : أنت أريد . قالت : لا اجيبك إلى ريبة . قال لها : أتزوجك ، قالت له : أنت مسلم وأبي لا يزوجني بك ، قال : أتنصر . قالت له : ان فعلت أفعل ، فتنصر ليتزوج بها واقام معهم في الدار ، فلما كان في اثناء ذلك اليوم رقى إلى سطح كان في الدار فسقط فمات ، فلا هو فاز بدينه ولا هو تمتع بها . نعوذ بالله من مكره وسوء العاقبة وسوء الخاتمة . وعن سالم عن عبد الله قال : كان كثيراً ما كان رسول الله ﷺ يحلف « لا ومقلب القلوب » رواه البخاري ، ومعناه يصرفها أسرع من مر الريح على اختلاف في القبول والرد والارادة والكراهة وغير ذلك من الأوصاف . وفي التنزيل (واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه) قال مجاهد : المعنى يحول بين المرء وعقله حتى لا يدرى ما تصنع بنانه (ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب) أي عقل ، واختار الطبري أن يكون ذلك اخباراً من الله تعالى أنه أملك لقلوب العباد منهم وأنه يحول بينهم وبينها ان شاء حتى لا يدرك الانسان شيئاً إلا بمشيئة الله عز وجل . وقالت عائشة رضي الله عنها : كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول : « يا مقلب القلوب

(١) يعني البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ولعله في مسلم ايضاً .

ثبت قلبيَ على طاعتك . فقلت : يا رسول الله انك تكثر ان تدعو بهـــذا فهل تخشى ؟ قال : وما يؤمنني يا عائشة وقلوب العباد بين اصبعين من اصابع الرحمن يقلبها كيف شاء ، إذا أراد أن يقلب قلب عبد قلبه ». فاذا كانت الهداية معروفة والاستقامة على مشيئته موقوفة والعاقبة مغيبة والارادة غير مغالبة ، فلا تعجب بايمانك وعملك وصلاتك وصومك وجميع قربك ذلك ان كان من كسبك ، فانه من خلق ربك وفضله الدّار عليك ، فمهما افتخرت بذلك كنت مفتخراً بمتاع غيرك ، ربما سلبه عنك فعاد قلبك من الخير أخلى من جوف العَير[1] .

فكم من روضة أمست وزهرها يانع عميم ، أضحت وزهرها يابس هشيم ، إذ هبت عليها الريح العقيم ، كذلك العبـــد يمسي وقلبه بطاعة الله مشرق سليم . ويصبح وهو بمعصية الله مظلم سقيم ، ذلك تقدير العزيز العظيم .

ابن آدم . الاقلام عليك تجري ، وأنت في غفلة لا تدري ، ابن آدم دع المغاني والأوتار ، والمنازل والديار ، والتنافس في هذه الدار ، حتى ترى مـا فعلت في أمرك الأقدار ، قال الربيع : سئل الامام الشافعي رحمه الله تعالى :

* * *

ينادي مناد من قبل العرش : أين فلان أين فلان فلا يسمع أحد ذلك الصوت إلا وتضطرب فرائصه ، قال ، فيقول الله عز وجل لذلك الشخص : أنت المطلوب هلم إلى العرض على خالق السماوات والأرض فيشخص الخلق بأبصارهم تجـــاه العرش ويوقف ذلك الشخص بين يدي الله عز وجل ، فليقي الله عز وجل عليه من نوره يستره عن المخلوقين ثم يقول له عبدي أما علمت اني كنت اشاهـد عملك في دار الدنيا ؟ فيقول : بلى يا رب ، فيقول الله تعالى : عبدي أما سمعت بنقمتي وعذابي لمن عصاني ؟ فيقول : بلى يا رب ، فيقول الله تعالى : أما سمعت

---

(١) العير بفتح العين : الحمار . (*) في الاصول المعروفة للكتاب نقص في آخر الكبيرة الثالثة والستين ، وفي أول الكبيرة الرابعة والستين ، وسيبقى هـــذا النقص حتى تظهر نسخة فيها هذا النقص فيكمل ، مع العلم باننا راجعنا هذا النقص على عدة نسخ خطية فلم نجده .

بجزائي وثوابي لمن أطاعني؟ فيقول : بلى يا رب ، فيقول الله تعالى : يا عبدي عصيتني ؟ فيقول: يا رب قد كان ذلك، فيقول الله تعالى: عبدي فما ظنك اليوم بي ؟ فيقول يا رب أن تعفو عني ، فيقول الله تعالى : عبدي تحققت أني أعفو عنك ؟ فيقول : نعم يا رب لأنك رأيتني على المعصية وسترتها علي . قال فيقول الله عز وجل : قد عفوت عنك وغفرت لك وحققت ظنك ، خذ كتابك بيمينك فما كان فيه من حسنة فقد قبلتها ، وما كان من سيئة فقد غفرتها لك وأنا الجواد الكريم .

إلهنا لولا محبتك للغفران ما أمهلت من يبارزك بالعصيان ، ولولا عفوك وكرمك ما سكنت الجنان .

اللهم انك عفو تحب العفو فاعف عنا .

اللهم انظر الينا نظر الرضى ، وأثبتنا في ديوان أهل الصفا ، ونجنا من من ديوان أهل الجفا .

اللهم حقق بالرجاء آمالنا ، وحسن في جميع الأحوال أعمالنا ، وسهل في بلوغ رضاك سبلنا وخذ إلى الخيرات بنواصينا ، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار .

الكبيرة الخامسة والستون : تارك الجماعة فيصلي وحده من غير عذر

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لقوم يتخلفون عن الجماعة : (لقد هممت أن آمر رجل يصلي بالناس ثم أحرق على رجال يتخلفون عن الجماعة بيوتهم) رواه مسلم ، وقال عليه الصلاة والسلام : « لينتهين أقوام عن ودعهم الجماعات أو ليختمن الله على قلوبهم ثم ليكونن من الغافلين » رواه مسلم[1] .

(١) من حديث أبي هريرة وابن عمر رضي الله عنهما ، وكذا رواه ابن ماجه من حديثهما (الترغيب) .

وقال ﷺ : (من ترك ثلاث جمع تهاوناً بها طبع الله على قلبه) أخرجه أبو داود والنسائي[1]، وقال : « من ترك الجمعة من غير عذر ولا ضرر كتب منافقاً في ديوان لا يمحي ولا يبدل » .

وعن حفصة[2] رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « رواح الجمعة واجب على كل محتلم » أي على كل بالغ .

فنسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى انه جواد كريم .

الكبيرة السادسة والستون : الاصرار على ترك صلاة الجمعة والجماعة من غير عذر

قال الله تعالى : (يَوْمَ يُكْشَفُ عن سَاقٍ ويُدْعَونَ إلى السُّجُود فَلا يَسْتَطِيعُونَ خَاشِعَةً أبصارُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وقَدْ كانُوا يُدْعَونَ إلى السُّجُود وهُمْ سَالِمُونَ) .

قال كعب الأحبار : ما نزلت هذه الآية إلا في الذين يتخلفون عن الجماعات. وقال سعيد بن المسيب امام التابعين رحمه الله: كانوا يسمعون حي على الصلاة حي على الفلاح فلا يجيبون وهم سالمون أصحاء .

---

(١) والترمذي وحسنه وابن ماجه وابن حبان وابن خزيمة في صحيحه والحاكم . وقال على شرط مسلم كلهم من حديث أبي الجعد الضميري وكانت له صحبة وله شاهد من حديث أبي قتادة عند أحمد والحاكم ، ومن حديث أسامة عند ابن حبان ، ومن حديث كعب بن مالك عنده أيضاً ، ومن حديث أبي هريرة عند ابن ماجه ، ومن حديث جابر عند أبي يعلي ، ومن كلام ابن عباس عنده أيضاً ، ومن حديث حارثة بن النعمان عند أحمد أفاده (الترغيب) وقال المصنف في الصغرى اسناده جيد قوي .

(٢) حديث حفصة رواه النسائي (الصغرى) .

وفي الصحيحين[1] : أن رسول الله ﷺ قال: « والذي نفسي بيده لقد هممت أن آمر بحطب يحتطب ثم آمر بالصلاة فيؤذن لها ، ثم آمر رجلاً فيؤم الناس ، ثم أخالف إلى رجال لا يشهدون الصلاة في الجماعة فأحرق عليهم بيوتهم بالنار » . وفي رواية لمسلم أيضاً من حديث أبي هريرة : « لقد هممت ان آمر فتيتي أن يجمعوا لي حزماً من حطب ثم آتى قوماً يصلون في بيوتهم ليست بهم علة فأحرقها عليهم » . وفي هذا الحديث الصحيح والآية التي قبله وعيد شديد لمن يترك صلاة الجماعة من غير عذر فقد روى أبو داود في سننه باسناده إلى ابن عباس رضي الله عنهما قال ، قال رسول الله ﷺ : « من سمع المنادي فلم يمنعه من اتيانه عذر – قيل وما العذر يا رسول الله قال خوف أو مرض – لم تقبل منه الصلاة التي صلى » يعني في بيته .

وروى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن رجل يصوم النهار ويقوم الليل ولا يصلي في جماعة ولا يجمع ، فقال : ان مات هذا فهو في النار .

وروى مسلم أن رجلاً أعمى جاء إلى النبي ﷺ فقال : يارسول الله ليس لي قائد يقودني إلى المسجد فهل لي رخصة أن أصلي في بيتي ؟ فرخص له ، فلما ولى دعاه فقال : هل تسمع النداء بالصلاة ؟ قال : نعم ، قال : « فاجب » . وفي رواية أبي داود ان ابن أم مكتوم جاء إلى النبي ﷺ وقال : يا رسول الله ان المدينة كثيرة الهوام والسباع وأنا ضرير البصر فهل لي رخصة أن أصلي في بيتي ؟ فقال له النبي ﷺ : « تسمع حي على الصلاة حي على الفلاح » ؟ قال : نعم . قال : « فأجب ، فحي هلا » . وفي رواية انه قال : يا رسول الله اني ضرير شاسع الدار ولي قائد لا يلائمني فهل لي رخصة : وقوله « فحي هلا » أي تعال وأقبل .

وروى الحاكم في مستدركه على شرط الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ « ومن سمع النداء فلم يمنعه من اتباعه عذر فلا

(١) من حديث ابي هريرة رضي الله عنه .

صلاة له ». قالوا : وما العذر يا رسول الله ؟ قال: « خوف أو مرض » وجاء[1] عن النبي ﷺ انه قال: « لعن الله ثلاثة — من تقدم قوماً وهم له كارهون، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط ، ورجلاً سمع حي على الصلاة حي على الفلاح ثم لم يجب » . قال ابو هريرة « لأن تمتلىء أذن ابن آدم رصاصاً مذاباً خير من أن يسمع حي على الصلاة حي على الفلاح ثم لا يجيب » . وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : لا صلاة لجار المسجد الا في المسجد ، قيل من جار المسجد؟ قال :من يسمع الآذان ، قال أيضاً: (من سمع النداء فلم يأته لم تجاوز صلاته رأسه الا من عذر).

وقال ابن مسعود[2] رضي الله عنه: من سره أن يلقى الله غداً مسلماً فليحافظ على هذه الصلوات الخمس حيث ينادى بهن ، فان الله تعالى شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدى ، وانها من سنن الهدى ، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ، ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم ، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها الا منافق معلوم النفاق أو مريض . ولقد كان الرجل يؤتى بـه يهادي بين الرجلين حتى يقام في الصف ، يعني يتكىء عليهما من ضعفه حرصاً على فضلها وخوفاً من الاثم في تركها .

(**فصل**) : وفضل صلاة الجماعة عظيم كما في تفسير قوله تعالى : (ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون) انهم المصلون الصلوات الخمس في الجماعات . وفي قوله تعالى : (ونكتب ما قدموا وآثارهم) أي خطاهم .

وفي الصحيح[3] ان رسول الله ﷺ قال : « من تطهر في بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله كانت خطواته أحدهما تحط

---

(١) رواه الحاكم في مستدركه عن ابن عباس كما تقدم في النهي عن ترك الصلاة .

(٢) رواه مسلم وأبو داود وغيرهما (ترغيب) .

(٣) رواه البخاري ومسلم وابو داود والترمذي وابن ماجه من حديث أبي هريرة بنحو ما هنا (الترغيب) .

خطيئة والأخرى ترفع درجة ، فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه الذي صلى فيه يقولون : اللهم اغفر له ، اللهم ارحمه ما لم يؤذ فيه أو يحدث فيه » .

وقال ﷺ[1] : « ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟ قالوا : بلى يا رسول الله ، قال : اسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطا إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط فذلكم الرباط » رواه مسلم.

الكبيرة السابعة والستون : الاضرار في الوصية .

قال الله تعالى : (منْ بَعد وصيَّة يُوصَى بها أو دَين غَير مُضَارٍّ)

إي غير مدخل الضرر على الورثة ، وهو أن يوصي بدين ليس عليه يريد بذلك ضرر الورثة فمنع الله منه . وقال الله تعالى :

(وصيَّةٌ منَ الله واللهُ عليمٌ حليمٌ) .

قال ابن عباس : يريد ما أحل الله من فرائضه في الميراث (ومن يطع الله ورسوله) في شأن المواريث (يدخله جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم . ومن يعص الله ورسوله) قال مجاهد فيما فرض الله من المواريث .

وقال عكرمة عن ابن عباس من لم يرض بقسم الله ويتعد ما قال الله (يدخله ناراً) .

وقال الكلبي يعني يكفر بقسمة الله المواريث ويتعدي حدوده استحلالاً (يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين) . وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

---

(١) رواه مالك ومسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه كلهم من حديث ابي هريرة وشاهده من حديث ابي سعيد الخدري عند ابن ماجه وابن حبان في صحيحه « ترغيب » .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ان الرجل أو المرأة ليعمل بطاعة الله ستين سنة ثم يحضرهما الموت فيضاران في الوصية فتجب لهما النار) ثم قرأ أبو هريرة هذه الآية (من بعد وصية يوصي بها أو دين غير مضار) رواه ابو داود[١] .

وجاء عنه ﷺ انه قال: « من فر بميراث وارث قطع الله ميراثه من الجنة »[٢] .

وقال عليه الصلاة والسلام « ان الله قد أعطى كل ذي حق حقه فـلا وصيه لوارث » صححه الترمذي[٣] .

الكبيرة الثامنة والستون : المكر والخديعة

قال الله عز وجل : (وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّءُ إِلَّا بِأَهْلِهِ) .

وقال النبي[٤] ﷺ : « المكر والخديعة في النار » .

وقال ﷺ : « لا يدخل الجنة خب ولا بخيل ولا منان » وقال الله تعالى عن المنافقين : (يخادعون الله وهو خادعهم) . قال الواحدي يعاملون عمل المخادع على خداعهم وذلك أنهم يعطون نوراً كما يعطى المؤمنون ، فإذا مضوا على الصراط أطفىء نورهم وبقوا في الظلمة .

---

(١) رواه الترمذي وقال حسن غريب ، ورواه ابن ماجه ولفظه « ان الرجل ليعمل بعمل أهل الخير سبعين سنة فاذا أوصى جاف في وصيته فيختم له بشر عمله فيدخل النار ، وان الرجل ليعمل بعمل أهل الشر سبعين سنة فيعدل في وصيته فيختم له بخير عمله فيدخل الجنة » ترغيب » .

(٢) رواه ابن ماجه من حديث أنس وأشار المنذري إلى ضعفه ، وقال المصنف في الصغرى في سنده مقال .

(٣) من حديث عمرو بن خارجة وفي سنده اسماعيل بن عياش في روايته عن غير الشاميين ضعف .

(٤) رواه البزار مـن حديث أبي هريرة وفيه عبد الله بن أبي حميـد اجمعوا على ضعفه (مجمع الزوائد) .

وقال ﷺ في حديث[1] : « واهل النار خمسة ، وُذكر منهم رجلا لا يصبح ولا يمسي الا وهو يخادعك عن أهلك ومالك »

الكبيرة التاسعة والستون

من جس علي المسلمين ودل على عورتهم

فيه حديث حاطب بن أبي بلتعة وان عمر أراد قتله بما فعل ، فمنعه رسول الله ﷺ من قتله لكونه شهد بدرا ، إذا ترتب على جسه وهن على الاسلام وأهله وقتل أو سبى أو نهب أو شيء من ذلك ، فهذا ممن سعى في الأرض فسادا وأهلك الحرث والنسل فيتعين قتله وحق عليه العذاب . فنسأل الله العفو والعافية . وبالضرورة يدري كل ذي جس أن النميمة إذا كانت من أكبر المحرمات فنميمة الجاسوس أكبر وأعظم .

نعوذ بالله من ذلك ونسأله العفو والعافية ، انه لطيف خبير جواد كريم .

الكبيرة السبعون

سب أحد من الصحابة رضوان الله عليهم

ثبت في الصحيحين[2] أن رسول الله ﷺ قال : يقول الله تعالى : (من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب) ، وقال ﷺ : « لا تسبوا اصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه » مخرج في الصحيحين .

---

(١) رواه مسلم من حديث عياض بن حمّار المجاشعي.

(٢) عزاه في الصغرى إلى البخاري فقط ، وقال في الميزان في ترجمة خالد بن مخلد القطواني، ولا خرجه من هذا البخاري ولا أظنه في المسند وأقره الحافظ العسقلاني في الفتح وعد من أخرجه أو أخرج شاهداً له ، وليس فيهم مسلم لما هنا سبق قلم أو من تحريف النساخ والحديث من مسند ابي هريرة رضي الله عنه .

وقال ﷺ : « الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً بعدي . فمن أحبهم فبحبي أحبهم ، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ، ومن آذاهم فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله ، ومن آذى الله أوشك أن يأخذه » اخرجه الترمذي[1] .

ففي هذا الحديث وأمثاله بيان حالة من جعلهم غرضاً بعد رسول الله ﷺ وسبهم وافترى عليهم وعابهم وكفرهم واجترأ عليهم .

وقوله ﷺ : (الله الله) كلمة تحذير وانذار كما يقول المحذر : النار النار أي احذروا النار ، وقوله : (لا تتخذوهم غرضاً بعدي) أي لا تتخذوهم غرضاً للسب والطعن ، كما يقال : اتخذه فلان غرضاً لسبه أي هدفاً للسب) وقوله : (فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم) ، فهذا من أجل الفضائل والمناقب لأن محبة الصحابة لكونهم صحبوا رسول الله ﷺ ونصروه وآمنوا به وعزروه وواسوه بالأنفس والأموال ، فمن أحبهم فانما أحب النبي ﷺ . فحب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عنوان محبته وبغضهم عنوان بغضه كما جاء في الحديث الصحيح : « حب الانصار من الايمان وبغضهم من النفاق » ، وما ذاك إلا لسابقتهم ومجاهدتهم أعداء الله بين يدي رسول الله ﷺ وكذلك حب علي رضي الله عنه من الايمان وبغضه من النفاق ، وانما يعرف فضائل الصحابة رضي الله عنهم من تدبر أحوالهم وسيرهم وآثارهم في حياة رسول الله ﷺ وبعد موته من المسابقة إلى الايمان والمجاهدة للكفار ، ونشر الدين ، واظهار شعائر الاسلام ، واعلاء كلمة الله ورسوله ، وتعليم فرائضه وسننه ، ولولاهم ما وصل الينا من الدين أصل ولا فرع ، ولا علمنا من الفرائض والسنن سنة ولا فرضاً ولا علمنا من الأحاديث والأخبار شيئاً .

فمن طعن فيهم أو سبهم فقد خرج من الدين ومرق من ملة المسلمين ، لأن الطعن لا يكون إلا عن اعتقاد مساويهم واضمار الحقد فيهم وانكار ما ذكره

---

(١) من حديث عبدالله بن مغفل وقال غريب (مشكاة) .

الله تعالى في كتابه من ثنائه عليهم ، وما لرسول الله ﷺ من ثنائه عليهم وفضائلهم ومناقبهم وحبهم ، ولأنهم أرضى الوسائل من المأثور والوسائط من المنقول ، والطعن في الوسائط طعن في الأصل ، والازدراء بالناقل ازدراء بالمنقول ، هذا ظاهر لمن تدبره ، وسلم من النفاق ومن الزندقة والالحاد في عقيدته ، وحسبك ما جاء في الأخبار والآثار من ذلك كقول النبي ﷺ[1] : « ان الله اختارني واختار لي أصحاباً ، فجعل لي منهم وزراء وأنصار وأصهاراً فمن سبهم فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفاً ولا عدلا »

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال أناس من أصحاب رسول الله ﷺ : إنا نُسب ، فقال رسول الله ﷺ : « من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين » .

وعنه[2] قال : قال رسول الله ﷺ « ان الله اختارني واختار لي أصحابي وجعل لي أصحاباً وأخواناً وأصهاراً ، وسيجيء قوم بعدهم يعيبونهم وينقصونهم فلا تواكلوهم ولا تشاربوهم ولا تناكحوهم ولا تصلوا عليهم ولا تصلوا معهم » .

وعن[3] ابن مسعود رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : إذا ذكر أصحابي فأمسكوا ، وإذا ذكر النجوم فأمسكوا ، وإذا ذكر القدر فأمسكوا » قال العلماء : معناه من فحص عن سر القدر في الخلق ، وهو : أي الامساك علامة الايمان والتسليم لأمر الله ، وكذلك النجوم ومن اعتقد أنها فعالة أو لها تأثير من غير إرادة الله عز وجل فهو مشرك ، وكذلك من ذم أصحاب رسول الله ﷺ

---

(١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد : رواه الطبراني من حديث عويم بن ساعدة وفيه من لم أعرفه ، وزاد في منتخب كنز العمال : عزوه إلى الحاكم في مستدركه .

(٢) رواه العقيلي في الضعفاء عن أنس في منتخب كنز العمال .

(٣) رواه الطبراني وفيه مسهر بن عبد الملك وثقه ابن حبان وغيره وفيه خلاف وبقية رجاله رجال الصحيح ، وله شاهد ضعيف من حديث ثوبان عند الطبراني أيضاً (مجمع الزوائد) قال العراقي : رواه الطبراني بإسناد حسن .

بشيء وتتبع عثراتهم وذكر عيباً وأضافه اليهم كان منافقاً . بل الواجب على المسلم حب الله وحب رسوله ، وحب ما جاء به ، وحب من يقوم بأمره ، وحب من يأخذ بهديه ويعمل بسنته ، وحب آله وأصحابه وأزواجه وأولاده وغلمانه وخدامه ، وحب من يحبهم وبغض من يبغضهم ، لأن أوثق عرى الايمان الحب في الله والبغض في الله .

قال أيوب السختياني رضي الله عنه : من أحب أبا بكر فقد أقام منار الدين ومن أحب عمر فقد أوضح السبيل ، ومن أحب عثمان فقد استنار بنور الله ، ومن أحب علياً فقد استمسك بالعروة الوثقى ، ومن قال الخير في أصحاب رسول الله ﷺ فقد بريء من النفاق .

(فصل) : وأما مناقب الصحابة وفضائلهم فأكثر من أن تذكر ، وأجمعت علماء السنة أن أفضل الصحابة العشرة المشهود لهم ، وأفضل العشرة : أبو بكر ، ثم عمر بن الخطاب ، ثم عثمان بن عفان ، ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين ، ولا يشك في ذلك الا مبتدع منافق خبيث .

وقد نص النبي ﷺ في حديث[1] العرباض بن سارية حيث قال : « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي ، عضوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور » الحديث .

والخلفاء الراشدون هم : ابو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين . وأنزل الله في فضائل أبي بكر رضي الله عنه آيات من القرآن ، قال الله تعالى :

(وَلا يَأْتَلِ أُولُوا الفَضْلِ منكم والسَّعة أن يُؤْتُوا أُولِي القُربَى والمَساكِين) .

---

(١) رواه الترمذي وصححه .

الآية . لا خلاف ان ذلك فيه ، فنعته بالفضل رضوان الله عليه وقال تعالى: (ثاني اثنين إذ هما في الغار) الآية ، لا خلاف أيضاً ان ذلك في أبي بكر رضي الله عنه شهدت له الربوبية بالصحبة ، وبشره بالسكينة ، وحلاه بثاني اثنين كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : من يكون أفضل من ثاني اثنين الله ثالثهما ؟ وقال الله تعالى :

(والَّذي جَاءَ بالصِّدْق وصدَّق به أولئكَ هُمُ المتَّقُونَ).

قال جعفر الصادق : لا خلاف ان الذي جاء بالصدق رسول الله ﷺ والذي صدق به أبو بكر رضي الله عنه وأي منقبة أبلغ من ذلك فيهم ؟ رضي الله عنهم أجمعين .



